بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

حنا إبراهيم أديباً

إعداد

أحمد حسن محمود أبو بكر

إشراف

الدكتور عادل الأسطة

تموز – 2001

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

حنا إبراهيم أديباً

إعداد الطالب
أحمد حسن محمود أبو بكر

نوقشت هذه الأطروحة وأجيزت بتاريخ 2001/7/1

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور عادل الأسطة	(رئيساً) .....
الدكتور عادل أبو عمشة	(ممتحناً داخلياً) .....
الدكتور محمود العطشان	(ممتحناً خارجياً) .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني – حنا إبراهيم شاعراً	71
الكلمة الشعرية المقاومة	72
مكونات العناوين في قصائد حنا إبراهيم	73
موضوعات شعر حنا إبراهيم	80
أولاً: مدح الشيوعية والشيوعيين	80
ثانياً: الموضوع الوطني	83
ثالثاً: الرثاء في شعر حنا إبراهيم	87
رثاء الأقارب والأصدقاء	88
رثاء الشيوعيين	89
رثاء البلاد	92
طبيعة القصيدة عند حنا إبراهيم	94
التفاؤل في شعر حنا إبراهيم	95
الأسلوب القصصي في قصيدة حنا إبراهيم	100
التناص مع الشعر العربي	102
لغة الشعر عند حنا إبراهيم	110
الأمثال الشعبية	114
استخدام الأغنية الشعبية في الشعر	115
الألفاظ العامية في شعر حنا إبراهيم	115
التكرار في شعر حنا إبراهيم	116
الفصل الثالث – حنا إبراهيم في سيرته الذاتية	119
استراتيجية العنوان والنص المحيط لسيرة حنا إبراهيم الذاتية	120
شجرة المعرفة	120
ذكريات شاب لم يتغرب	121
الإهداء في سيرة الكاتب	123
الاستهلال في السيرة	123
خاتمة الجزء الأول من سيرته الذاتية	124
مكونات السيرة	125
زمن السيرة	126
أهمية السيرة في التأريخ لواقع عرب فلسطين المحتلة 1948	127

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
الواقع السياسي لعرب فلسطين أثناء الانتداب البريطاني	128
واقع العرب في فلسطين عند إقامة دولة إسرائيل عام 1948	130
واقع العرب الفلسطينيين الذين صمدوا في فلسطين بعد عام 1948	131
دور الحزب الشيوعي في التصدي للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة	132
الواقع الاقتصادي في فلسطين أثناء الانتداب	134
واقع عرب فلسطين الاقتصادي بعد قيام إسرائيل	137
الواقع الاجتماعي للعرب الفلسطينيين في فلسطين أيام الانتداب	138
الواقع الاجتماعي لعرب فلسطين بعد العام 1948	140
أهمية سيرة حنا إبراهيم لدراسة ثقافته	142
المثل الشعبي	142
الأغاني الشعبية والنشيد	143
الشعر العربي القديم والمعاصر في السيرة	144
ثقافة حنا إبراهيم الإسلامية	146
ثقافة الكاتب المسيحية	147
إلمامه باللغات	147
ثقافته الماركسية	148
أهمية السيرة لدراسة دور حنا إبراهيم في الحركة السياسية	149
نشاطه السياسي قبل عام 1948	150
نشاطه السياسي أثناء وجوده في الحزب الشيوعي	151
اختلاف حنا إبراهيم مع الحزب	155
أهمية السيرة لدراسة الحركة الأدبية في فلسطين المحتلة	157
دور الحزب في الثقافة	157
مؤسسات أخرى غير الحزب	158
أهمية السيرة لدراسة قصصه	159
السرد في السيرة	166
اللغة في سيرة حنا إبراهيم الذاتية	171
الفصل الرابع – حنا إبراهيم روائياً	176
العتبات في رواية أوجاع البلاد المقدسة	178
العتبات في رواية موسى الفلسطيني	180

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة
السرد في رواية أوجاع البلاد المقدسة	182
السرد في رواية موسى الفلسطيني	186
اللغة في روايتي حنا إبراهيم:أوجاع البلاد المقدسة و موسى الفلسطيني	190
البناء في رواية أوجاع البلاد المقدسة	200
البناء في رواية موسى الفلسطيني	202
الزمن في رواية أوجاع البلاد المقدسة	204
الزمن في رواية موسى الفلسطيني	211
الشخصية في رواية أوجاع البلاد المقدسة	216
الشخصيات والأمثال الشعبية	220
الشخصية والأغنية الشعبية	221
الشخصية في رواية موسى الفلسطيني	221
المشترك بين الرواية والسيرة الذاتية	227
الفصل الخامس – صورة الآخر	229
صورة الإنجليز	231
الآخر اليهودي	236
الآخر الروسي	245
الآخر العميل	248
صورة الآخر العربي – جيش الإنقاذ	250
صورة الحكام العرب	250
الخاتمة	252
الملخص	254
المصادر	256
المراجع	257

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

توطدت علاقتي بالأدب الفلسطيني منذ أيام الدراسة الجامعية الأولى، عندما درست مساقاً عن الأدب الفلسطيني المقاوم، تعرفت من خلاله على أشهر الشعراء الفلسطينيين، محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين. ومنذ ذلك الوقت، أصبح الأدب الفلسطيني هاجسي، فأخذت أتابع هذا الأدب شعراً ونثراً. وفي قراءتي لكتاب الدكتور عادل الأسطة "اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987" لفتت انتباهي قصة لأديب فلسطيني هو حنا إبراهيم، لم أكن قد عرفت عنه شيئاً كثيراً. لقد تركت قصة "متسللون" أثراً كبيراً في نفسي، ودفعتني للبحث عن صاحبها للتعرف عليه، وعلى أدبه أكثر.

وقد سررت كثيراً عندما تعرفت على الأديب حنا إبراهيم عن قرب، واستمعت إلى تجاربه الكثيرة في الحياة، وسررت عندما زودني بمجموعاته القصصية وأشعاره المنشورة وغير المنشورة، وسيرته الذاتية وروايتيه.

وأعجبت بهذا الإنتاج الأدبي وزاد تعلقي به، عندما علمت أن صاحبه لم يكن أديباً يعيش على هامش الحياة، بل شارك في العمل السياسي منذ شبابه. وعلى الرغم من التضحيات التي قدمها في الحياة السياسية العامة، ومع كل الأعمال الأدبية التي تعاطف فيها مع الفقراء من أبناء شعبنا، إلا أنه لم يتصدر الصفوف الأولى في الأدب الفلسطيني، وهذا يقود إلى التساؤل، لماذا لم يلتفت إلى حنا إبراهيم؟ ولماذا يتم التركيز على أدباء فلسطينيين من أمثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد؟ فهؤلاء الشعراء كانوا جميعاً شيوعيين، لكن برز معظمهم في الصف الأول، بينما جاء حنا في الصف الثاني.

والأديب من مواليد عام 1927، وقد مرت به تجارب كبيرة، أعطته أشياء كثيرة في الحياة والأدب، فعاش أكثر الظروف قسوة في حياة شعبنا الفلسطيني، فشهد ثورة 1936، وشاهد الظلم الذي ألحقه الإنجليز بشعبنا وقضيتنا، وشهد احتلال فلسطين عام 1948، وعاش التشرد. وكان له دور كبير في منع الكثيرين من الخروج من الوطن فلسطين، بفضل وعيه وانتمائه لعصبة التحرر الوطني قبل قيام دولة إسرائيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التقلبات السياسية والاجتماعية لم تضعف فيه المناضل، بل زادته إصراراً في تبني مواقف صلبة، كانت حياة شعبنا بحاجة ماسة إليها.

أرمي من وراء هذه الدراسة إلى لفت الأنظار إلى الاهتمام والعناية بأديب فلسطيني قدم مع أدباء آخرين، أعمالاً أدبية ملتزمة بقضايا الإنسان الفلسطيني، عبر مراحل حياة هذا الإنسان المليئة بالتضحيات. فعلى الرغم من قسوة ظروف حياة الأديب، إلا أنه واصل عملية الإبداع. وقد أوضح لي في مقابلة خاصة معه، أن معظم ما كتبه من إبداع، كان في الليل، بعد أن كان قام بواجباته الحياتية في العمل في المحاجر التي عمل فيها عشرين سنة، وبعد أن قام بنشاطه السياسي الذي كان يمارسه ضمن نشاطاته في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ومن قبل ذلك في عصبة التحرر الوطني قبل قيام إسرائيل. لم يكن غريباً على حنا إبراهيم أن يكتب أعماله الأدبية بعد أن يفرغ من أعماله اليومية على الأرض مباشرة، وليس على طاولة بسبب الظروف الحياتية القاسية التي مرّ بها.

وأريد أن أكشف أن الأديب حنا إبراهيم قد ظلم كثيراً، حيث لم يتصدر الواجهة الأدبية مع غيره من أدباء الأرض المحتلة، على الرغم من امتلاكه طاقات إبداعية تستحق التقدير والاهتمام.

لقد قسمت البحث إلى خمسة فصول هي:

1. **الفصل الأول: حنا إبراهيم قاصّاً.**

وقد تناولت في البداية الدراسات التي تعرضت لأدب حنا القصصي، فهناك نقاد ودارسون درسوا بعض قصصه أثناء دراستهم للقصة القصيرة في فلسطين المحتلة، في حين تناول قسم آخر من الدارسين جزئية في قصص حنا، وقد كان ذلك أثناء دراسات كبيرة ولم يكن هدف أصحابها دراسة أدب حنا القصصي. فهناك دارسون ركزوا على زاوية معينة في القصة، ومن ذلك التركيز على الشخصية أو الموضوع أو أسلوب السرد.

واستعرضت عناوين المجموعات القصصية وعناوين القصص، وحاولت أن أجد علاقة بين العنوان والمضمون. وأتيت على موضوعات قصص الكاتب، وعمدت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الربط بين موضوع القصة والواقع الذي تتحدث عنه، حيث أن القاص كتب قصصه في أزمنة متباعدة، فبدت القصص تحمل في طياتها التاريخ.

وحاولت أن أعطي تصوراً لبناء القصة عند حنا، من حيث بداية القصة وتطور الحدث ثم الوقوف عند نهاياتها. وتعرضت للشخصيات في قصص حنا، وحاولت أن أفسر طبيعة هذه الشخصيات وأهم ما تتميز به.

وتناولت طبيعة السارد في القصص والأساليب السردية التي اعتمد عليها القاص أثناء سرد الأحداث. كما استعرضت اللغة في القصص ومستوياتها المتعددة. وقد قمت بتحليل نماذج من قصص الكاتب لمعرفة أهم ميزاتها.

2. الفصل الثاني: حنا إبراهيم شاعراً.

استعرضت في هذا الفصل عناوين المجموعتين الشعريتين، وعناوين القصائد المنشورة في مجموعة وغير المنشورة. وحاولت أن أوضح أهم الموضوعات الشعرية التي نظم فيها حنا أشعاره وهي: مدح الشيوعية والشيوعيين، والموضوع الوطني، والرثاء الذي رثى فيه رفاق الحزب والأقارب والأصدقاء والبلاد التي دمرت.

وتناولت الطبيعة التي تميزت بها القصيدة، حيث كان حنا يلقيها على جمهور فبدت مهرجانية، ثم حاولت أن استكشف الظواهر الموضوعية والفنية في قصائده كالتفاؤل والأسلوب القصصي والتناص مع القصيدة العربية قديماً وحديثاً والتكرار.

وأتيت على لغة القصيدة ومصادر ثقافته التراثية القديمة والدينية الإسلامية والمسيحية، والأمثال الشعبية والأغاني الشعبية. وقد حاولت أن أظهر هذه القضايا في قصيدة حنا وذلك بتحليل نموذجين من قصائده.

3. الفصل الثالث: حنا إبراهيم في سيرته الذاتية.

تعرضت في هذا الفصل للعنوان وحاولت أن أفسر هذا العنوان. كما وتناولت الإهداء والاستهلال، وعرجت على النص الفوقي للسيرة حيث كتب على غلافها ثلاثة نقاد يمتدحون صاحبها. ثم أتيت على مكونات السيرة وفصولها، وتعرضت لزمن السيرة وأهمية سيرة حنا لمعرفة واقع عرب فلسطين 1948 اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً قبل نكبة 1948 وبعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحاولت أن أوضح دور الحزب الشيوعي على الحياة العامة في فلسطين. وأود أن أكشف أهمية سيرة حنا الذاتية لدراسة ثقافته وأدبه ونشاطه السياسي قبل عام 1948 وبعد قيام إسرائيل عندما كان عضواً في الحزب الشيوعي وكذلك بعد أن اختلف مع الحزب وقادته وتركه للحزب. وحاولت أن أبين أهمية السيرة عند حنا لدراسة الحركة الأدبية في فلسطين المحتلة، ودور الحزب وغيره من المؤسسات في النشاط الأدبي.

وأتيت على السرد في السيرة عند حنا، وحاولت أن أتتبع طبيعة السارد الذي بدا منحازاً إلى الشيوعيين، وحاولت أن أتوقف عند الذاكرة الخداعة وأثرها في سرد الأحداث. وتعرضت للغة السيرة ومستوياتها.

4. **الفصل الرابع: حنا إبراهيم روائياً.**

تناولت في هذا الفصل العتبات في الروايتين، وحاولت تحليل مكونات العنوان فيهما. وعرضت للروايتين بإيجاز. واستعرضت السرد، وحاولت معرفة ملامح السارد، وضمير السرد المستعمل. وأتيت على لغة الرواية لمعرفة مستوياتها. وتناولت البناء في الرواية وذلك لمعرفة العلاقة التي تربط بين فصولها، هل هي علاقة إتملم أم تضاد أم تواز؟ وعرضت للزمن في الرواية والحركات السردية من حذف ووقفة سردية وخلاصة. وحاولت أن أتتبع الإسقاطات التي تركها زمن الكتابة على زمن الأحداث. وتتبعت الشخصيات في الرواية وحاولت رصد طبيعتها من حيث كونها نامية أو مسطحة.

5. **الفصل الخامس: صورة الآخر.**

حاولت في هذا الفصل أن أرصد الآخر في أدب حنا القصصي، ومن كان الآخر في قصصه، ثم حاولت أن أتابع الآخر في شعره، وتتبعت صورة الآخر في سيرته الذاتية ثم في روايته. وعمدت إلى أن أتتبع صورة الآخر في الأجناس الأدبية المختلفة التي كتب فيها. وأردت أن أوضح الآخر الذي لم يكن على صورة واحدة، بل إن هذه الصورة تتغير وتختلف. وقد حاولت أن أظهر الجوانب التي امتاز بها الآخر في أدب حنا بعامة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء تقسيم الفصول حسب الأجناس الأدبية التي أبدع فيها حنا، باستثناء الفصل الخامس الذي خرج عن قاعدة تقسيم الفصول وذلك لأن إبداع حنا تضمن الحديث عن الآخرين الذين حكموا فلسطين، من إنجليز ويهود، كما أن انتماء الأديب للحزب الشيوعي جعله يتعرف على شيوعيين من بلاد مختلفة. وقد كان ذلك عندما سافر إلى الاتحاد السوفييتي السابق أكثر من مرة.

ولم ينس حنا أن يتحدث في أدبه عن العملاء من الفلسطينيين، حيث عدّهم من الآخر، كما أنه جعل الشيوعيين من الآخر عندما اختلف معهم.

وقد اعتمدت على النصوص بالدرجة الأولى فقرأت مضامينها ولم أكتف بذلك، وإنما أخذت أدرسها اعتماداً على الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه، وأفدت أيضاً من الدراسات السيميائية مثل دراسة شعيب حليفي "النص الموازي للرواية، استراتيجية العنوان". كما أفدت من نظرية السرد في أثناء دراستي الرواية، وبخاصة دراسة عبد العالي بو طيب "مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف" ودراسته "إشكالية الزمن في النص السردي". وأفدت أيضاً من دراسة عبد الملك مرتاض "في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

حنا إبراهيم قاصا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"قصص حنا إبراهيم بين الدارسين"

لم يكن أدب حنا إبراهيم القصصي منقطعا عن الواقع العربي في فلسطين 1948، بل استطاع هذا الأديب أن يعبر عن هموم المسحوقين من أبناء الشعب الفلسطيني.

إن انتماء الكاتب للحزب الشيوعي، جعل أدبه القصصي ملتزما بقضية الكادحين والمضطهدين. وليس غريبا أن يكون هدف الاشتراكية وصول الكادحين إلى السلطة، ليعم العدل المجتمع الإنساني، بعد أن يتم تصفية الاستغلال وطبقاته المتسلطة.

لقد تعرض أدب حنا إبراهيم القصصي للبحث والدراسة.

ومن الدارسين الذين بحثوا في قصصه، عامر جنداوي، وكان عنوان بحثه:" القصة القصيرة عند حنا إبراهيم"، وتقدم به إلى جامعة سانت بطرسبورغ عام 1997، للحصول على درجة الماجستير، وقد كان الدارس موفقا في الكشف عن موضوعات قصص الكاتب، التي تتحدث عن الأرض التي هي جوهر النزاع مع الحركة الصهيونية، كما أن الدارس يثبت أن قصص الكاتب، تتحدث في معظمها عن فترة قيام دولة إسرائيل. وتوصل إلى نتيجة توضح أن شخصية البطل البارز في هذه القصص، هو الفلاح ساكن الريف، وأن الأرض هي أساس النزاع العربي الإسرائيلي[1].

ويظهر عامر جنداوي صورة الذات العربية التي تتضامن مع أبناء جلدتها، فتشاركهم في أعمالهم، وتقدم لهم المساعدة، فأهل القرية تبدو عاداتهم واضحة، فيساعدون بعضهم عند الشدائد، ويتطوع كل منهم ليقدم ما يستطيع من مساعدة لأبناء جنسه، وقد ورد هذا في قصة "البيت القديم"، " حيث يصور القاص اجتماع أهل القرية وإجماعهم على بناء بيت لسعيد الحراث عند المختار، الذي وقع في خطأ مع بنت المختار، وكان لا بد من الإسراع في الأمر، قبل أن يظهر حملها وهو لا يملك بيتا"[2].

ويتحدث صاحب الدراسة عن اليهودي، الذي بدا قاسيا، وكان من أفراد الجيش والشرطة والحكام العسكريين، فهذا اليهودي يعتقل الفلسطيني، ويضغط بوسائل قمعه على

---

[1] عامر جنداوي، القصة القصيرة عند حنا إبراهيم،رسالة ماجستير،جامعة سانت بطرسبورغ، 1997، ص 30

[2] المرجع السابق، ص 32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفتاة الفلسطينية، ليجبر والدها على الاعتراف، وقد ظهر ذلك في قصة "أنا أبوك يا جميلة"، حيث إن الإسرائيليين "حينما اعتقلوا ابنته، لم يفعلوا ذلك لجريمة اقترفتها، بل كي يكون اعتقالها وسيلة ضغط على الأب، ليعترف بما أرادوا هم أن يعترف به"[1].

وقد ساعدت معرفة جنداوي بالعبرية، على ربط أسماء شخصيات اليهودي بمدلولاتها في قصص الكاتب، ويعد هذا من إنجازات الدراسة المهمة، فالدارس، يذكر أن "من أهم ما يلفت النظر، براعة القاص في اختيار أسماء الشخصيات اليهودية التي اختارها في قصصه"[2]، ثم توظيف هذه الأسماء في دور الشخصية ذاتها، وفي مواصفاتها الإنسانية أو اللاإنسانية، وعلى سبيل المثال لا الحصر: "زئيف" ويعني الذئب، في قصة "صور من يوم الأرض" الظالم الشرس. أرييه ويعني الأسد في قصة "ابعدوا عن الشر" لعب نفس دور زئيف في الظلم والتعذيب. يتسحاق غودمان ويعني الرجل الجيد يضحك في قصة آباء وبنون"[2]. فالذئب حيوان مفترس ويعتدي على الحيوانات الأليفة التي يملكها الفلاح، والأسد ملك الغابة وتخشاه الحيوانات جميعاً. فالاسمان يرمزان إلى القسوة والبطش، ويشكلان جانباً سلبياً أنهما لا يعرفان إلا منطق القوة. إلا أن (يتسحاق غودمان) فيتألف من (يتسحاق) بالعبرية ويعني الذي يضحك، في حين أن "غودمان" تعني بالإنجليزية الجيد.

والتفت الدارس محمود عباسي في بحثه:" تطور الرواية والقصة القصيرة في الأدب العربي في إسرائيل 1948-1976"، إلى قصص حنا إبراهيم، وقد لا حظ عباسي أن موضوع الأرض يشكل محوراً أساسياً من محاور قصص الكاتب، وهذا دفع الدارس لتناول موضوع الأرض، في قصة "الذكرى العاشرة".[3].

وتحدث عباسي عن اليهودي والذات العربية في قصة "الذكرى العاشرة"، حيث يريد حنا إبراهيم أن يلتقي الطرفان المتصارعان مباشرة وبعيداً عن المعركة والمواجهة. وهذا يتفق مع فكر القاص، وكأنه يريد أن يعطي الطرفين العربي واليهودي درساً تعليمياً، فيسمع كل

---

[1] المرجع السابق، ص 25.

[2] المرجع السابق، ص 28.

[3] انظر محمود عباسي، "تطور الرواية والقصة القصيرة في الأدب العربي في إسرائيل 1948-1976، دار المشرق، شفا عمرو، ص 129. فالأرض المفقودة، تجعل صاحبها يحن إليها، ويحاول العودة إليها، وإن كان في ذلك خطر على حياته، فهي الكنز الذي لا يفنى، وهي الحضن الدافئ، وفيها عظام الأهل والأخوة. فالأرض لها قدسية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرف للآخر، ويفهم مشاكله، ويحاول أن يساعده في دفن عظام أعزائه. وقد كان القاص موفقاً في ذلك، حيث وضح لليهودي، أن آثار جرائمه لا تزال باقية. فالعظام لأخوي الراعي سعيد اللذين قتلا في العام 1948، وموجودة في أرض بيتهم الذي يريد اليهودي أن يسكن فيه.[1]

وتناول عباسي شخصيات قصة " تحية العيد" لحنا إبراهيم، فالشخصيات عانت بسبب اللجوء والتشتت اللذين أصابا العائلة الفلسطينية، فالوالد يقيم بعيداً عن أولاده، بينما الأولاد وأمهم وجدتهم منغرسون في أرضهم، في حياة صعبة بائسة.[2]

وأظهر الدارس مشاكل الإنسان العربي في فلسطين 1948 مع الحكام العسكريين.[3]

وكتب عباسي عن القسوة الكبيرة التي لقيها أبناء القرية العربية على أيدي جنود الاحتلال، وذلك عند دراسته قصتي "الوثيقة" و "متسللون"[4].

وتعرض الدارس لقصة "حسناء"، فتحدث عن زواج البدل، الذي يميز العائلة العربية الريفية في فلسطين، حيث أن العادة متأصلة في المجتمع الريفي[5].

كما تناول عباسي في قصة "لقاء غريب"، تعالي المثقفين العرب على المثقفين والكتّاب العرب من فلسطين المحتلة 1948[6].

---

[1] انظر المرجع السابق، ص 165. " الاتصال المباشر بين العرب واليهود يزيل الحواجز والعقبات، ويمهد الطريق نحو مستقبل أفضل في العلاقة بين أبناء الشعبين"

[2] انظر المرجع السابق، ص 125. فخالد ونجوى لا يتوقفان عن الشوق للقاء والدهما. وبسبب الواقع الصعب، يقرر الأخ وأخته أن يكتبا رسالة إلى والدهما، وقد عدّ عباسي ذلك "وسيلة فنية شائعة في المذهب الواقعي"

[3] انظر المرجع السابق، ص 51. ففي قصة "أخل بالأمن" يتحدث عن الأسلوب الواقعي الاشتراكي فيها، ويتحدث عن تشابك الأحداث الرئيسية فيها مع الأحداث الفرعية

[4] المرجع السابق، ص 143.

[5] انظر المرجع السابق، ص 187. "يقضي زواج البدل، أن يتزوج رجلان، الواحد من أخت الآخر أو أبوان يتزوج كل منهما ابنة الآخر. وقد تعامل الكاتب مع هذه الظاهرة بنفور بالغ، لأنه يحط من مكانة المرأة"

[6] انظر المرجع السابق، ص 136. " فبطل القصة وهو من فلسطين 1948 يلتقي مع مواطن لبناني، فيحاول التقرب منه، ولكنه عندما يعلم أنه من إسرائيل يبدو على وجهه تعبير هو مزيج من الدهشة والاشمئزاز"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الدارسين الذين توقفوا أمام قصص حنا إبراهيم محمود غنـــايم، فتنـــاول قصـــة "الذكرى العاشرة"، وأتى على موضوع الراعيين العربيين اللذين يذهبان إلى قريتـــهما الأولـــى المهجورة[1]، بعد أن استولى عليها اليهود، غير عابئين بما يصادفهما من مخـــاطر، فـــهي الآن محتلة منذ عشر سنوات، وغير مسموح لهما بدخولها، إلا أنهما لا يهتمان لما قد يعترضـــهما، وهناك يجدان عظام أخوتهم الذين قتلوا في العام 1948، كما يجدان يهودياً يمنياً، يريد إنشـــاء بيت على أنقاض بيتهما المهدم.

ودرس غنايم قصة "جمع الشمل" فعدّها من القصص المثيرة لدى حنا إبراهيم، وهـــي "تتحدث عن الانتفاضة وصراع الجيش الإسرائيلي مع المتظاهرين"[2]، حيـــث يلتقـــي الضـــابط الإسرائيلي أبراهام بوالده العربي وهو مصاب بالرصاص، ويموت أمام عينيه، وتعرف علـــى والده من وحمة كانت موجودة على جبينه، وصفتها له والدته اليهودية. واتفق مع غنـــايم فـــي حديثه عن الشخصية في القصة، حين يذهب إلى أنها تُقدّم "صورة جديدة في الأدب العربي فـــي إسرائيل"[3]، كما وأتفق معه في وصف الراوي في القصة بأنه "العالم بكل شيء"[4].

ويظهر مما كتبه إبراهيم خليل، أن هناك خللاً في سنة نشر المجموعة الأولى، "أزهـــار برية" حيث إن تاريخ نشرها يعود إلى العام 1972، كما أن الدارس إبراهيم خليـــل يذكـــر أن المجموعة القصصية الثالثة للكاتب "الغربة" تختلف عن المجموعة "الغربة في الوطـــن"، فـــي حين أن "الغربة" هي مجموعة واحدة وليست مجموعتين كما ذكر الدارس، وأن تاريخ نشـــرها يعود إلى العام 1980، ولا يوجد للقاص مجموعة قصصية نشرت في العـــام 1981، كمـــا أن الدارس أغفل تاريخ نشر المجموعة القصصية "هواجس يومية"، على الرغم من أنـــها نشـــرت في طبعتها الأولى عام1989. فيذكر في دراسته "انطولوجيا القصة القصيرة الفلســـطينية"[5]، أن القاص حنا إبراهيم قد امتلك "أداة نثرية هي القصة القصيرة.

---

[1] محمود غنايم، دراسات في القصة القصيرة المحلية، الشرق، العدد الرابع، السنة التاسعة، تشرين أول-كانون أول، 1979 ص 17-18.

[2] محمود غنايم، المدار الصعب رحلة القصة الفلسطينية في إسرائيل، منشورات الكرمل، حيفا، 1995، ص 324.

[3] المرجع السابق، ص 324.

[4] المرجع السابق، ص 324.

[5] إبراهيم خليل، أنطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، دار الكرمل- عمان، ط1، 1990، ص 13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كتب إبراهيم خليل عن القاص بصورة عامة. كما أنه حاول أن يُكـــوِّن المحـــاور الرئيسة الأربعة، لموضوعات قصص الكاتب، ولا أختلف معه في هـــذه الموضوعـــات التـــي تتحدث عن "ذكريات ثورة 1936، وواقع العرب الفلسطينيين تحـــت الاحتـــلال البريطـــاني، وأصداء النكبة في عرب فلسطين المنفيين منهم والصامدين، والعلاقة بين العرب وحلفائهم فـــي الخارج"[1].

ويشير إبراهيم خليل في دراسته إلى قصة "رفيق في السلاح" وقد تحدث فيها الكـــاتب عن ثورة 1936[2].

أما الدارس نصر محمد إبراهيم عباس، فقد تناول قصص حنا إبراهيم بشـــكل عـــام، وركز اهتمامه على قصتي الكاتب "رفيق في السلاح" و"صديقي الصغير"، وتوصـــل إلـــى أن القاص لم يركز تفكيره في رسم الشخوص[3].

ولم يبتعد نصر عباس عن حقيقة تثبتها أعمال الكاتب القصصية، فهذا الدارس يتوصـــل إلى نتيجة واضحة وهي أن قصص حنا "تتسم ببساطة التعبير ومباشرته وواقعيته، مما يجعلـــها مزيجاً من الوثيقة التاريخية والعمل الأدبي الفني"[4].

أما الدارس كمال أبو الشباب فتحدث عن مجموعة "أزهار برية"، وقد توصل إلـــى أن القاص يتحدث "عن موضوعات اجتماعية وتاريخية"[5]، تناولها في مجموعته، كما توصل إلـــى أن القاص قد استخدم "أسلوب (الحدوتة) الحكاية الشعبية"[6]. وقد اهتم بدراسة قصة "متســـللون"

---

[1] المرجع السابق، ص 16.

[2] انظر المرجع السابق، ص 14. حيث كان "تايف الفلاح الفقير لا يجد في بيته القمح، فيتغذى على خبز الشعير، ومع ذلك يحمل السلاح ويقاتل"

[3] انظر نصر محمد إبراهيم عباس، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم- الرياض، 1982، ص 195. واستعاض عن ذلك بأن ركز اهتمامه لتجسيد الفكرة وتبيين هدف واحد، ذلك الذي وقف عنده كثيرون من كتاب الواقعية المعاصرة في فلسطين، أمثال غسان كنفاني وإميل حبيبي وغيرهما، وهو ان السلاح هو الخلاص الوحيد، وأن غيابه السبب الوحيد في النكبة

[4] المرجع السابق، ص 444.

[5] واصف كمال أبو الشباب، "القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948"، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4، بيروت، ط 1، 1990، ص 209.

[6] المرجع السابق، ص 209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحنا إبراهيم عدد كبير من الدارسين منهم شمعون بلاص الذي يعدُّ الأدباء الفلسطينيين في داخل فلسطين، أكثر قدرة في فهم الإسرائيلي، وفي قدرتهم على التعبير عن الواقع الذي يعيشونه، أكثر من الأدباء الفلسطينيين في الخارج، فالأديب في الداخل يحتك ويتعرف على الشخصية اليهودية بشكل موضوعي[1].

ومن الدارسين الذين تناولوا بعض نتاج الكاتب، الدارس عادل الأسطة، في كتابه "اليهود في الأدب الفلسطيني"[2].

"العنوان في المجموعات القصصية"

يعد العنوان في قصص حنا إبراهيم تعليميا، فهو يرشد القارئ ويعلمه ما يريد القاص أن يبلغه من أفكار.

إن عنوان المجموعة القصصية يتكون من كلمتين اثنتين هما: "أزهار" و "برية"، والكلمة الأولى مكون شيئي، والثانية مكون مكاني حيث انها منسوبة إلى البر.

وقد برزت على الغلاف صورة أزهار متفتحة وعليها بعض الأوراق، حيث تبدو الصورة مساعدة للعنوان المكتوب في توضيح الدلالة. كما ويظهر في الصفحة الداخلية العنوان بالعبرية والإنجليزية.

---

[1] شمعون بلاص، حوار مع شمعون بلاص، الجديد، العدد 5، أيار 1984، ص 12. لذلك فإن شمعون بلاص، أعطى شهادة كبيرة لحنا إبراهيم وقصته "متسللون"، فيعدها "أول إنتاج تناول هذه الشخصية بأبعادها الحقيقية هو حنا إبراهيم في قصته –متسللون–"

[2] انظر عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913–1987، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، ط1، 1992، ص 76. فتوقف أمام قصة "متسللون" ورأى أنها تتفق والمرحلة التي كتب فيها القاص قصته، حيث جو عدم الثقة والكراهية، وعدم وجود قدرة لدى طرفي الصراع في فهم بعضهما، ولذلك فإن الكاتب بمذهبه الواقعي، لا يريد تعميم القول، بل إن الأمور نسبية، فهناك يهود تتمو في نفوسهم بذور إنسانية، ويختلفون عن بقية اليهود. وقد جاء ما توصل إليه منسجماً وموضوع دراسته، فيقول: "كتب حنا إبراهيم قصته في فترة كانت فيها مشاعر العرب نحو اليهود ممتلئة كراهية"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر أن المجموعة هذه قد نشرها حنا في مطبعة الاتحاد التعاونية في حيفا في العلم 1972.

أما الإهداء فقد قدمه حنا إلى معلمه الياس حزوري.

أما مقدمة المجموعة فقد تحدث فيها عن الظروف التي رافقت كتابه الأول حتى رأى النور، وهو يبين أن هذه الأشياء تعنيه ولا تعني القرّاء، ولذلك لم يفصل طبيعتها.

وتظهر على صفحة الغلاف صورة الكاتب ويبدو فيها شاباً، كما برز عليها ملخص عن حياة الكاتب من حيث ولادته وتعليمه الابتدائي والثانوي، وعمله في مدرسة الشرطة الفلسطينية، ونشاطه السياسي في عصبة التحرر الوطني.

ويبرز في صفحة الغلاف التعريف به شاعراً بروليتارياً. كما وتبرز كتابته للقصة القصيرة التي نشر كثيراً منها في صحف الحزب الشيوعي. وتبرز صفحة الغلاف طبيعة الأدب الذي كتبه، حيث تناول واقع الشعب الفلسطيني قبل قيام إسرائيل، وواقع العرب وخاصة العمال في إسرائيل.

إن مجموعة "أزهار برية" لها صلة بالأرض، حيث إن قضية الأرض مهمة لدى الكاتب وشعبه. لكن عنوان المجموعة لا علاقة له باسم قصة محددة من قصصها. أي أن القاص اختار اسماً لمجموعته فيه قدر من الإثارة والتشويق، حيث "يكسر هيمنة العنوان الحرفي، الاشتمالي، ليؤسس عنواناً تلميحياً"[1].

ولعل الظروف القاسية التي عاشها العرب الفلسطينيون في منطقة 1948، بسبب الاحتلال الإسرائيلي وممارساته، كانت الدافع الذي دفع القاص حنا إلى أن يعبر عن ذلك الواقع الصعب بصورة أدبية.

فالفلسطينيون في منطقة 1948، اعتمدوا على ذاتهم كثيراً، بسبب واقعهم المحاصر، فكانوا عصاميين، وشقوا طريقهم دون أن يكون للعرب في الوطن العربي عليهم فضل. وهكذا

[1] شعيب حليفي، "النص الموازي للرواية، استراتيجية العنوان"، الكرمل، العدد 46، 1992، ص 83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن حالهم تشبه إلى حد كبير، حال الأزهار البرية، التي تعتمد على ماء المطـــر لتنبـت، ولا تحتاج إلى رعاية من الناس.

إن الإسرائيليين أهملوا العرب الفلسطينيين في منطقة 1948، وذلك بقصـــد ترحيلـهم وتهجيرهم. والعالم العربي لم يهتم بهؤلاء الفلسطينيين، ولم يفكر أن يقدم لهم يد العون، وبـــهذا استمرت حياتهم على الرغم من قسوة الاحتلال وسياسته، فهم بذور أزهار بريـــة تنبـت فـــي أرض غير مجهزة للفلاحة، ولا تحتاج لمن يبذرها.

ويلاحظ أن عنوان مجموعة "ريحة الوطن" يتألف من كلمتين هما: "ريحة" و "الوطـــن" فالكلمة الأولى قريبة من نطق الفلاحين، ومحولة عن كلمة "رائحة" الفصيحة. إن كلمة "ريحـــة" تعد مكوناً شيئياً. أما كلمة الوطن فهي مكون مكاني لا زال الفلسطيني يحلم به وفي العيش فيـــه حراً. وقد صدرت هذه المجموعة عن منشورات الأسوار في عكا في العام 1979.

ظهر الإهداء في المجموعة شعراً من قصيدة للقاص، وتقدم بإهدائه إلى قريـــة البعنـــة التي ظهر أهلها فلاحين نهبت أراضيهم وتحولوا بعد ذلك عمالاً. وألح في إهدائه على ضرورة النضال من أجل إحداث التغيير، وأوضح أن المناضلين هم الشيوعيون.

أما على صفحة الغلاف فتظهر دار الأسوار حريصة على نشـــر الثقافـــة الفلســـطينية لأدباء وكتاب فلسطينيين من الداخل والخارج، وتبرز منهم غسان كنفاني، ومحمود درويـــش، وحنا إبراهيم، وسميح القاسم، ومحمد نفاع، وعلي الخليلي، ونعيم عرايدي، وجمـــال قعـــوار، وأحمد نمر، وجمال بنوره، وسلمان ناطور، وسميرة عزام، وزكي درويش، وســـالم جـــبران، ونبيه القاسم.

ولم يكن عنوان مجموعة "ريحة الوطن" عنواناً لقصة من قصصها، لكـــن الفلســـطيني الذي هُجِّرَ عن بلده، يبقى مشتاقاً لها، وينتظر عودة إليها. لكن الاحتلال الذي يمارس سياســـة عنصرية، يمنع صاحب الأرض من دخولها أو العودة إليها، ويزرع فيـــها المســـتوطنات، ولا يبقى للفلسطيني الذي فُرِضَ عليه اللجوء وترك الوطن إلا أن يحن إليه، وينتظر الهواء الـــذي يحمل رائحته، فهو الذي يبقيه على قيد الحياة، وهذا هو قدر الفلسطيني أن يعيش علـــى أمـــل العودة إلى الوطن، لا أن يعيش منعماً بخيراته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأن القاص ملتصق بالأرض والوطن، يسمي مجموعته الثانية "ريحة الوطن"، فالوطن عطر ذو رائحة نفاذة، تعبق الأجواء به. ولذلك يريد أن يعطي الأجيال الفلسطينية دروسا في حب الوطن والحفاظ عليه. وأمر طبيعي أن يشم صاحب الوطن رائحة أزهاره البرية، عندما يكون حرا ولا ينافسه آخر. يتألف عنوان المجموعة "الغربة في الوطن" من ثلاث كلمات هي: "الغربة" وهي مكون شيئي و "في" وهي حرف جر يفيد الظرفية المكانية بعد أن تلته كلمة "الوطن" التي تدل هنا على المكان.

تظهر على صفحة الغلاف صورة قرية فلسطينية فيها مسجد وكنيسة، وبعض البيوت المهدومة، وتحيط بالقرية أسلاك شائكة، وفي خارج الأسلاك تظهر صورة لامرأة ورجل وطفل، ينظرون إلى تلك البيوت التي تمنعهم من الدخول إليها الأسلاك الشائكة، لكنها لا تمنع أبصارهم من النظر إلى بيوتهم. والصورة تكشف الظلم الذي يعانيه الفلسطينيون بسبب الوجود الاحتلالي لبلادهم.

٥٤٩٠٦٥

وقد كان العنوان المكتوب منسجماً مع الصورة المصاحبة له، وفيه دلالة لمضمون المجموعة، وظهر اسم الفنان الذي أسهم في رسم صورة الغلاف وهو وليد قشاش. كما ويبرز اسم دار الأسوار التي صدرت عنها المجموعة في العام 1980. وقد ظهرت على صفحة الغلاف أسماء عدد من الكتاب الفلسطينيين الذين نشرت لهم دار الأسوار أدباً، وكان من بينهم حنا إبراهيم. وقد حمل اسم المجموعة عنوان قصة من قصصها، وهي القصة الأولى في المجموعة. إن القاص الواقعي، حنا إبراهيم، يدرك ميزان القوى وتبدل الظروف والأحوال، يعلمنا أن الفلسطيني أصبح يعيش غريبا في وطنه، فمجموعة"الغربة في الوطن"، تبين العذاب الذي يلاقيه الفلسطيني، بعد أن حرم من أرضه ووطنه، وأصبح يرى خيراته بأيدي الآخرين، مما يستدعي شحذ الهمم، ليعود الحق إلى صاحبه، وليعيش حرا كريما فيه، بعد أن يرحل عنه الغاصبون.

فالغربة إن طالت على الفلسطيني، تحرمه خيرات وطنه، وتؤدي به إلى القلق والخوف، فتثير في نفسه"هواجس يومية" حول مصيره ومستقبله، والتي ستعمل على نفوره من كل ما يحيط به. ويتكون عنوان هذه المجموعة من كلمتين هما: "هواجس" وهي مكون شيئي. أما كلمة "يومية" فتشير إلى مكون زمني. وتظهر على الغلاف صورة رسمتها الفنانة الروسية غالينا بيتشورينا، حيث تبدو الصورة معبرة عن الهواجس. لقد نشرت هذه المجموعة دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشرق في العام 1989. وقدم الإهداء في المجموعة موجهاً إلى أطفال لم يبلغوا العشرين، وهو يقصد أطفال انتفاضة الحجارة.

وتكفل القاص بإعادة ثمن الكتاب لمن اشتراه ولم يفد منه شيئاً، حتى لا يخسر شيئاً، اما من حصل على الكتاب هدية من القاص، فيحق له أن يبدي رأيه فيه. وهذه الكفالة تبين أن القاص يتحمل نتيجة عمله الكتابي، وهو لا يخاف من القراء، ولذلك يقدم كفالة تطمئنهم.

ظهر على الغلاف صورة القاص. كما ظهرت ثلاث شهادات لكتّاب من الداخل تشيد بأدب حنا.

وقد كانت الشهادات للكتاب: محمد علي طه وحبيب بولس ونبيه القاسم. إن شهادات الكتاب تبين أن أدب حنا إبراهيم القصصي يحظى باهتمامهم. ولم يكن اسم المجموعة حاملاً لعنوان قصة من قصصها، إلا أن القاص استخدم هذا الاسم لمجموعته لما له من دلالة على الواقع الفلسطيني في انتفاضة العام 1987.

وقد أصدر الكاتب أعماله القصصية كاملة في طبعة جديدة، فظهر عنوان المجموعة القصصية الأولى "أزهار برية" بشكل بارز. وظهرت على الغلاف صورة لقرية فلسطينية، وشجرة زيتون كبيرة وقديمة، وإلى جانبها شيخ فلسطيني، وولد فلسطيني صغير يحمل غرسة زيتون صغيرة، فهذه الصورة توضح التحام الفلسطيني بأرضه وانزراعه فيها، وعدم تركها، كما تبين التواصل بين الأجيال الفلسطينية، حيث الكبير والصغير يعمل في الأرض.

كما يظهر أن ثلاثة كتاب تحدثوا عن قصص حنا إبراهيم وأدبه المتنوع، فنجد كلمات المدح والثناء على غلاف المجموعة القصصية الكاملة، لكل من الكتاب حبيب بولس ونبيه القاسم وحمادي فراعنه.

وظهر الإهداء إلى " الذين لا يحبون مجالسة الكتاب عل وعسى"، أما المقدمة فكانت المقدمة التي كتبها لمجموعة "أزهار برية".

وقد صدرت المجموعة القصصية كاملة، عن دار النشر العربي بيت بيرل، وبذلك تكون الطبعة الثانية لمجموعاته القصصية. وقد ظهر العنوان بالعربية والعبرية والإنجليزية. ويلاحظ من عناوين المجوعات القصصية أنها تتألف من مكون شيئي هي "أزهار" و "ريحة"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و "هواجس" و "الغربة". كما وتشترك في المكون المكاني فتظهر: "برية" و "الوطن"، وقد تكرر المكون المكاني "الوطن" في عنواني مجموعتين.

مكونات العناوين الفرعية

تظهر في عناوين قصص حنا مكونات العنوان المتعددة، فهناك مكون شخصي أو فاعل يبرز في تسعة وعشرين عنوانا، وهذا يعود إلى اهتمام القاص بالناس الذين عرفهم وعالج قضاياهم في قصصه.

لم تكن عناوين القصص تحمل مكوناً فاعلاً أو شخصياً على صورة واحدة، بل وجدت أن بعضها يتألف من مفردة واحدة، فبدت صريحة في دلالتها، ومن عناوين هذه القصص: "الغضيب" و "متسللون" و "سومارا" و "الأرملة" و "تتاشا" و "الإسكاف" و "الواشي" و "المتمردة".

إن قصة "متسللون" تتكون من كلمة واحدة وتدل على مكون شخصي. وهي تثير في نفس المتلقي الظروف التي يعيشها الناس خارج أوطانهم، مما يدفعهم إلى التسلل إليه، ليتمكنوا من التغلب على الصعوبات التي يواجهونها في الغربة.

لكن هناك عناوين لا تكتمل دلالتها بمفردة واحدة، بل تألف عنوانها من أكثر من مفردة، حتى يستطيع المتلقي أن يتعرف على مكونها الشخصي بصورة أفضل. ومن عناوين هذه القصص: "رفيق في السلاح" و "رجل محظوظ" و "صديقي الصغير" و "عن الإنسان السعيد" و "أحد الجنود المجهولين" و "معلمي القديم" و "حين لم تعد المرأة العربية ضلعاً قاصراً" و "أبناء العم: الفصل الأول" و "الفصل الثاني" و "آباء وبنون" و "أنا أبوك يا جميلة" و "الرجل الذي حمى الأمن" و "لا، لن يضيع" و "أخل بالأمن" و "خائن رغم أنفه" و "سر المرأة التقية" و "كيف خسر أبو ملحم وربح" و "خانة السيد" و "المعلمة X" و "سر العمة".

يلاحظ من عناوين قصص حنا التي حملت المكون الفاعل أنها شملت الواقع الموضوعي للحياة، وقد كان ذلك من خلال ظهور المرأة في عناوين قصص، وبروز الرجل في عناوين أخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المكون الثاني للعنوان في قصص الكاتب، فهو المكون الشيئي، فبرز هذا المكـــون في ثمانية وعشرين عنواناً. وقد برز هذا المكون واضحاً في كلمة واحدة في عناوين القصـــص "الوثيقة" و "الغربة" و "المطاردة" و "الثمن" و "حلم" و "العلم". إلا أن هذا المكون كـــان بحاجـــة إلى مفردات أخرى كي تسهم في توضيح الدلالة في عناوين القصص: "مفهوم قديم للثـــورة" و "درسان في الرماية والسحر" و "تحية العيد" و "تصفية حساب" و "جدران غير طيبة" و "تـــداء التراب" و "لقاء غريب" و "ابعدوا عن الشر" و "ميلاد جديد" و "ريبورتاج متأخر" و "خطـــوة على طريق العودة" و "ترجيم بالغيب" و "مشروع حب" و "حكايتان مـــن الســـجن" و "شـــهادة السجن" و "نهاية سعيدة" و "جمع الشمل" و "رسالة إلى السجن" و "حجر كريم" و "ذنب قديـــم" و "حديث ذو شجون" و "عود على بدء". لقد تكررت كلمة السجن في عناوين ثـــلاث قصـــص، حيث ان هذه الكلمة التي تدل على المكان قد وضحت دلالة المكون في كل من هذه العنـــاوين الثلاثة. فقصة "حجر كريم" تتكون من كلمتين تدلان على مكـــون شـــيئي، إلا أن العنـــوان لا يكشف عن المضمون، فيبدو لقارئ العنوان أن القصة تتحدث عن نوع من الأحجار الكريمـــة التي يشتريها الناس للزينة. لكن قارئ القصة إلى نهايتها يكتشف أن الحجر هو حجر طبيعـــي تمكن أحد السجناء أن يصقله ويحوله إلى خاتم أهداه إلى فتاة يحبها.

ظهر المكون المكاني في ستة من عناوين قصص حنا وهي: "مكان مقدس" و "البيـــت القديم" و "محكمة" و "الأرض الطيبة" و "ريحة الأرض" و "على الهامش". والمكـــان عنصـــر موضوعي يعيش فيه الإنسان. يلاحظ على عناوين القصص التي حملت المكون المكاني أنـــها جاءت مع كلمة أخرى لتقوم هذه بتوضيح دلالتها، باستثناء عنوان قصة "محكمة" الـــذي جـــاء واضحاً بذاته. ويظهر من هذه العناوين تكرار كلمة الأرض في عنوانين. ويتألف عنوان قصـــة "على الهامش" من كلمتين "على" وتدل على مكون مكاني بعد أن جاءت بعدها كلمة "الـــهامش". ويبدو من العنوان أن فيه حذفاً مضمونياً لكلمة "تعيش". إلا أن الكلمتين "على الهامش" تؤديـــان المعنى، حتى يكاد يكون مثلاً، يصف حال إنسان أو بشر لا يعيشون كباقي الناس.

وبرز المكون الزماني في تسعة عناوين قصصية وهي: "الذكرى العاشـــرة" و "زيـــارة صيفية" و "قصيدة لليوبيل الفضي" و "صور من يوم الأرض: كالجسم الســـليم إذا شـــكا منـــه عضو تداعت له سائر الأعضاء" و "أصداء حزيرانية" و "الحياة مســـتمرة" و "عيـــد ميـــلاد". ويلاحظ من مكونات العناوين في هذه القصص أن لها دلالة لدى الشعب الفلســـطيني. فقصـــة "عيد ميلاد" يتكون عنوانها من كلمتين: "عيد" و "ميلاد" وتدلان علـــى مكـــون زمنـــي. وهـــذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوان فيه ما يثير، ويدل على مناسبة يقيمها الناس في حياتهم الاجتماعية. إلا أن العنـــوان لا يعطي مضمون القصةــ بل يبقى غائماً إلى أن يتم القارئ قراءة القصة.

إن عناوين قصص حنا إبراهيم تكشف عن مضمونها، والعنوان يغري ويدفع للقـــراءة، وهذا أمر مألوف لدى قاص يؤمن بأن الأدب للشعب ومن الشعب، فالذي يقرأ عنـــوان قصـــة حنا، سيعرف قدرا كبيرا من القصة، وقبل أن يلج إلى أحداثها وشخصياتها، والقـــاص يـــهدف إلى التعليم والمباشرة وتوضيح الأشياء التي يتحدث عنها. وبذلك ينسجم القاص مع فكره الـــذي لا يترك الأمور دون توضيح. فالغموض أبعد ما يكون عن قاص واقعـــي اشـــتراكي، يؤمـــن بقدرة الجماهير على إحداث التغيير.

"النزعة التعليمية في قصص حنا إبراهيم"

إن عناوين قصص حنا ذات نزعة تقريرية تعليمية فيها قدر من المباشرة، وهذا يتفـــق وأهم خصائص العنوان الكلاسيكي الذي "يصوّغ التعريف بالمؤلف والجنس الأدبـــي، ويدفـــع للقراءة، وعليه فالعنوان هو مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي، وتعكس الأفكار والخلجـــات المختلقة"[1]. إن العناوين التقليدية الكلاسيكية، تهدف إلى تقديم الدروس التعليمية، وهذا ينســـجم ومفهوم الاشتراكية للأدب، ففي النظام الاشتراكي يكون دور الأديب دور المعلم، مثلـــه مثـــل القائد السياسي، وهو هنا يسخر أدبه لتثقيف الناس.

إن الاحترام والتقدير، وضرورة المحافظة على الممتلكات النضالية والتراثيـــة وعـــدم السماح بالتفريط بها، نجده في قصصه "مكان مقدس" و "البيـــت القديـــم" و "معلمـــي القديـــم" و"الوثيقة" و "أحد الجنود المجهولين" و "الأرملة"و "ريحـــة الأرض" و "حجـــر كريـــم". أي أن القاص يريد أن يوصل إلينا رسالة واضحة، بوجوب محافظتنـــا علـــى الإنجـــازات الوطنيـــة التاريخية، وعلى الإنسان الذي أسهم في تحقيقها، فهي ليست ملكا لشخص، يتصرف بها علـــى هواه، وإنما ملك جماعي تحرم إضاعته وتبديده.

إن القاص لا يتوقف عن التبليغ والتعليم في قصصه وعناوينها، فـــهو يعطينـــا قانونـــا موضوعيا، على صورة حكمة إنسانية في قصته "الحياة مستمرة"، فالتوقف عن الحيـــاة يعنـــي

---

[1] شعيب حليفي، النص الموازي للرواية، ص 85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموت، والقاص متفائل بطبعه وفكره، ولا يريد أن تتوقف مسيرة الحياة. والتعليم نجـــده فـــي "نهاية سعيدة"حيث يبدو العنوان مباشرا وصريحا وتفاؤليا. كما أن التعليمية تـــبرز فـــي قصـــة "العلم"التي تتحدث عن رفع العلم الفلسطيني فوق أسلاك الكهرباء، تحدٍ للأعداء ورمز للشـــرف والسيادة الوطنية.

وقد كان للأجواء المحيطة بالقاص أثر كبير في كتابته القصصية، فـــهو يكتـــب عمـــا يحس به ويراه، فيعيد تجربته على صورة قصة يودعها أهدافه وآراءه التعليمية، والتي يطمـــح أن يراها مجسدة ومحققة عند غيره، ليشاركوه آراءه وأهدافه. ومن ذلك قصة "حجـــر كريـــم" وقصة "العلم" ، حيث إن ظروف الانتفاضة الفلسطينية في العام 1987 ،جعلته يكتـــب هـــاتين القصتين، ليبث فيهما آراءه التعليمية، فقصته تبدو "واقعيـــة تتضمـــن رســـالة تعليميـــة، ذات مضمون سياسي مباشر"[1].

ويبرز القصد التعليمي للكاتب من خلال العنوان في قصة "صور مـــن يـــوم الأرض: كالجسم السليم إذا شكا منه عضو تداعت له سائر الأعضاء"،فهذا العنوان يبرز القاص معلمـــا وواعظا،ولذلك فقد استثمر الحديث النبوي الشريف:"مثل المؤمنيـــن فـــي توادهـــم وتراحمـــهم وتعاطفهم، كالجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمـــى"[2]. وقـــد ظهر العنوان في القصة طويلاً، كما كان العنوان العربي التقليدي، حيث أن الكاتب يهدف بذلـك إلى التوضيح والكشف والتعليم.

فالقاص في قصته لا يوارب، ولا يقول شيئا، لا تدل عليه كلمات العنوان، فهو يريـــد أن يعلي من شأن التضامن والتكاتف بين أفراد المجتمع، لمواجهة الأعداء.

ويتضح البعد التعليمي في العنوان، فالقاص له موقف محدد من المرأة، بحيـــث تـــأخذ دورها في الحياة، وأن تبقى مشاركة في هموم مجتمعها، وأنها كالرجل قدرة، ولا تقـــل عنـــه أداء، وهذا يبرز في قصته "حين لم تعد المرأة العربية ضلعاً قاصراً"، ففكر الكـــاتب ينـــاصر المرأة ويدعو إلى تحررها. وقد جاء العنوان طويلاً ليتمكن القاص من كشف مضمون القصـــة وليدفع القارئ إلى الدخول إلى عالمها. كما ان العنوان يكشف عـــن انحيـــاز الكـــاتب للمـــرأة

---

[1] محمود غنايم، المدار الصعب رحلة القصة الفلسطينية في إسرائيل، ص 105.

[2] البخاري،صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج5، ص 2238، رقم الحديث 2665، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط 3، 1407هـ- 1987م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية التي عانت كثيراً بسبب تخلف مجتمعها. كما أن قصة "المتمردة"تدعو إلى تمـــرد فتـــاة على واقعها القاسي، والكاتب يريد ألا تستكين لإرادة الوالد القاسي، الذي جعلها خادمة وليـــس ابنة. ويلاحظ من عنوان القصة انه يتألف من كلمة واحدة تدل على مكون شخصي أو فـــاعل، وقد كان الكاتب موفقاً في اختيار عنوانه، حيث أن التمرد يكون سريعاً ودون مقدمات.

وتبرز النزعة التعليمية في عنوان قصته "أحد الجنود المجـــهولين"، فـــالجندي غـــير المعروف يعمل دون كلل أو تقاعس، ويهدف حنا إلى تعليم القارئ على نوعية الجندي الـذي لا ينتظر من أحد، أن يذكره باسمه، فيتفانى في أداء عمله. فهذا العنوان يحتمل قبل قراءة النـــص تأويلات عديدة، ولكن القصة ترجح تأويلاً واحداً هو: الشخص الذي يبذل حياته دون أن يكـــون معروفاً ودون القصد من الشهرة. فالجندي الذي يدافع عن وطنه ويموت دون أن يُتَعرف علـــى جثته، هو المعنى القريب الذي يشي به العنوان. لكن المعنى البعيد الذي يخرج به القارئ، بعـــد الانتهاء من قراءة القصة، هو ذلك الشخص الشيوعي الـــذي يقـــدم ويضحـــي ولا ينتظـــر أن يحصل على مقابل لتضحيته.

كما أن القاص الذي أحب الأرض، لم يترك مجالا للقـــارئ أن ينســـى الأرض التـــي نهبت، وأصبح الدخول إليها محرما على أصحابها، إلا في حالات الموت أو الأعياد فـــالاحتلال الذي طرد أهل القرية، ومنعهم من العيش فيها، تساهل مع من بقـــي مـــن أصحابـــها الذيـــن أصبحوا يعيشون في القرى المختلفة، في فتح مقابرها لمن يموت من أهلها، أو زيارتـــها فـــي الأعياد، فثار القاص على دفن قضية القرية وقضية سكانها، وذلك بـــأن بـــدأ يبشـــر الأهـــل، بضرورة إقامة الأعراس، التي تعني الحياة على أرض قريتـــهم المـــهجورة، وهـــذا الـــدرس التعليمي يظهر في قصة الكاتب"خطوة على طريق العودة".

وقد خدم العنوان الفكرة التي ينادي بها القاص، فالحديث عن خائن قضية شعبه تـــبرز في قصتي "خائن رغم أنفه" و "الواشي"، فهو يريد أن يقدم للقارئ درســـا أخلاقيـــا ووطنيـــا. وكانت القصة تعزز ما رمى إليه القاص في العنوان، فعناوين حنا كلاسيكية، وجاءت واضحـــة وتلخص مضمون القصة، وقد أشار شعيب حليفي إلى العناوين القديمـــة ورأى أنـــها تلخـــص "مضمون النص باعتباره نواة، ومركز مجموع الأفكار داخل المؤلف"[1]. فقصة حنا "خائن رغـم أنفه" قصة ذات عنوان كلاسيكي يحتوي على قدر من الوضوح، وإذا ما قرأنا القصة وجدناهـــا

[1] شعيب حليفي، النص الموازي، ص 95.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصة شخص يعمل مديراً لمدرسة في إحدى قرى الأراضي المحتلة أثناء أحداث الانتفاضة، حيث يحاول أن يمنع التلاميذ من الاشتراك في مقاومة الاحتلال، لا لكونه عميلاً، ولكن لأنه كان يعتقد أن التعليم ضروري لهؤلاء التلاميذ، وقد كان لهذا الموقف للمدير عبد الرؤوف أثر سلبي عليه وعلى أفراد عائلته، حيث أصبح أهل القرية ينظرون إليه وإلى أولاده نظرة فيها احتقار، مما جعله يشعر بالحزن لعدم تفهم الناس له. وفي نهاية القصة تحدث مظاهرة في القرية، ويهرب الأولاد باتجاه بيت المدير، وبعد أن لاحق الجنود الأولاد، وجدوا عبد الرؤوف وأولاده في بيتهم، فضربوهم ضرباً مبرحاً واعتقلوهم. وهكذا فإن العلاقة بين العنوان والنص هي علاقة توازٍ، فما أقره العنوان بإيجاز، أوضحه جسد القصة بالتفصيل.

وألحت فكرة السجن على القاص، فتكررت في ثلاث قصص للكاتب، ولم يتحدث القاص عن السجن بصورة تجعل الشباب الفلسطينيين يخافونه، بل إن ذلك كان في خدمة القضية الوطنية، فهو يريد أن يبلّغ ويعلم المتلقي، أن السجن للإنسان الفلسطيني المناضل عن حقوقه، شهادة حسن سلوك يعتز بها، وذلك في "شهادة السجن"،كما أن الاتصال بين السجناء وذويهم يمكن تحقيقه، فالسجين ليس ميتا، بل حي متفاعل مع الحياة خارج السجن، كما أن ذويه لا ينسونه، وهذا في قصتي "حكايتان من السجن" و "رسالة إلى السجن".

ويظهر التقارب الدلالي في العناوين المتشابهة للقصص التي تحدث فيها عن الأرض، حيث تتصف بالطيبة، ولذلك فعلى الفلسطيني أن يحبها ويدافع عنها في حال تعرضها للخطر، وهذا يبرز في قصتي "الأرض الطيبة" و "صور من يوم الأرض".

وقد صرخ حنا إبراهيم في وجه مغتصبي أرض الآباء والأجداد، وفي وجه المتآمرين على قضية الحق الفلسطيني، لينبه النائم من أبناء فلسطين، أن الحق لن يذهب، ولا بد أن يعود إلى أصحابه، وهذا الشكل من الخطاب المباشر، ضروري حينما يكون العالم أعمى عن قول الحق، وهذا يظهر في قصته "لا، لن يضيع".

وقد كشفت عناوين قصص الكاتب عن نوعية القصة التي كتبها،فمعظم قصصه تدور حول فكرة، وليس شخصية أو مكان ،حيث "لابد للعمل القصصي من فكرة يدور حولها،وتكون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحرك الرئيس له، ولا شك أن الفكرة بهذا المفهوم تكون البؤرة التي تتحرك حولها وتدور من حولها الأحداث والشخوص"[1].

إن القاص مشدود إلى تحقيق أفكاره التي يؤمن بها إيمانا يقينياً، ويقوم بدور الواعظ الاجتماعي الذي يكون همه توصيل أفكاره للآخرين، ليشتركوا فيها، وهو كاتب يساري يهتم أن تصل أفكاره للجماهير ببساطة وسهولة، ليفهمها البسطاء من الناس.

إن الدفاع عن الحزب الشيوعي وأفكاره، جعل قصص الكاتب منسجمة مع هذه الأفكار،وهذا يعود إلى الأدب الحزبي الملتزم. فالحزب الشيوعي لا يعظم الأشخاص، وإنما يعظم الأفكار والمبادئ، ولا عجب أن تكون قصص الكاتب في معظمها تدور حول فكرة، لا حول شخصية أو مكان، فنحن "حين نبحث عن مصدر إعجابنا بقصة قرأناها، سنجد أن فكرتها، كان لها أثر في هذا الإعجاب"[2]، وقد جاءت الفكرة التي أرادها حنا إبراهيم أن تتبلور في ذهن المتلقي، سلسلة واضحة، ولم يقحمها "إقحاما للإشادة بفكرة أو التغني بدعوة"[3].

على الرغم من أن هناك بعض قصص الكاتب تحمل عنوان شخصية، إلا أن هذا العنوان لا يعبر عن مضمون القصة، ومن ذلك قصة "حسناء " التي تدور فكرتها حول زواج البدل في المجتمع الريفي الفلسطيني، وكذلك قصة" الأرملة" حيث لم تكن القصة لتدور حول الشخصية وحسب، وقصة "الواشي" و "خائن رغم أنفه" و "سر المرأة التقية" وكذلك في قصة "رفيق في السلاح"، أي أن قصص الكاتب كانت تتصف بتحقيق فكرة يريدها. فالشيوعيون لا يعادون الأشخاص الذين يختلفون معهم، وإنما الأفكار التي يحملها هؤلاء الأشخاص. فالعالم بالنسبة للشيوعي ينقسم إلى :عالم يتفق مع أفكاره ومبادئه، وعالم يتناقض مع أفكاره ومبادئه، ولهذا لا بد من خوض الصراع بين العالمين. ولهذا فإن الشيوعي يكرس كل ما يملكه من طاقات أدبية وذهنية ليدافع عن أفكاره، وهذا ينطبق على حنا إبراهيم الذي يؤمن بالفكر الماركسي وينتصر له، فالقصة لديه نوع من أنواع المواجهة مع من يختلفون معه فكريا.

كما توجد بعض عناوين قصص لحنا تتألف من مكون مكاني ومن ذلك: "مكان مقدس" و "محكمة" و الأرض الطيبة" و "ريحة الوطن" و "على الهامش" و "البيت القديم". وفي قصة

---

[1] نصر محمد إبراهيم عباس، الفن القصصي في فلسطين، ص 327.

[2] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط 2، 1958، ص 169.

[3] محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر–بيروت، ط 1، 1996، ص 107.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"البيت القديم" يحاول القاص أن يعلم الأجيال الفلسطينية الجديدة كيفية المحافظة على تراث الآباء والأجداد الذي يبين رسوخ شعب فلسطين.

وتوجد عناوين لقصص تتألف من مكون زماني ولها دلالة لدى الفلسطينيين، ومن تلك القصص: "الذكرى العاشرة" والتي تتناول مرور عشرة سنوات على إنشاء إسرائيل. أما عنوان قصة "زيارة صيفية" فيكشف الظلم الذي يحيق بالفلسطيني الذي هجر إلى الشتات، وتكرم عليه حكام إسرائيل بأن منحوه تصريحاً يبيح له زيارة بلده وأهله في فترة فرضت إسرائيل بقوتها هيمنتها على العالم العربي وزعمائه.

كما ظهرت عناوين قصص لحنا مكونة من مكون شيئي، ومنها: "درسان في الرماية والسحر" حيث يكشف العنوان عن بعد تعليمي. ويظهر المكون الشيئي في العنوان أيضاً في "عود على بدء" والذي يبين للقارئ أن الحياة لا تقف عند حد معين، بل قد تتقلب وتعود إلى سابق عهدها، وهذا ما حصل للبطل في القصة، فبعد أن أصبح غنياً، انقلبت الحياة وعاد إلى فقره ثانية.

"موضوعات قصص حنا إبراهيم"

بدأ حنا إبراهيم كتابة القصة القصيرة في بداية الخمسينيات، ويعد مع غيره من الأدباء من أبناء جيله، مؤسسين لفن القصة في فلسطين بعد نكبة عام 1948. ولكننا "عندما نبادر إلى الحديث عن القصة الموضوعة في أدبنا الفلسطيني قبل عام 1948، تطالعنا أسماء كان لها فضل الريادة في هذا المجال. ومن هؤلاء خليل بيدس ومحمود سيف الدين الإيراني ونجاتي صدقي وعبد الحميد ياسين وأخيراً جبرا إبراهيم جبرا وغيرهم من أمثال عارف العزوني وعلي كمال، وقبيل النكبة الأولى بقليل (1948) ظهرت الكاتبة نجوى قعوار"[1]. وبذلك وقع على عاتق من بقي في الوطن عبء رفع راية الأدب عامة والقصة القصيرة خاصة. وقد كان للظروف التي أحاطت بفلسطين، أثرها الكبير على نفسية الفلسطيني، كما أن الأحداث الكبيرة تؤثر عليه، وتدفعه أن يدافع عن ذاته بشتى الوسائل، وبذلك تستمر حياته عناء متواصلا.

[1] واصف كمال أبو الشباب، "القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948"، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4، طبعة أولى، 1990، ص 132-133.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كان للفلسطيني المقاتل دور مهم في الدفاع عن قضيته، فقد وجد دور مهم آخر للأديب الفلسطيني، الذي يكتب بمداده معاناته ومعاناة شعبه. وبهذا فإن الأديب الفلسطيني الملتزم بقضايا شعبه، يعبر عن هذه القضايا أفضل تعبير. حيث أن القضايا والموضوعات التي يتناولها في قصصه، يسعى إلى أن تعبر عن أحاسيس الشعب وطموحاته، بعد "أن يصبح الفن ملكاً خالصاً للشعب، بمعنى أنه أصبح المعبر المباشر عن أفكار الجماهير ذاتها وعن مشاعرها"[1].

وتعد الموضوعات التي تناولها حنا إبراهيم، في قصصه، من أكثر الموضوعات أهمية للإنسان الفلسطيني، فالقاص يعايش مصائب شعبه ويبصرها، فيدفعه ذلك إلى أن يخرجها موضوعات ملتزمة بقضايا الشعب. وقد تعددت موضوعات قصصه، نظراً للظروف المتعددة التي عاشها شعب فلسطين، فالوجود الاحتلالي البريطاني لفلسطين، وما رافقه من تسهيل لهجرة اليهود إليها، دفع الشعب الفلسطيني، إلى مواجهة المستعمرين ومحاربتهم في ثورات مسلحة، فكانت ثورة العام 1936 أبرزها.

إن الواقع الموضوعي جعل القاص يتفاعل معه، فنتج عن ذلك التفاعل، مجموعة من القصص التي تتحدث عن تلك الفترة من حياة الشعب الفلسطيني. وقد ظهرت للقاص مجموعة من القصص التي تناولت أحداث ثورة 1936، وكان منها: "رفيق في السلاح"، "مكان مقدس"، "مفهوم قديم للثورة "، "البيت القديم"، " درسان في الرماية والسحر"، "محكمة"، "رجل محظوظ"، "الغضيب". وقد امتلأت هذه القصص بالحديث عن الإنجليز والثورة والسلاح، حيث كانت تلك الفترة بداية حمل الفلسطيني السلاح، للدفاع عن الوطن.

وبعد أن قويت شوكة الصهيونية، بسبب الدعم الإنجليزي لها، وتآمره على أرض فلسطين وشعبها، خرج الاحتلال الإنجليزي، بعد أن دمّر كل مصدر للقوة في فلسطين، مما أعطى الحركة الصهيونية تفوقاً عسكرياً، ودفعها إلى أن تعلن عن إقامة دولة إسرائيل في اليوم الذي خرجت فيه القوات البريطانية. وكانت هذه الحقبة الزمنية من أقسى الحقب التي عاشها الشعب الفلسطيني، وقد أ ثْرَتْ أحداثها قصص حنا إبراهيم بموضوعات من الواقع، فالعائلة الفلسطينية تشتت شملها، وجنود جيش الإنقاذ تركوا الوطن دون قتال ولم ينقذوا إلا جلودهم،

---

[1] جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، تعريب فؤاد مرعي، الجزء الثاني، دار الفارابي، ودار الجماهير العربية، 1978، ص 289.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفلسطيني الذي خرج من الوطن، يحاول العودة غير عابئ بما يلاقيه من أخطار، فيتسلل إلى أرضه وبيته مخاطراً بحياته لهول ما رأى في الغربة من عذاب. إنها العودة إلى الوطن وإن كان ثمنها الدم والموت، وبذلك فقد ظهرت القصة عند حنا إبراهيم وهي "تعكس حقبة زمنية من جميع جوانبها"[1].

وقد ظهرت قضية اللجوء والشتات والموت بعيداً عن الوطن في قصة "معلمي القديم"، حيث يموت المعلم بعيداً عن بلده، ودون أن يحفل بموته أحد، فلم يحضر تشييع جثمانه أحد من أصدقائه وتلاميذه، ولم توضع فوق قبره أكاليل الزهر، وقد يعلق أحد من الناس بقوله: إن أحد اللاجئين مات[2].

كما كان الشيوعيون ونضالهم موضوعاً من موضوعات قصصه، حيث يقع على كاهلهم دور كبير في التغيير نحو الأفضل، فهم يعملون دون كلل أو ملل، ولا ينتظرون من شعبهم مكافآت خاصة، بل يريدون من هذا الشعب أن يكون إلى جانبهم. وهم –هكذا يصورهم حنا– يتميزون بصفات التضحية والشجاعة، فلا يترددون ولا يخافون من بطش الأعداء. إنهم بشر من نوع جديد، فلا يستغلون الناس ولا يتكبرون على أبناء شعبهم.

لقد تردد موضوع الشيوعيين في قصة "قصيدة لليوبيل الفضي" و "عن الإنسان السعيد" و "لقاء غريب" و "تتاشا" و "ابعدوا عن الشر" و "أحد الجنود المجهولين" و" الغربة" و"الإسكاف" و "ميلاد جديد".

ويحضر موضوع الأرض والدفاع عنها والحنين إليها، في قصص الكاتب الفلسطيني في داخل فلسطين، حيث إن هذا الموضوع هو أصل الصراع مع الحركة الصهيونية التي تخطط لتفريغ أرض فلسطين من أهلها الأصليين، ليحل مكانهم صهاينة، قدموا من أقطار العالم المختلفة عبر عملية مبرمجة لإنشاء مجتمع هجين من مجتمعات مختلفة، ويجمعهم رباط ديني يهودي. وبسبب الأخطار التي تهدد الأرض، فقد "أظهرت القصة العلاقة الوطيدة التي تربط بين الإنسان والأرض، كما في مجموعة "أزهار برية""[3].

---

[1] محمود عباسي، تطور الرواية والقصة القصيرة، ص 119.

[2] حنا إبراهيم، الأعمال القصصية الكاملة، دار النشر العربي، بيت بيرل، ص 146.

[3] محمود غنايم، المدار الصعب، ص 188.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن قضية الأرض والدفاع عنها مقتصرة على مجموعة الكاتب "أزهـــار بريـــة" وحسب، بل ان موضوع الأرض ذو حضور في مجموعاته القصصية الأخـــرى. وقـــد بـــرز موضوع الأرض وحمايتها في قصصه: "معلمي القديم" و"الأرض الطيبة" و "ريبورتاج متـــأخر" و "صور من يوم الأرض: كالجسم السليم إذا شكا منه عضو تداعى لـــه ســـائر الأعضـــاء" و "حين لم تعد المرأة العربية ضلعاً قاصراً " و "خطوة على طريق العودة" و "ريحـــة الأرض" و "أبناء العم الفصل الأول" و "الفصل الثاني" و " آباء وبنون" و "المطاردة" و "ترجيـــم بـــالغيب". لقد عانى الفلسطيني تحت الاحتلال ظروفاً قاسية، لتمسكه بأرضه وعدم تركها، فدافع عنها فـــي ظروف شديدة الصعوبة، ودفع الثمن غالياً من دمه بسببها، ولم تفلح سياسة الاحتلال القمعيـــة في إيجاد جيل فلسطيني يسلم الأرض لليهود ويتنازل لهم عنـــها، بـــل بقيـــت قضيـــة الأرض والدفاع عنها هوية الفلسطيني التي لا يقبل التخلي عنها. ولذلك فـــإن "تضالنـــا للدفـــاع عـــن أراضينا التي سقيت بدم شهدائنا الذين تم اغتيالهم في يـــوم الأرض، أصبـــح أمثولـــة للأمـــم والشعوب الأخرى التي تناضل لحماية أراضيها ووجودها. ونقسم أننا ســـنحافظ علـــى تـــراث وطننا بالدم والروح ونقسم أيضاً أننا لن نفنى بل سنستمر كالتراب"[1].

وبرز موضوع القمع الصهيوني ضد الفلسطيني الذي يتمسك بالأرض، ويدافع عنـــها بكل ما أوتي من قوة. وقد برزت سياسة الاحتلال القمعية في قصص الكاتب: "أنا أبـــوك يـــا جميلة" و "الرجل الذي حمى الأمن" و "الثمن" و "حلم" و "لا، لن يضيع" و "مشروع حـــب" و "أخل بالأمن" و "أصداء حزيرانية ".

إن هذه القصص تتحدث عن منع الفلسطيني من التنقل والسفر، إلا بعد الحصول علـــى تصريح، وقد عانى العرب في منطقة 1948 من هذه القوانين الجائرة زمناً طويلاً، وقد كـــان الفلسطيني الذي يخالف هذه الأنظمة والقوانين، يتعرض للاعتقال والمحاكمـــة، وقـــد كـــان " التصريح يعطى إلى مكان بعينه إلى حيفا أو تل أبيب مثلاً، ويحدث أن عاملاً ما يحصل علـــى تصريح بالسفر إلى تل أبيب ولا يجد فيها عملاً، بل يجد عملاً مثلاً في رمات غـــان أو بنـــي براك، ووضعه في هذه الحالة، كوضع من خرج من قريته دون تصريـــح نصيبـــه المحاكمـــة العسكرية بالسجن والغرامة"[2]. كما ان سلطات الاحتلال كانت تغلق أرض الفلسطيني، وتمنعـــه من دخولها، وذلك بحجة إجراء التدريبات العسكرية، ومن ثم تعمـــد إلـــى "مصـــادرة معظـــم

[1] حسن أمون وأوري ديفيس ونصر دخل الله، "العرب الفلسطينيون في إسرائيل"، ص 36-37.

[2] حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة، دون ط، ودون تاريخ، ص 86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأراضي التي يمتلكها العرب، وما تبقى من أراضٍ تمت زراعتها بوسائل بدائية، ولم يسمح الحكم العسكري بخروج العمال العرب إلى العمل في المدن، والبحث عن مصادر رزق جديدة إلا بعد منتصف الخمسينات"[1].

ولم يترك القاص فترة من الفترات التي عاشها شعبه دون توثيق وتسجيل، وهذا ينسجم مع الكاتب الذي يؤمن بالواقعية في الأدب، حيث أن الواقع يفرض عليه أن يكتب بطريقة تخدم الواقع لأنه ملتزم، فهو لا يكتب من أجل الكتابة، وإنما يكتب ليحرّض ويعظ وينصح، فهو "لا يتأثر بالمجتمع فقط، إنه يؤثر فيه، والفن ليس مجرد إعادة صنع الحياة فقط وإنما تكوين لها أيضاً"[2].

وقد شكلت الانتفاضة التي شهدتها المناطق المحتلة منذ العام 1987، موضوعاً بارزاً في مجموعة الكاتب القصصية "هواجس يومية"، حيث الحديث عن أشكال النضال المتعددة، من رفع الأعلام الفلسطينية، واستشهاد الشباب الذين يقاومون جنود الاحتلال، والاعتقال الذي يدفع فيه الشاب الفلسطيني زمناً طويلاً من عمره وراء القضبان.

وقد تحدث القاص عن الانتفاضة وأحداثها في معظم قصص مجموعته، ومنها: "العلم" و "حكايتان من السجن" و "شهادة السجن" و "نهاية سعيدة" و "الحياة مستمرة" و "جمع الشمل" و "على الهامش" و "خائن رغم انفه" و "الواشي" و "رسالة إلى السجن" و "حجر كريم".

ولكي يكون القاص واقعياً في تصويره لحياة المجتمع الذي يعيش فيه، ينبغي ألا يظهر الإيجابيات في مجتمعه ويخفي السلبيات، لأن ذلك هو شأن الكاتب المثالي، الذي لا يرى إلا جانباً واحداً فقط. إلا أن حنا إبراهيم الذي حمل فكراً مادياً، يصعب عليه النظرة الأحادية في تشخيص النواقص في مجتمعه. وقد شغلت القضايا الاجتماعية حيزاً كبيراً في قصصه. فموضوع زواج البدل في المجتمع الريفي، وعدم زواج الفتاة التي كان لها علاقة برجل، وموضوع السحر والرقية، والخلافات الاجتماعية والسرقة والفقر والغنى، شكلت موضوعات مهمة في قصصه: "حسناء" و "عيد ميلاد" و "ذنب قديم" و "سر المرأة التقية" و "كيف خسر أبو

---

[1] محمود عباسي، تطور الرواية والقصة القصيرة، ص 168.

[2] أوستن وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والآداب، 1972، ص 129.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحم وربح" و "خانة السيد" و "حديث ذو شجون" و "عود على بـــدء" و "المعلمـــة x" و "ســـر العمة" و "المتمردة".

"بناء القصة عند حنا إبراهيم"

يُعدُّ الحدث في القصة القصيرة عنصراً مهماً من عناصرها المتعددة، فهو اللحظة التـــي يبدأ القاص فيها بنسجه القصصي، فيركز اهتمامه عليها دون سواها. ولا يستطيع كاتب القصـــة أن ينقل المعنى دون حدث،وبدونه يصبح المعنى فارغاً. كما أن الشخصية تصبـــح غـــير ذات بال، إن لم يوجد في القصة ما يشغلها. وبهذا فإن الحدث في القصة القصيرة، يحفظ المعنـــى، ويحافظ على إنسانية الشخصية، فيجعلها تعمل وتكد وتبحث وتحاول أن تغير، ولهذا فإن هنـــاك علاقة وثيقة بين الحدث والشخصية والمعنى، وبوجود هذه العلاقة "لا تصبح القصـــة مجـــرد خبر يزودنا بالمعلومات، بل حدثاً كامل التطور له بداية ووسط ونهاية. أي أن كل مرحلة فيـــها تؤدي بالضرورة والحتمية إلى المرحلة التي تليها، فتثير الرغبة في القارئ، ثم تشبعها، وبذلـــك يتحقق لها الشكل، وهو ما يميز العمل الفني عن غيره من الأعمال"[1]، أي أن القصة القصـــيرة تحاول التركيز على حدث محدد في زمن محدد، دون أن يكون له صلة بما قبله أو ما بعـــده، فهي اقتناص للحدث في تلك اللحظة.

والحدث في القصة لا يبقى ثابتاً وجامداً، بل لا بد أن يتطور، فيكبر ثم ينمو ويتصـــاعد في عملية التفاعل مع الشخصيات، ليشكل ما يسمى بالذروة، فيبدو التوتر والاضطـــراب فـــي "نقطة فاصلة في القصة، تتدرج الحوادث قبلها صعداً حتى تصل إلى ذلك التوتر، ثم تبدأ بعـــده بالتصفية والتكشف، إلى أن تبلغ النتيجة أو الخاتمة"[2].

وعند وصول الحدث إلى ذروة تطوره، تصبح القصة متوترة وعنيفة، ولهذا فإن هـــذا التوتر، لا بد أن ينتهي ويختفي عندما تصل إلى نهايتها. ولا بد أن يأتي الحل وإعادة التـــوازن للقصة، بعد أن يكون الكاتب قد أدى فكرته التي تلح عليه، ووصل إلى " لحظة التنوير، التـــي تضع النهاية الطبيعية والمنطقية للقصة"[3].

---

[1] رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1959، ص 92.

[2] محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، ط 1، 1996، ص 35.

[3] نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، دار غريب، القاهرة، 1998، ص 173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما حنا إبراهيم، فقد سار في بناء قصته معتمداً على الشكل التقليدي المعروف، فلعتمد كغيره من أدباء الأرض المحتلة على مساحة الحدث، التي تمتد من بدايته بسيطاً وسهلاً، ثم تفاعله مع الشخصيات، ليشكل ما يسمى بالذروة أو القمة، ثم إعادة الحدث بسيطا كما في البداية، وهو ما يسمى بالتوازن أو الحل أو لحظة التنوير، أي أن " هيكل القصة يقوم على ثلاث دعائم أساسية: العقدة ثم الصراع والاضطراب الناشئين عن العقدة، ثم الحل الذي يعيد التوازن إلى القصة، وهذا هو الهيكل الكلاسيكي المتعارف عليه، والقصة المحلية بأغلبيتها، كتبت على هذا النمط"[1].

وتظهر بداية القصة عند حنا إبراهيم سهلة وبسيطة، وتستجيب لفكره الواقعي، وتكشف عن الفكرة التي يريد تناولها، فهو يهتم بتحقيق فكرته ووصولها إلى القارئ، وهناك تقارب في بدايات قصصه، حيث يغلب عليه أن يبدأها بفعل ناقص كما في قصصه:"رفيق في السلاح" والتي يبْدؤها بقوله:"لم تكن ظلمة الغسق قد انقشعت"، و "مكان مقدس" يبدؤها بقولهْ: "كان نايف يراقب الجمال بقلق" و "مفهوم قديم للثورة" يبدؤها بقوله: "كان صباحاً ربيعياً دافئاً" و "صديقي الصغير" يبدؤها بقوله:"لست أدري كيف جاز إطلاق اسم طريق على الدرب المنحدرة من القرية الجبلية" و "قصيدة لليوبيل الفضي" يبدؤها بقوله:" كانت أمسية ربيعية"، و "عن الإنسان السعيد" يبدؤها بقوله: "كان الوقت صباحا"، و"معلمي القديم" يبدؤها بقوله: "لم يكن من عادتنا الاحتفال بعيد رأس السنة" و "تتاشا" يبدؤها بقوله: "كانوا أربعة في غرفة الانتظار لإحدى العيادات في موسكو" و "صور من يوم الأرض: كالجسم السليم" يبدؤها بقوله: "لم يكن الوقت متأخرا جدا حينما دفع سجان بحسن أبو راجح إلى القاووش، و "الغربة" يبدؤها بقوله: "لم تكن منتهى تؤمن بكشف البخت وقراءة الفنجان أو استطلاع الحظ" وقصة "الأرملة" يبدؤها بقوله: "لم يكن أبو مجيد مستاء من العطلة الإجبارية في ذلك اليوم الذي كانت فيه البلاد تحتفل رسميا بذكرى قيام الدولة" و "الثمن" يبدؤها بـ"لم يكن أبو طلال بحاجة إلى النظر إلى الساعة أو النجوم ليعرف الوقت" و "نهاية سعيدة" يبدؤها بـ"ليس بين أن تتعفن في السجن وتفقد اتجاهك وبين أن يتصلب عودك وتتطهر نفسك" و "ميلاد جديد" يبدؤها بـ"كان أبو شاكر في غاية السعادة" و "مشروع حب" يبدؤها بـ" كنا صغاراً حين انتقل بنا الوالد من القرية إلى المدينة بحثا عن الرزق " و "ترجيم بالغيب" يبدؤها بـ" كانت عائشة كمعظم نساء الحارة تتطير وتتفاءل وتؤمن بفتح البخت بفنجان القهوة".

---

[1] محمود غنايم، دراسات في القصة القصيرة المحلية، الشرق، العدد الرابع، السنة التاسعة، تشرين أول-كانون أول، 1979، ص 27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الحدث في قصة حنا إبراهيم، فيتطور بشكل منطقي، حيث إن القـــاص يســيطر على أحداث قصته وشخصياتها. ومن أمثلة ذلك قصة"مكان مقدس"، فيظهر نايف الــذي ينقــل الحجارة لبناء المسجد في القرية، يجلس للراحة قليلا، بعــد أن يــنزل حمولــة الجمــال مــن الحجارة، بالقرب من بيت سعدية، التي تدعوه إلى ظل شجرة أمــام بيتــها، وتقــوم بإســعاف إصبعه الذي أصيب في أثناء العمل، ثم يدور حديث بينهما حول الزواج، وتكون سعدية أرملــة ونايف أرملا. وتعلم سعدية نايفا عن نية كثير من الرجال بالزواج منها. ثم يحدث أن يأتي أحــد رجال نايف ليطلب إليه الخروج إلى مكان محدد لاستلام ذخيرة لبنادق الفصيل.وبعد أن غــادر نايف، يأتي إلى بيت سعدية أحد رجال نايف ويحاول أن يتودد إليها، إلا أنها رفضته، وأخبرتــه بنية نايف الزواج منها. ويحدث أن يحاصر الجنود البريطانيون القرية ليلا، مما جعــــل ذلــك الثائر الذي أتى إلى بيت سعدية، يستعد للخروج، لخوفه على رفاقه الثوار. وبعد زمن قصــير يعود ذلك الثائر مصابا، وتقوم سعدية بإسعافه. وبعد ذلك يحاول الرجل الخروج، إلا أن ســعدية تمنعه،بسبب الإصابة. وتخرج سعدية من بيتها وهي تركب الفرس ليلا، لتصل إلــى الخروبــة التي يجتمع عندها نايف برجاله. ويعد هذا ذروة تطور الحدث في القصة. فالحدث بدأ بــالنمو والتصاعد إلى أن وصل الذروة، عندما خرجت سعدية من بيتها ليلا على ظهر الفرس، لتمنــع الأذى عن الثوار.

أما نهاية القصة عند حنا إبراهيم، فجاءت في معظمها تفاؤلية، حيث أن هذا ينسجم مــع موقف الكاتب الفكري الذي كان يؤمن بانتصار الاشتراكية، وهذا موقف الكتاب الاشــتراكيين الذين يؤمنون بأهمية تحقيق الاشتراكية وسيادة أفكارها، لتعديل هذا العالم المختــل التــوازن. فقصة "رفيق في السلاح"، جاءت نهايتها تفاؤلية وإيجابية، حيث كشفت عن واقع اجتماعي، هــو تقديم مصلحة الآخرين على الذات، أي أن النهاية تعلم القارئ درسا في التعــاون بيــن أبنــاء الشعب الفلسطيني في المحن والمصائب. وجاءت النهاية حزينة وتراجيدية في "مكان مقــدس"، حيث خرجت سعدية من بيتها ليلا على الفرس، لتصل إلى مكان اجتمــاع الثــوار، لتخــبرهم بوجود الجنود البريطانيين في القرية، وتقتل أثناء ذلك،وتدفن في المكان الذي استشهدت فيــه، ولكن استشهادها لم يذهب عبثاً فقد أدى إلى نجاة الثوار وعدم وقوعهم في شــرك الإنجلــيز، وهكذا كان موتها إنقاذاً لحياة الآخرين. ويذكر هذا ببيتي معين بسيسو

"أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح"[1].

[1] معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، ط 2، دار الأسوار، عكا، 1988، ص 51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قصة"البيت القديم" جاءت النهاية تفاؤلية، حيث بقي البيت قائما، ولم يسمح الوالد بهدمه، ليقام فوقه بناء جديد. كما كانت نهاية قصة "درسان في الرماية والسحر" تفاؤلية، حيث إن الوالد لم يعاقب ابنه، لموت الحمار الذي تسبب الابن في قتله، وطمأن الوالد ابنه بقوله: "إن شاء الله في الشهر القادم سنشتري حماراً"[1].

وقد ظهرت النهاية التفاؤلية في قصة "عن الإنسان السعيد"، حيث حضر الرفاق الشيوعيون الذين زاروا موسكو في الاحتفال بمرور خمسين سنة لانتصار الثورة الشيوعية. وقد ظهر انحياز الكاتب في نهاية القصة واضحا حيث يعدها "أعظم ثورة في تاريخ البشرية جمعاء"[2]. وتنتهي قصة "أحد الجنود المجهولين" بصورة تفاؤلية، حيث إن أبا إلياس العامل في المطبعة لم يستسلم للمرض الذي أصابه، وأصر على العمل بعزم وقوة على الرغم من أن الجو كان جوا حربيا- ليسهم في إصدار جريدة الحزب في صبيحة الخامس من حزيران 1967. وعلى الرغم من موت أبي الياس، إلا أن الجريدة استمرت في الصدور، وهذا في قوله: "من المؤسف أن أبو الياس الجندي المجهول لم يعد بيننا بعد.لقد توقف قلبه عن الخفقان، ولكن الجريدة استمرت في الصدور(وأشار إلى صدره) وعاشت في الصدور، فلنشرب نخب الاثنين معا"[3]. وهذا يعني أن الحياة ليست مرتبطة بفرد.

كما برزت النهاية التفاؤلية في قصة "تاشا"، عندما قامت الفتاة الروسية نتاشا، بتسليم إبراهيم، الرفيق الشيوعي، من فلسطين 1948 ورقة مطوية، فيها صورته معها وهو يقبلها بشفتيه. وقد جاءت النهاية منسجمة مع توجه الكاتب الفكري، الذي أبرز صورة الشيوعي مشرقة، فالرفيقة نتاشا لم تسمح له بتقبيلها، لأن مثل هذه المرأة ليست رخيصة كما في المجتمعات الرأسمالية، التي تحول الإنسان إلى شيء، وحتى تثبت صداقتها وبراءتها جعلت القبلة تحدث في الصورة .

ظهرت النهاية تفاؤلية في قصته "ابعدوا عن الشر" بعد أن أصبح والد طه مؤيدا للحزب الشيوعي، بعد أن كان في السابق قد عاقب ابنه بسبب تأييده لذلك الحزب.كما جاءت نهاية قصته"خطوة على طريق العودة" تفاؤلية، فموت الياس سمعان أثناء العمل، لم يمنع أحد شباب القرية، من متابعة فكرة الياس والمتمثلة بعقد قرانه في كنيسة القرية المهدمة. وهذا يتفق

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 49.

[2] المصدر السابق، ص 115.

[3] المصدر السابق، ص 207.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وموقف الكاتب الفكري، الذي يطمح أن تتحقق عودة اللاجئين والمشردين إلى قراهم التي احتلها اليهود.

ويمكن القول إن أكثر قصص حنا إبراهيم تحفل بهذه النهاية التفاؤلية، وقد لاحظت ذلك في القصص التالية: "العلم" و "نهاية سعيدة" و "جمع الشمل" و "نداء التراب".

وعلى الرغم من أن نهايات قصص حنا إبراهيم جاءت تفاؤلية في معظمها، وتشف عن طبيعة تفكيره،إلا أن نهايات بعضها جاءت حزينة وتراجيدية، وهذا يهدف إلى تحقيق قدر كبير من الواقعية، فالحياة لا يمكن أن تكون إيجابية في الأوقات كلها، بل لا بد أن تأتي على الإنسان لحظات يكون فيها حزينا. وقد كانت بعض هذه النهايات الحزينة في بعض قصصه. فنهاية قصته"مشروع حب" جاءت تشاؤمية، لعدم تمكن الياس من لقاء محبوبته ثانية، كما أن ظهور الدور المهدومة في نهاية القصة يوحي بالحزن. كما ظهرت نهاية القصة حزينة في قصته "صديقي الصغير" حيث انفجر لغم بصديقه الصغير تيسير، فقتل وبرزت قدمه مبتورة، وتلبس الحذاء الجديد الذي اشتراه المعلم لتيسير. وبرزت نهاية القصة حزينة في قصته "ذنب قديم" وذلك بأن توفيت وداد ولم يتم زواجها من المعلم الريفي، وقد كان ذلك موفقا من الكاتب، لإضفاء صفة الواقعية على ما يكتب.

"الشخصية في قصص حنا إبراهيم"

يعد عنصر الشخصية من أكثر عناصر القصة القصيرة أهمية، فهذا العنصر يتفاعل مع الأحداث والأفكار لتكتمل القصة. فأي حدث مهما كان كبيرا أو صغيرا لا يمكن أن يوجد دون شخصية، كما أن الأفكار لا يمكن أن تتولد إلا في عقل الشخصية.وعلى الرغم من أن شخصيات القصة ورقية ومن صنع الكاتب، إلا أن لها علاقة وثيقة بالواقع الحياتي، فهي "تعكس صور الصراع الحيوي الذي تتصل عراه بين أعضاء هذه المجموعة الإنسانية الصغيرة، التي عزلها الكاتب عن تيار الحياة المتدفق، ليصفها لنا في دقة وأمانة، دون أن يفصم ما بينها وبين الحياة الكبيرة الزاخرة من أواصر وأسباب"[1].

[1] محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن كتاب القصة الفلسطينية في فلسطين المحتلة، يصنعون شخصيات قصصهم بما ينسجم والفكر الذي يؤمنون به، فقسم منهم يؤمن بالواقعية الاشتراكية، ويظهر ذلك بما يقدمونه من شخصيات يكاد يكون لها رصيد في الحياة. فهم يكتبون من أجل التأثير في الشعب، وحتى تكون الكتابة مؤثرة في الناس، فقد عمدوا إلى جعل قصصهم نباتا يسقى من هموم الشعب وعرقه، كما "اكتشفوا أن القصة يجب أن تكون من تربة هذه البلاد، من عرق الفلاح والعامل ومن الموظف أيضا"[1]. وحنا إبراهيم كان شيوعياً، والكاتب الشيوعي يكتب عن واقعه ولصالح بشره ولصالح الطبقة العاملة.

وقد كان لالتزام حنا إبراهيم بالواقعية من ناحية، وبقضية شعبه من ناحية أخرى، تأثير كبير في رسمه لشخوص قصصه، فهو يكتب عن هموم الناس الذين ينتمي إليهم، ولذلك فإنه اختار شخصيات قصصه من شعبه، أو ممن تعرف عليهم في سفره إلى الاتحاد السوفيتي قبل تداعيه وانهياره.

تعد الشخصيات الريفية من أبرز الشخصيات التي وردت في قصصه، حيث إن الكاتب ريفي، وعلى دراية كبيرة بما يحيط بهذه الشخصيات. وقد ظهرت شخصية نايف في أكثر قصص "أزهار برية" قائدا لفصيل الثوار في عدد من قصصه، وهذا يعود إلى رغبة الكاتب في تعريفنا على الإنسان الفلسطيني الريفي، الذي حمل السلاح، ليدافع عن شعبه وقضيته في ثورة 1936. كما وتظهر صورة الفلسطيني الذي يحترف مهنة "اللجم على الدواب" حيث إن أبا خليل في قصة "درسان في الرماية والسحر" يتقن مهنته، ويأتي إليه الفلاحون الذين فقدوا دوابهم، ليقوم بعملية "اللجم" عليها، كي لا تأكلها الوحوش المفترسة.

كما وتظهر في قصة "تحية العيد" صورة الفلسطيني الذي يرفض أن يأتي الأطفال الصغار إلى حقله، لتقديم المساعدة، فيبدو أبو خليل رجلا قاسيا، فلا يسمح للطفلين خالد ونجوى بالدخول إلى حقل الزيتون الذي يملكه. لأن الفلاح لا يحب أن يشاركه الأطفال في عمله، خوفاً من تخريب المحصول على أيدي أولئك الأطفال الذين لا يتقنون عملهم من ناحية، وخوفاً من قيام الصغار بسرقة جزء من المحصول من ناحية ثانية.

---

[1] مرشد الخلايلة، ندوة الجديد، الأقصوصة المحلية واقعها وآفاقها، الجديد، العدد 9 السنة 19، أيلول 1972، ص 13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وتبرز في قصة "المتمردة" صورة الفلاح الذي لا يريد لمن يعمل عنده أن يرتاح، لينجز عمله بسرعة. فأبو يوسف يأمر ابنته أن تضع الماء وزوادة الطعام تحت كوم من القش، وليس تحت شجرة زيتون، كي لا يؤدي ذلك إلى تقاعس العمال في عملهم ، إنها شخصية تحسب الأمور حسابا دقيقا، فعلى الرغم من بساطتها إلا أنها تريد استغلال طاقة العامل وقوته إلى أقصى درجة، وهذا يظهر في قوله:"وكانت تعرف سلفا أن أباها لن يقر وضع الماء والزاد تحت الزيتونة، ليس لأنها بعيدة عن مكان العمل، بل لخشيته أن يستهوي الظل الوارف الحصادين فيكثرون من التردد بحجة الشرب"[1].

وتظهر شخصية الفلسطيني الذي يحب الأرض، ويدفعه حبها إلى تسجيلها باسم حفيده، لأن الابن لا يستحق الأرض، بل يضيعها، وهذا يظهر في قصة "ريحة الأرض" بعد أن يقوم الجد علي الصالح بتسجيل أرضه باسم حفيده، لأنه سيحافظ عليها.

أما شخصية المختار في قصص الكاتب، فبرزت سلبية وذلك أن "هذه الشخصية التي لها حضور بارز في القصة الفلسطينية القصيرة تحديدا، حضور يبدو، بشكل عام سلبيا وغير مشرف للمخاتير الذين بدوا في زمن الإنجليز خدما للإنجليز، وفي زمن الأردن خدما للنظام الأردني، وفي زمن الاحتلال خدما للاحتلال، وقلة قليلة من الكتاب من رسم لهم صورة إيجابية"[2]. فهي شخصية تقدم الذبائح في عيد استقلال دولة إسرائيل، وتشارك في هذه المناسبة أعداء الإنسان الفلسطيني فرحتهم باغتصاب الأرض، وقد ورد هذا في قصة "الذكرى العاشرة".

كما أن شخصية المختار تبدو غير إيجابية في قصة "محكمة"، فالمختار يفتح بيته لاستقبال القائمقام الذي ترسله السلطات البريطانية، ويقدم له ولحاشيته الطعام، ويحتفل بقدومه. ولم تكن الشخصية القصصية التي رسمها حنا إبراهيم مثالية،"بل كانت مزيجا من الخير والشر كالشخصيات العادية التي نراها في حياتنا اليومية أو نكتشفها في ذواتنا"[3].

وقد كان لشخصية المرأة ظهور كبير في قصصه، وهذا يعود إلى إيمانه بدور المرأة في الحياة، فهو يريد لها أن تتحرر من قيودها التي تمنعها من التقدم. وقد ظهرت صورة الأم الفلسطينية التي تبقى قلقة على ابنها الذي خرج ولم يعد أثناء النهار.فأم نايف في قصة "رفيق

---

[1] حنا إبراهيم، المتمردة، الجديد، العدد 3، شباط، 1956، ص 24.

[2] عادل الأسطة، سؤال الهوية، فلسطينية الأدب والأديب، دار الشروق، عمان، ط 1، 2000، ص 74-75.

[3] محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في السلاح" بقيت قلقة على ابنها نايف، الذي خرج في مهمة للثورة في 1936. كما أن الأم أمينة في قصة "الذكرى العاشرة" تبقى إلى وقت متأخر من الليل وهي تنتظر ابنيها اللذين خرجا لإحضار أبواب بيتهما الجديد على الجمال في أحداث 1948.

وتظهر شخصية المرأة المنجمة في قصة "درسان في الرماية والسحر"، فأم حسين تقرأ بالفنجان وتعرف الحظ ومصير البشر. فهي تعرف أن الولد الذي وقع عن سطح البيت، أثناء محاولته القفز بين سطحين، ولم يخبر أهله بما حصل معه، أصابته عين حسود. كما أن المرأة المنجمة تبرز في قصة "المتمردة"، فأم سعد البصارة تعرف الغيب والمستقبل[1]، وما سيرزق به الإنسان من أولاد. كما أن كلماتها مهمة ويقينية عند أهل القرية، لما في كلامها من أمور محببة لديهم، ويعتقدون أنهم سيرونها حقيقة. وكانت المنجمة تعطي الريفي تميمة ليعلقها حول عنقه لتحفظه من الشرور، ولتجعل ذريته من الذكور . وتظهر في "المتمردة" شخصية المرأة القابلة، فهي تشرف على النساء أثناء الولادة، كما أن نساء القرية يجتمعن في بيت المرأة التي تلد، ويعددن ذلك أمراً لا يجوز التقصير فيه.

وظهرت شخصية الطالبة الجامعية التي تقيم علاقة مع الرجل، فتخرج في سيارته، وتجلس إلى جانبه في الحديقة، وتصارحه بمشاعرها. وهذا يظهر في قصة "الغربة". كما وتبرز شخصية الفتاة التي تقيم علاقة مع الرجل في قصة "ذنب قديم" فتبعث إليه الرسائل وتصارحه بحبها، وبرز هذا من خلال المعلمة وداد التي تحب الشاب الريفي، وتصارحه بتجاربها السابقة مع الرجال. وتبرز القصص صورة للفتاة الجامعية، ففي قصة "الحياة مستمرة"، نقرأ عن ياسمين التي تدرس في جامعة بير زيت، وتقدم هذه على فك خطبتها، حيث تعيد إلى خطيبها خاتمه، ويعود السبب إلى أنه عثر معها على رسالة أرسلها إليها زميلها في الجامعة علي عبد الرحيم.

وتبرز في قصة "ميلاد جديد" صورة المرأة التي كان للحزب الشيوعي وأفكاره تأثير كبير على شخصيتها، حيث أن الفتاة البسيطة التي حملت أسماء كثيرة غير محببة قبل أن تصبح صديقة للحزب. جعلها الحزب محببة لدى الشباب وأصبحوا يرغبون في خطبتها، وخصوصاً بعد أن حضرت دورة لمحو الأمية عقدها الحزب، وجعلها تتمكن من كتابة كلمة احتفالاً بانتهاء الدورة.

---

[1] حنا إبراهيم، المتمردة، الجديد، العدد 3، شباط، 1956، ص 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ظهرت في قصة "المطاردة" شخصية المرأة قوية، فمريم زوجة راغب تقوم بإيواء أسعد غانم في بيتها، أثناء مطاردة الشرطة لذلك الشيوعي، الذي يدخل إلى منزلها، ولم يكن زوجها فيه. وتدخل مريم وأسعد إلى الحمام وتفتح الماء. وعند دخول الشرطة إلى البيت، تصرخ في وجوههم وتطردهم، لأنهم اقتحموا بيتها، وزوجها غير موجود فيه. وبذلك أسهمت في إنقاذ أسعد غانم من الاعتقال، فبدت امرأة شجاعة وجريئة وواثقة من نفسها.

كما تظهر في قصة "حجر كريم" شخصية المرأة المثقفة والقوية، حيث أن المحامية المتدربة أميرة، لم تستسلم للمحامي المتدرب في المكتب الذي تعمل فيه، بل فضلت أن تنتظر السجين المحكوم عليه زمناً طويلاً.

أما شخصية الشيوعي، فتبدو واضحة في أكثر من قصة، ففي قصة "ابعدوا عن الشر"، تظهر شخصية طه (دينو)، الذي أصبح شيوعياً فيجتمع أقاربه ليتدارسوا هذا الوضع الخطير لهم، فيضربونه ضرباً شديداً ليتخلى عن أفكاره، إلا أنه بقي صامداً ثابتاً فلا يتزحزح. حتى أن والده الذي ضربه لانتمائه للحزب، تغير موقفه من الحزب الشيوعي ومبادئه، ويطلب من ابنه أن يساعده في الوصول إلى عضوية الحزب. وبهذا فإن شخصية الوالد تعد نامية وإيجابية، حيث تغير موقفها وأصبح حاضرها مناقضاً لماضيها.

وتعد شخصية الشيوعي في قصة "زيارة صيفية" مسطحة وثابتة، وقد كان ذلك في رفض محمود الجمال التخلي عن الحزب الشيوعي، مقابل أن يقوم أحد العملاء بإخراج هوية إسرائيلية لأخيه عبد الله الذي يعيش في الخارج، وجاء إلى القرية زائراً.

كما أن هذه الشخصية التي لا تتبدل تبدو واضحة في قصة "أصداء حزيرانية"، فهي تقدم ولا تنتظر أن تأخذ مقابلاً، حيث يخرج الميكانيكي ليلاً من بيته ليصلح عطباً أصاب سيارة في أرض بعيدة عن القرية.

كما تبرز هذه الشخصية في قصة "أحد الجنود المجهولين"، فيقوم أبو الياس العامل في المطبعة بالخروج للعمل فيها، في الخامس من حزيران 1967، من أجل أن تصدر جريدة الحزب. فالمرض الذي كان يعانيه أبو الياس، لم يمنعه من مساعدة رفاقه العمال في هذا الوقت الصعب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء رسم الكاتب لشخصيات قصصه متفقاً والفكر الذي يؤمن به، فنظرة الشيوعيين إلى الحياة تفاؤلية، فهم لا ييأسون ولا يستسلمون للظروف القاسية، بل إن الأمل يبقى حياً في نفوسهم، لتبقى قادرة على مواجهة الصعاب، ويظهر هذا في قصة "أخل بالأمن" بقوله: "وهكذا وجد صدى لثورة نفسه في نضال الشيوعيين، وبهذا تغيرت نظرته للحياة التي أمسى يلوح في ظلماتها الحالكة، قبس من نور، يذكي الأمل"[1].

ولا يقتصر القاص في اختيار شخوصه، على عرب 1948، وإنما يتجاوز ذلك ليكتب عن فلسطينيي المناطق المحتلة عام 1967، وقد انعكس ذلك في العديد من القصص، وفيها تناول نماذج مختلفة. ويبدو هذا في قصة "الثمن" وفي قصة "العلم" وفي قصص أخرى. في القصة الأولى تناول الاستغلال العنصري لصاحب العمل اليهودي الذي يدفع الشاب طلال في قصة "الثمن" أن يخاطر بحياته مقابل بعض المال، فيتسلق الرافعة الكبيرة ويحاول إصلاح العطب الذي أصابها، إلا أنه يسقط ميتاً. أما شخصية أبو طلال فظهرت قوية وجريئة، وذلك بأن قام بقتل صاحب العمل الذي تسبب في قتل ابنه.

وفي القصة الثانية تبرز شخصية الفلسطيني الذي يقاوم الأعداء، ويسهم في أحداث الانتفاضة، فيرفع العلم الفلسطيني فوق أسلاك الكهرباء ليلاً، بعد أن يفشل الشابان رافع وشحادة من القيام بالمهمة الموكلة إليهما برفع العلم ليلاً، بسبب البرد والمطر. إلا أن والد شحادة يأخذ العلم من تحت وسادة ابنه أثناء نومه، ويقوم برفعه فوق الأسلاك.

كما وتظهر في قصة "شهادة السجن" شخصية الفلسطيني الذي يرفض الخروج من السجن بكفالة أو تدخل من أحد، كي لا يتهم بالتعاون مع الاحتلال، فأبو عماد يرفض الخروج من السجن على الرغم من مرضه.

كما تبرز صورة الطفل الفلسطيني الذي يحب الشقاوة، فيعمل أشياء قد تهلكه دون علم من أهله. فالطفلان موسى وفرج في "درسان في الرماية والسحر" يخرجان إلى منطقة خارج القرية، ليقوما برعي حيوانات أهلهما، وأثناء ذلك يقوم الطفلان بصناعة بعض الخراطيش، التي قاما بالتدرب على رمايتها. وتكون النتيجة أن يقتل أحد الطفلين حمار والده. وبهذا تجتمع البراءة والشقاوة في الطفلين.

---

[1] حنا ابراهيم، أخل بالأمن، الجديد، العدد 3، شباط، 1955، ص 21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تبرز قصة "صديقي الصغير" صورة الطفل الفلسطيني الذي يحرم من طفولته، بسبب تشتت عائلته، فتيسير الولد الذي يدرس في الصف الخامس، يتحمل مسؤولية اقتصادية فيتغيب عن المدرسة، ليعمل على جمع النحاس من مناطق التدريبات العسكرية، ويبيعها إلى أحد التجار، ليتمكن من إعالة جدته، وإرسال بعض المال لوالديه اللذين يعيشان بعيدا عنه في الأردن، وتكون النتيجة تراجيدية عندما ينفجر لغم بتيسير ويقتله.

كما أن المسؤولية الاقتصادية، شغلت الطفلين الأخوين خالد ونجوى في "تحية العيد" ، فيحاولان جمع بعض المال من خلال عملهما في جمع ما تبقى من ثمار الزيتون التي قطفت، ويعمل الأخوان بجد من أجل أن يوفرا المال، ليتمكنا من إرسال صورتهما إلى والدهما، ويرسلا ما يتبقى من المال لمعالجة والدتهما المريضة.

وتتكرر بعض الشخصيات في قصص عديدة لحنا إبراهيم، ومنها شخصية نايف الذي يعمل جمالا وقائدا لفصيل ثوار القرية في ثورة 1936، وقد ظهرت شخصية نايف في القصص :" رفيق في السلاح" و"مفهوم قديم للثورة" و"محكمة"و"حسناء".

وتكررت شخصية سعيد الناطور في " مفهوم قديم للثورة"و"البيت القديم".

أما أبو مصطفى فتكررت شخصيته في " رفيق في السلاح" و"مكان مقدس"و"البيت القديم" و "محكمة".

أما في قصة " ميلاد جديد" فقد جعل الكاتب لشخصية الفتاة نهاية أكثر من اسم ومنها : البلهاء والمقصوفة وصباح والبقرة .

" السرد في قصص حنا إبراهيم"

لا يمكن للقاص أن يبني علاقة طبيعية بين مضمون القصة والمتلقي إلا بوساطة موضوعية، تنقل ما في القصة إلى خارجها. وهذه المطية تتحمل أعباء كبيرة في التوصيل بين المؤلف والقراء. ولذلك فإن القاص لا يمكنه أن يصل إلى الآخرين، إلا بهذه الشخصية التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصنعها منذ لحظة إنشاء قصته. وبهذا فإن شخصية السارد الورقية وغير المسجلة بسجل المواليد، يقع عليها دور كبير في إتمام العمل القصصي، وبدونها لن يقوم لهذا العمل وجود[1].

إن الأفكار والمبادئ التي يؤمن بها القاص، تؤثر على طبيعة سارده، ففي الحياة ينقسم الناس إلى طبقات اجتماعية، ولكل طبقة مصالح خاصة تحاول أن تحققها، فينتج عن ذلك صراع طبقي. فأصحاب الفكر المادي يتصارعون مع أصحاب الفكر المثالي. ومن أشكال هذا الصراع، الصراع الأدبي، حيث إن الأدباء في الطبقات المتصارعة يحاولون أن يجعلوا الأدب مجالا لتحقيق وجهات نظرهم. فالشيوعيون يعتقدون أنهم يحملون أرقى فكر إنساني، ولذلك يبثونه في قصصهم وأدبهم، كما أنهم يؤمنون بأن فكرهم سيخلص البشر من شرور الرأسمالية، فالمجتمع الشيوعي يقضي على الأمراض الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي، كما أن الأديب متيقن أن شقاء الإنسانية، سيزول بقيام مجتمع العدالة الاشتراكية. إن قدرة القاص الشيوعي على استشراف آفاق المستقبل الرحبة للإنسانية، ومعرفته باللحظة الراهنة التي يعيشها، يجعله يمتلك معرفة كلية. ولهذا فإن هذه المعرفة الكلية ستجعل سارده مالكاً لها، فلا يغيب عنه شيء. فهو يعرف شخصيات قصصه- باطنها وظاهرها- معرفة تامة. فالسارد لدى القاص الشيوعي ظل دائم لشخصياته، فلا يغادرها.

كتب حنا إبراهيم مجموعاته القصصية الأربع، عندما كان شيوعيا، ويعتقد اعتقادا راسخا بدور الفكر الشيوعي في الحياة. لذلك فإن سارد قصصه كان كلي المعرفة، فلا يبتعد عنه حدث ولا شخصية، بل كان ملما بكل صغيرة وكبيرة، ويتدخل في أحداث قصصه وشخصياتها، ليثبت أنه أكثر معرفة من الشخصيات، ولذلك يعلق ويتدخل و "يقحم نفسه أحيانا في مجريات الأحداث ويسلك نهجا وعظياً، لإثبات وجهات نظره على نهج الكتاب الواقعيين، الذين لا يعولون على ذكاء وحدس القارئ، بل يفترضون ضمنا، أن القارئ يجهل الحدث، فيقدمونه له بصورة مبسطة، مقحمين أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة"[2].

ومن الأمثلة على طبيعة السارد الكلي المعرفة، أنه في قصة "رفيق في السلاح" كان شاهدا على نايف الذي عاد إلى بيته متأخرا، بعد قيامه بمهمة تتعلق بالثورة وشؤونها، فعرف

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 260.

[2] محمود عباسي، تطور الرواية والقصة القصيرة، ص 221.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوعية الطعام الذي أعدته والدة نايف، وكان من البرغل والكراديش[1]، كما عرف نوعية الوعاء الذي وضعت فوقه الطعام عندما قدمته لابنها وكان طبقاً من القش، كما تغلغل السارد إلى جوف نايف وعرف مقدار جوعه.

كما أن الأسلاك وحراس السجن، لم تمنع السارد في قصة "أنا أبوك يا جميلة" من دخول زنزانة السجين، فيعرف معاناته الشديدة صيفا وشتاء. ففي الصيف، كان السجين يتمنى أن يقوم سجانوه، بغمر أرضية الزنزانة بالماء ليخفف عنه عناء الحر، بينما كان هؤلاء، يغمرون أرضيتها شتاء بالماء البارد، ليزيدوا من عذابه، ويتدخل السارد ويعلق على ما يدور في نفسية المعتقل الذي فقد قدرته على السخرية[2].

وقد رافق السارد في قصة "تاشا" الشخصية في رحلتها إلى الاتحاد السوفيتي، فالعربي الذي زار البلد الشيوعي الأول، تعرف فيه على فتاة سوفيتية شيوعية، وكان يتجول معها في شوارع موسكو، وكان السارد ثالثهما، وعرف الاتجاه الذي يريده الرفيق الشيوعي في سيره نحو اليمين، بينما كان اقتراح الرفيقة السوفيتية أن يسيرا يسارا، ولم يترك السارد للقارئ تفصيلا مملا لم يقله، فالرفيق كان يسير إلى يمين الرفيقة الروسية، كما ظهرت براعة السارد في معرفة ما دار بينهما من حديث[3]. واعتقد أن حنا، هنا، يكتب عن ذاته، وأنه يجرد من ذاته ذاتاً أخرى يقص عنها، ولهذا يعرف عن الشخصية كل شيء. حتى وإن كان الكاتب جعل القصة بضمير "الهو"، مما جعله يفصل بين السارد والشخصية باعتبارهما اثنين مختلفين.

وقد كان السارد في قصة "الذكرى العاشرة" مرافقا لإسماعيل الرجل الكبير والمريض، عندما خرج ليلا، للبحث عن ولديه حسين وفهد، اللذين خرجا لشراء أبواب لمنزلهما. لكن إسماعيل عاد محطما إلى بيته، بعد أن وجد ولديه المقبلين على الزواج جثتين هامدتين. واستقر السارد في بيت إسماعيل حتى خرج منه للمرة الأخيرة إلى القبر[4].

أما الضمير السائد في سرد قصص حنا إبراهيم فهو ضمير الغائب، حيث إن السارد يقص عن الأحداث والشخصيات، بعد أن عرف عنها كل شيء، وبذلك بدا هذا الضمير

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 10.

[2] المصدر السابق، ص 189.

[3] المصدر السابق، ص 150.

[4] المصدر السابق، ص 103.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منسجماً مع طبيعة السارد، ومن ذلك قوله في قصة "تحية العيد": " وتبعت أخاها معتقدة أنه راجع أدراجه إلى القرية. ولكنه توقف بعد قليل عند منعطف الطريق وجذبها من يدها"[1].

إن استخدام الكاتب لضمير الغائب يبعده عن الأحداث، فيبدو متخفياً بالسارد. إلا أن حنا إبراهيم يحاول أحياناً أن ينوع في ضمير السرد، فيستخدم ضمير المتكلم ليبدو السارد أحد شخوص القصة، فيشترك في أحداثها، ويقيم علاقات مع شخصياتها، ومن أمثلة ذلك قوله في قصة "سر العمة": "شعرت بسعادة غامرة، وبالدم يجري حاراً في عروقي وبحب جارف للحياة. كان شعوراً عاماً لم أستطع معه تحديد سبب بالذات لهذه السعادة، صعدت الدرج قفزاً إلى الطابق الثاني أكثر من مرة، دون هدف محدد"[2].

أما أساليب القص التي استخدمها القاص، فتنوعت لتشمل أشكالاً متعددة، منها الاسترجاع لأحداث ماضية، ليزود بها القراء الذين لم يعيشوا ذلك الزمن، وهو ما نلحظه في قصة "الذكرى العاشرة": "ولفت نظره كومة صغيرة من العظام النخرة، فاقترب منها بوجل، وتفحصها بنظرات زائغة، وقف شعره من الرهبة والفزع، وقفزت إلى مخيلته ذكرى رهيبة، ذكرى تلك الليلة المشؤومة قبل عشر سنوات"[3].

ولم يكن الاسترجاع مقتصراً- في قصص الكاتب – على الأحداث المأساوية، كما في قصة "الذكرى العاشرة "، بل جاء الاسترجاع لأحداث مفرحة، تعيد الشخصية إلى ذكريات جميلة، وهذا يعود إلى طبيعة فكر القاص التفاؤلي، وهذا ما نجده في قصة "حين لم تعد المرأة العربية ضلعاً قاصراً": "وحين استبطأتهما أخذت تحرك الفناجين ليحسا بوجودها. كان صباحاً ربيعياً مشرقاً، والنسيم الغربي يحمل رائحة زهر القندول والبلان، وبين البيوت تزهر أشجار المشمش والخوخ. وعادت الذاكرة بأم مصطفى إلى أسبوع عرسها قبل 26 عاماً، اقترح عليها زوجها أن يذهبا إلى عكا لشراء بعض الحاجيات وسداد بعض الديون للتجار"[4].

وقد لجأ الكاتب إلى التضمين كثيراً في قصصه، فينتقل من سرد القصة الأساسية إلى سرد أحداث قصة فرعية، وقد أكثر القاص من هذا الشكل السردي، ليثبت قدرة في القص ولإثارة المتلقي وشد انتباهه، وليبقى يقظاً لمتابعة أحداث القصة، ولطرد الملل من نفسية

---

[1] المصدر السابق، ص 87.

[2] المصدر السابق، ص 442.

[3] المصدر السابق، ص 101.

[4] المصدر السابق، ص 167.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القارئ، وتشويقه للقصة. فالقصة التي لا يلتف القراء من حولها، ستفقد التأثير وتعود ميتة إلى رفوف الكتب. ومن أمثلة التضمين قوله في قصة "سر المرأة التقية": "ولكن المرأة المؤمنة أصرت على موقفها ودعمته بالحكاية التالية: قالت يا بنيتي ليس كل من رقا رقا. أم حسين بنت جد، حتى يمكن أن تحسبيها من أولياء الله الصالحين، ذات مرة كانت مع الجمالين"[1].

وقد جاء استخدام الكاتب للتضمين موفقاً، حيث ان القصة الفرعية تخدم القصة الأساسية ولا تتناقض معها، ويهدف التضمين إلى خدمة القصة بشكل عام، فتقوم القصة الثانوية بتعميق مضمون القصة الأساسية.

ولم يكن القاص أول من توسع في هذا الشكل السردي، بل كان له وجود في التراث العربي القديم. كما نلحظ ذلك في قصة "أهل البصرة من المسجديين" للجاحظ[2].

واستخدم حنا إبراهيم أسلوب الرسالة والمذكرات والوصية في سرد أحداث قصصه، وهذا الأسلوب يجعل قصصه أكثر واقعية. فالناس في الحياة يرسلون الرسائل، ويقدمون الوصايا، ويسجلون مذكراتهم اليومية. وقد كان أسلوب الرسالة في السرد موجوداً في القصص: "تحية العيد" و " عيد ميلاد" و "ذنب قديم" و " أصداء حزيرانية" و "رسالة إلى السجن" و "الحياة مستمرة" و "حجر كريم". وقد جاء استخدام أسلوب الرسالة موفقاً في هذه القصص، لانسجام موضوعات القصص، مع هذا الشكل السردي. ففي الأعياد العامة أو الخاصة تكتب الرسائل. كما أن المرأة والرجل في المجتمعات المحافظة، يصعب عليهما إعلان علاقتهما صريحة، مما يفرض عليهما أن يتواصلا بالرسائل ، كما أن السجين المحروم من الحرية ورؤية أولاده، يتبادل الرسائل معهم. وبذلك فإن استخدام الرسالة في قصص الكاتب جاءت ملبية لضرورات اجتماعية موضوعية. فالطفلان خالد ونجوى اللذان يعيشان بعيدا عن والدهما، يبعثان إليه رسالة، فيقول: "إلى أبي العزيز لا عدمته: نرسل لك السلام أنا وأمي ونجوى وجدتي. كلنا بخير وعافية.ونحن مشتاقون لك كثيرا جدا.....وداعا يا أبي والسلام. ابنك المخلص خالد"[3].

---

[1] المصدر السابق، ص 273.

[2] انظر: "قصة أهل البصرة من المسجديين"، عمرو بن بحرالجاحظ، البخلاء، دار القلم، بيروت، ط 3، 1977، ص 24-27.

[3] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 90-91.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أسلوب الوصية، فقد استخدمه الكاتب في قصته" أنا أبوك يا جميلة" حيث إن الوالد المعتقل يتعرض للتعذيب الشديد على أيدي المحققين الصهاينة، وبسبب موقفه الصلب وعدم اعترافه،قام المحققون بإحضار ابنته جميلة إلى التحقيق، ليضعفوا إرادة والدها. وعندما يلتقي الوالد وابنته سريعا في التحقيق، يطلب كل منهما من الآخر أن يصمد ولا يعترف. كما أن هذا الوالد يكتب وصية إلى رفاقه المعتقلين عندما أحس بدنو أجله، فأوصاهم قائلا:" أعزائي، عندما تصل إليكم هذه الورقة، أكون في ذمة الله. هكذا وعدوني . أوصيكم ولكن لا حاجة للتوصية، اللهم إلا شيء واحد، وهو أن لا تنسوا المفسدين والوشاة، الذين تسببوا في موتي ظلما وعدوانا"[1].

أما المذكرات في السرد، فظهرت في قصة "المعلمة X" ، حيث أن الشخصية التي تكتب مذ كراتها تبدو متعلمة، فالأستاذ عادل يفتح دفتر مذكراته، ويكتب ما مر به[2].

أما السرد المؤجل فيظهر في بعض المواقع من قصص الكاتب، ومنها قصة "محكمة" حيث يقوم أبو فايز بتنصيب نفسه قائمقام، فيأتي مع اثنين من أصحابه إلى بيت المختار متخفين، ويعقد فيه محكمة لأشخاص من القرية، توجد بينهم خلافات اجتماعية، إلا أن هناك شخصا واحدا–هو نايف قائد الفصيل – له مشكلة مختلفة مع الانتداب البريطاني.وحتى يسهل أبو فايز على نفسه هذه المحكمة، قرر تأجيل قضية نايف، حتى ينتهي من قضايا الناس الأخرى، ولذلك يقول:"أقول لكم من الحاكم عندكم؟ ... رجل اسمه نايف محمود، على كل حال، سنأتي إلى قضيته فيما بعد"[3].

كما أن الحذف كان حاضرا أثناء السرد في قصة"محكمة"، وهذا يظهر من استخدام ألفاظ تعني أشياء عامة، ولا يفهم منها شيء محدد، كما في قوله: "قيل لنايف عندما استدعوه أن قائمقام ابن حرام فعل ما هو كذا وكذا"[4] فالاصطلاح "ما هو كذا وكذا" لا يدل على شيء محدد، بل هو عام، أي أن السارد حذف تفاصيل كثيرة ولم يرد إبلاغها لنا.

---

[1] المصدر السابق، ص 192.

[2] المصدر السابق، ص 429.

[3] المصدر السابق، ص 56.

[4] المصدر السابق، ص 59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"اللغة في قصص حنا إبراهيم"

إن أي فكرة لا يمكن أن تتحقق، دون وجود مادي تنعكس عنه ويعبر عنه باللغة، أي أن اللغة مخزن عظيم للأفكار، وبدونه لن يفهم الناس بعضهم. وبذلك تكون اللغة عنصراً مشتركاً بين أبناء الجنس البشري الواحد. لكن أبناء الأمة الواحدة، لن يكونوا على مستوى لغوي واحد. فبعضهم تساعده الظروف الموضوعية والخاصة لأن يكون على درجة عالية من إتقان لغة قومه، بينما بعضهم الآخر يكون على درجة منخفضة من إتقانها، لأن الظروف الموضوعية والخاصة لم تساعده.

إن الفجوة اللغوية بين بين أبناء الأمة الواحدة، تضعف الأمة بشكل عام. لذلك فإن على المثقفين والأدباء أن ينهضوا بالأعباء الكبيرة، التي تفرضها التحديات الحضارية عليهم. والأدباء العرب الفلسطينيون في فلسطين المحتلة 1948، يقومون بالأعباء الثقيلة لانقطاعهم عن الأدباء العرب مدة طويلة، مما جعلهم يضاعفون نشاطهم الذاتي، في القراءة في كتب التراث العربي القديم، ليتمكنوا من الصمود في معركة الحصار الطويل والتهويد. وبذلك فإن الارتقاء بالمستوى اللغوي عندهم، يعدُّ شكلاً من أشكال النضال الوطني، في معركة الوجود، واثبات الذات العربية.

تنقسم اللغة في قصص حنا إبراهيم إلى لغة سرد ولغة حوار ولغة حوار داخلي.

"لغة السرد في قصصه"

تعدُّ لغة السرد مسيطرة على معظم قصص الكاتب، فيلتقي في ذلك مع كتّاب القصة القصيرة العربية. وأسهمت الظروف الموضوعية والخاصة في تأسيس لغة الكاتب في قصصه. لذلك فإن حنا إبراهيم قد استخدم ألفاظاً رفيعة المستوى في لغة سرده القصصية، وبذلك بدا أنه "لا يحتاج إلى أن يحدّث قراءه بلغة عامية، ولا إلى أن يعرض قصته وأن يصف حوادثه بمثل هذه اللغة"[1].

[1] محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 99.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن لغة السرد الفصيحة في قصص حنا إبراهيم، تجعل القـــارئ فاهمـــاً لمضمونـــها، ومستمتعاً بقراءتها، وترفع من رصيد ثروته اللغوية الفصيحة، ومن لغة السرد قولـــه: "وفـــي المساء عاد نايف مقطب الجبين بادي التعب.....ألقى بندقيته وأحزمة الرصاص شبه الخاويـــة إلى خالد، فخبأها في المكان المعد لها، وبعد أن اغتسل وغير ملابسه الملوثة بالدم، جلس علـــى طرف الفرشة التي أعدتها زوجه له. ظل ساهماً مهموماً، ممـــا عكـــر صفـــو فرحـــة ميثـــاء بعودته"[1].

وقد جاءت لغة السرد فصيحة في قصص الكاتب، لاستخدامه الأسلوب القرآني وألفاظاً قرآنية كما في قوله: "وتابع حسن بكل جدية. ألم تر كيف فعل شعبك بجند السلطان. رد كيدهـــم إلى نحورهم وأوقعهم في خسران. كلا إن الذين يدافعون عن أرضهم هم المنتصرون، إن فـــي ذلك لآية لقوم يعقلون. أما الذين يفرطون بأرضهم لفي ضلال مبين"[2].

وتقترب لغة السرد في قصص الكاتب من لغة الشعر، حيث يستخدم الاســـتعارة كمـــا استخدمها الشعراء العرب القدماء. ومن ذلك قوله: "أيتاح للإنسان أن يفلت بهذه السهولة مـــن براثن الموت ثم يعود ليرمي بنفسه في التهلكة"[3]. وقد كان قريباً من قول الشاعر العربي القديـــم أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[4]

إن اختيار القاص نماذجه من الناس العاديين البسطاء وغير المثقفين، أسهم في دخـــول ألفاظهم إلى قصصه. فهو كاتب ريفي، يعرف عادات أهل الريف وتقاليدهم، ويفـــهم ألفاظـــهم المحلية الخاصة، مما يدفعه إلى استخدامها في كثير من قصصه، وجعل هذه القصص تتصـــف بالصبغة المحلية، حيث أن "الكلمة العامية في السرد والأوصاف والتشـــبيهات، تضفـــي علـــى القصة صيغة المحلية"[5].

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 15.

[2] المصدر السابق، ص 164.

[3] المصدر السابق، ص 65.

[4] الوليد بن عبيد البحتري، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1967، ص 99.

[5] محمود غنايم، دراسات في القصة المحلية، الشرق، ص 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مصطلحات الفلاحين التي استخدمها في قصصه، "غِمار"[1] والتي تعني أكوام من القش المحصود والجاف لحبوب القمح والفول وغيرها. ومنها أيضاً مصطلح: "مِعناه"[2] الذي يدل على قطعة الأرض التي يحرثها الفلاح على نفس واحد. ولا اعتقد أن شخصاً بعيداً عن الريف يفهم دلالة هذين المصطلحين.

وتبرز الأقوال الشعبية في لغة سرد قصصه، ومنها ما ورد عند حدوث خلاف، حيث يصبح الريفي عصبي المزاج، فيصرخ ويضرب ويعبر عن غضبه بكل ما لديه من وسائل، وقد ظهر ذلك في قوله: " وجاء يوم ونشب بين الزوجين خلاف عادي. " طلعت خميسة" على حد تعبير الرجل"[3]، فمصطلح "طلعت خميسة " يدل على الغضب الشديد في النفس الريفية.

وأكثر حنا إبراهيم من استخدام الأمثال الشعبية في قصصه، فتميز بهذه الأمثال، التي تعبر عن تجربة حياتية يتم فيها "اختصار مساحات اللغة والكلمات"[4].

وقد جاء استخدامه للأمثال الشعبية موفقاً، بحيث أن المثل يدعم الموقف الذي يعالجه في قصته، ففي قصة "آباء وبنون" يعبر المثل الشعبي، عن واقع أليم يعيشه الإنسان الفلسطيني في منطقة 1948، فسلطات الاحتلال تستولي على أراضي الفلاحين لتتركهم يعيشون في ظروف بالغة القسوة، بينما السلطات لا تخسر شيئا، حتى "صدق عليها المثل القائل: "الذي يقص من جلد غيره يوسع[5]".

واستخدم الكاتب في لغة السرد ألفاظاً غير عربية، وذلك بسبب الواقع الموضوعي للعرب الفلسطينيين في منطقة 1948، مما يفرض عليهم أن يحتكوا باليهود في نشاطهم الحياتي اليومي. ولذلك فإن ألفاظاً عبرية، ستجد سبيلها إلى لغة العربي في هذه المنطقة من فلسطين. فكلمة "مفراتس" وتعني الخليج، ظهرت عندما كان العامل يذهب إلى العمل في مفراتس حيفا[6]. أي في خليج حيفا.

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 258.

[2] المصدر السابق، ص 258.

[3] المصدر السابق، ص 438.

[4] عامر جنداوي، القصة عند حنا إبراهيم، ص 51.

[5] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 362.

[6] المصدر السابق، ص 163.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"لغة الحوار في قصصه"

أما المستوى الآخر للغة القصة في قصص الكاتب، فهو الحوار الذي يكون ضروريا عندما " يتحدث كل شخص بلغته الخاصة وبلهجته الخاصة، ولكن لا بد أن يصحب ذلك اعتبار للمستويات الفكرية"[1].

يفضل في الحوار أن يأتي مختصرا وقصيرا حتى لا تتحول القصة إلى مشهد مسرحي. وقد راعى القاص في حوار شخصياته القصصي، أن يكون معبرا عن مستوياتها الفكرية والثقافية ليحافظ على تناسق القصة بأحداثها وشخصياتها. فكل شخصية تتحدث مع الشخصيات الأخرى، بما يتفق وواقعها الثقافي والفكري. وبذلك فإن الشخصية المثقفة في لغتها الحوارية، تكون أقرب إلى الفصيحة، وتصبح لغة الحوار قريبة من لغة السرد في فصاحتها، و تزول الفجوة بين المستويين في القصة.

وقد كانت لغة الحوار قصيرة في مجملها، حينما كان الحوار يجري بين شخصيتين التقتا في الطائرة، وهما في طريقهما إلى موسكو. فالجمل القصيرة في الحوار تعبر عن موقف غير منسجم بين الشخصيتين، فهما يتعارفان للتو وبالتالي وليس بينهما علاقة سابقة. ومن الحوار قوله:

"– الأخ عربي؟

– نعم

– من أين؟

– من إسرائيل"[2].

فالشخصيتان المتحاورتان عربيتان، إلا أنهما تختلفان في وجهتي النظر. فواحدة عربية من إحدى البلدان العربية، والثانية عربية وشيوعية من إسرائيل. وقد جاء حوارهما معبرا عن الاختلاف بينهما، إلا أن مستوى لغة الحوار جاء فصيحا.

---

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص 203.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الحوار جاء مرتفعا في لغته لطبيعة الشخصيتين المتحاورتين الفكرية والثقافية، فالمعلم يوسف الذي أصبح عامل بناء بعد أن فصلته سلطات الاحتلال من عمله في التعليم، بسبب موقفه الشيوعي ، يلتقي بمنتهى الفتاة الجامعية –والتي كانت طالبة ثانوية – في حافلة عامة في مدينة حيفا، ويجري بينهما حوار فصيح،

–"ألا تعودين؟

–لا يزال الوقت مبكراً"[1].

ووردت ألفاظ عامية في الحوار، عندما كانت الشخصيات المتحاورة متباينة في مستوياتها الفكرية والثقافية، فتتحدث كل شخصية بما يتناسب ولغتها في الواقع. ومن الحوار في قصة "صديقي الصغير" ما جرى بين المعلم والولد تيسير، حيث جاء معبرا عن الموقف. فلا يمكن للمعلم أن يتحدث بمستوى لغة، لا يفهمه التلميذ تيسير، وقد دفع ذلك المعلم، أن يتحدث بلغة قريبة من مستوى التلميذ، وقد برزت الألفاظ العامية في حوارهما:

"–عادت ستك ومنعتك عن المدرسة؟

– لا أستاذ.

– إذن ليه بطلت تيجي ع المدرسة؟

– عم بشتغل.

–طيب. مش اتفقنا أن الشغل إلو وقته؟"[2]

وقد ظهرت في قصص الكاتب ألفاظ غير عربية، وتعبر عن واقع موضوعي عاشه كتاب الأرض المحتلة عام 1948. وبرز ذلك في قصة "نداء التراب"، فالمظاهر الاجتماعية من أعراس، تسللت إليها ألفاظ عبرية مثل لفظة "اولام" التي تعني قاعة خاصة للأعراس والاحتفالات في قوله:

- "عرس ، وهل لديهم عرس؟
- بالطبع ألست من هذه البلاد يا عم؟
- بلى ....ولكن أين نجدهم؟
- في الاولام
- وما هذه الاولام؟"[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 235.

[2] المصدر السابق، ص 82.

[3] المصدر السابق، ص 373.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الألفاظ غير العربية التي استخدمها في لغة الحوار، الروسية،وهذا يعود إلى أن الكاتب زار موسكو اكثر من مرة، ودرس فيها مدة ستة اشهر. كما أن ذلك يبين انحياز القاص إلى لغة البلد الشيوعي الاول، فشيوعيته تجعل كل ما هو موجود في الاتحاد السوفييتي إيجابيا وضروريا، وقد ظهرت الألفاظ الروسية في قصته "عن الإنسان السعيد" حيث يقول:

"– قلت:وكيف عسانا نطلب طعاما؟ فرد مرتجلا: قل هكذا:

دايتمني سوب لي فروكتو فايا فادا فلقد فقدت من الشراب رشادا[1]

لقد جاءت لغة السرد ولغة الحوار متلائمتين مع بعضهما، فلا نجد هوة واسعة بينهما في قصص الكاتب، مما لا يترك انطباعا سلبيا بتباعد المستويين، بل إن القارئ يجد هدوءا كبيرا عند انتقاله من لغة السرد إلى الحوار أو العكس، فيشعر بالروح الواحدة التي أسهمت في إبداع القصة. فالانخفاض أو الارتفاع في مستوى اللغة، لا نشعر به في قصص حنا إبراهيم حيث " إن السرد والحوار يجب أن يتلاءما مع بعضهما البعض، ويكون تقارب في اللغة بينهما، حتى يسهل على القارئ الانتقال بينهما دون شعوره بتلك الهوة العميقة"[2].

وما استخدام القاص للحوار إلا لتنبيه القارئ إلى متابعة الأحداث وتطورها، فالسرد الذي يأتي على وتيرة واحدة، يجعل القارئ يغفو عن المتابعة، كما أن الحوار يدخل السرور إلى نفسية المتلقي، حيث يسمع الشخصيات المتحاورة، عندما يبتعد عنها السارد.

---

[1] المصدر السابق، ص 112.

[2] محمود غنايم، دراسات في القصة المحلية، الشرق، ص 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"لغة الحوار الداخلي"

ظهر هذا المستوى اللغوي قليلا في قصص الكاتب، وهذا الشكل من اللغة، لا يحـــدث إلا في لحظات التوتر النفسي، الذي يعتري الشخصية، حيث تكون الشخصية مرسلا ومستقبلا، وقد ظهر هذا في قصة "خطوة على طريق العودة"، وشخصيتها هي شخصية إليـــاس ســـمعان الذي هُجِّرَ مع أهل قريته ليعيشوا في قرية أخرى لاجئين، ولا تسمح لهم ســـلطات الاحتـــلال بدخول قريتهم الأصلية، إلا عندما يريدون دفن أحد موتاهم. وقد دفعت هذه الحـــال إليـــاس أن يفكر في إقامة حفل زواجه في قريته الأولى، ليجعل صورتها تفاؤلية ومشبعة بالحيـــاة، لا أن تبقى صورتها كما أرادها اليهود –تشعر أهلها الأصليين من الفلسطينيين– مقبرة صامتة. وقـــد عبرت شخصية إلياس القلقة عن توترها، من خلال ما دار في خلدها من أفكار: "وفجـــأة لمـــع في ذهن الياس سؤال استتبع سلسلة من الأسئلة : لماذا لا يتاح لهم رؤيـــة قريتـــهم إلا عندمـــا يأتونها لدفن أحد موتاهم! وحتى تحرم على الأحياء؟ وإلام تدوم هذه الحال؟"[1]

وقد استخدم حنا إبراهيم أشكال اللغة الثلاثة في قصصه، وقد كان السرد المباشر هـــو السائد، لأن ذلك ينسجم وطبيعة العمل السردي. وقد استغل القاص المستويات اللغوية بصـــورة إيجابية، فلم تتحول القصة إلى مسرحية عندما استخدم الحوار، كما أن المتلقي لا يغلق القصـــة لسيطرة السرد عليها، بل استخدم المستوى اللغوي المناسب، بما يعود علـــى القصـــة وعلـــى مضمونها، وحرية شخصياتها، وقارئها بالنفع الكبير.

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"قراءات في قصص حنا إبراهيم"

تنوعت الموضوعات التي كتب عنها حنا إبراهيم في قصصه، بحيث شملت الظروف السياسية والاجتماعية للشعب الفلسطيني، وتوزعت على أزمنة مختلفة. أي أن الفرز السياسي في فلسطين، بين شعبها والآخرين، شكل وعي هذا الشعب بصورة عامة، والأدباء بصورة خاصة.

لقد سار الأدب الفلسطيني عامة، والقصة القصيرة خاصة، إلى جانب الحركة السياسية والاجتماعية في فلسطين، بحيث أصبح الأدب مصدرا من مصادر التاريخ الفلسطيني. ولهذا فإن حنا إبراهيم كتب القصة القصيرة، لتعبر عن محطات مفصلية من حياة شعبه، فأراد بذلك أن يسهم مع المؤرخ في تسجيل الأحداث، لكن بطريقة أدبية إبداعية مشوقة، بحيث أصبحت كتابة القصة عنده عملا نضاليا وطنيا.

وقد وعى الكاتب الظروف السياسية التي أحاقت بوطنه في الثلاثينات من القرن العشرين، حيث أصبحت فلسطين واقعة تحت الاحتلال البريطاني، وقيام هذا الاحتلال بتهيئة الظروف للحركة الصهيونية، لتتمكن من السيطرة على فلسطين وإقامة الوطن القومي لليهود عليها .

وقد تناول القاص في قصصه: "رفيق في السلاح" و "مكان مقدس" و "مفهوم قديم للثورة" و "البيت القديم" و "درسان في الرماية والسحر" و "محكمة" و "رجل محظوظ" و"الغضيب" الأحداث العظيمة التي قام بها شعب فلسطين، لمقاومة الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية، والتي تمثلت بثورة 1936. وقد اخترت قصة"مكان مقدس" لتكون نموذجا لبقية القصص عن تلك الثورة.

1- "مكان مقدس"

يتألف عنوان القصة من كلمتين هما: "مكان" و "مقدس". أما الكلمة الأولى فتشكل مكونا مكانيا غير محدد، أما كلمة" مقدس" فتصف المكان ليصبح أقل غموضا. ويثير العنوان في الإنسان التداعيات الدينية الإيمانية، إلا أنه يحترم عقل القارئ، ويبقي له فرصة للاكتشاف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعرفة، وهذا الاكتشاف لن يكون قبل أن يصل المتلقي إلى آخر كلمة في القصة. فـالغموض الذي يكتنف العنوان، يمنح القارئ الحرية والاحترام ليعرف الأحداث والشخصيات، بصـــورة مستقلة عن القاص، وفي هذا تشويق من الكاتب، فلا يعرف المتلقي مضمـــون القصـــة مـــن العنوان. إن القصة تقول عكس ما يوحي إليه العنوان للوهلة الأولى. فقدسية المكان هنا غـــير قدسية أماكن معينة لها ارتباط بالدين. فالمكان أصبح مقدساً لأنه ضم رفات امـــرأة ســاعدت الثورة فاستشهدت. وبهذا يستمد المكان قداسته من طبيعة الميت فيه، أي الشهيدة هنا.

أما بناء القصة ، فقد سار به الكاتب بصورة بسيطة وسهلة وواضحة ، حيث بدأ القـص عن نايف الذي كان يعمل جمالا، وينظر إلى جماله التي تحمل الحجارة الكبيرة إلى مكان بنـــاء المسجد، ثم يكتشف الغبن الذي وقع فيه، مما جعله يحمل الجمال فوق طاقتها، وقد فعـــل ذلـــك ليوفر مبلغا من المال ليساعد عائلة أبي مفلح، رفيقه في السلاح. وبالقرب مـــن مكـــان بنـــاء الجامع الذي ينقل حجارته، يتجاذب نايف أطراف الحديث مع الشابة الجميلة، الأرملة ســـعدية، ويعرض عليها الزواج، لتساعده في رعاية أولاده بعد وفاة زوجته. إلا أن مسعوداً، أحد رجـــال نايف في الفصيل، يأتي إليه وهو عند سعدية، ليخبره عن مهمة عاجلة للثـــورة مـــع فصيـــل القرية، فيخرج نايف إلى المكان المحدد للاجتماع، ويكتشف هناك أن رجاله يحملون بنادقـــهم دون ذخيرة، مما أزعجه وزاد من حنقه . ثم تحدث معركة غير متوقعة بين الثـــوار وجنـــود الإنجليز، ولولا بعض الذخيرة التي كان يحملها نايف وبعـــض رجالـــه، لـــهلك الثـــوار دون مقاومة. ويحدث أن يحاصر الإنجليز القرية، ويكون حسين الصادق أحد الثـــوار الذيـــن بقـــوا فيها. ويذهب حسين إلى بيت سعدية ليقيم معها علاقة خاصة، إلا أنها صدته وأخبرته أن نايفـــا تقدم إلى خطبتها. ويخرج الثائر حسين من بيت سعدية ليخبر نايفا وفصيله بالحصار، إلا أنـــه يعود بعد زمن قليل مصابا، وتقوم سعدية بإسعافه. ثم تطلب من حسين أن يخبرها عن مكـــان اجتماع نايف مع فصيله. وتركب سعدية فرسا وتخرج ليلا إلى حيث اجتماع الثوار، إلا أنـــها تصاب برصاصة، وتموت بين يدي نايف، وتدفن في المكان، ويصبح قبرها المكان المقدس.

لقد نما الحدث بصورة طبيعية، بحيث ظهر الحدث تلو الحدث، فلا شيء يحـــدث دون تفسير. بل بدا الحدث صغيرا في بداية القصة فنما وتطور إلى أن وصل ذروة تطوره وتعقيـده، ثم جاء الحل في نهاية القصة ليعيد إليها التوازن، وليقنع القارئ بمنطقية الأحداث وعقلانيتـــها. وقد جاءت النهاية حزينة وتراجيدية، فاستشهدت سعدية عندما ركبت الفرس وذهبت إلى حيـــث يجتمع نايف بفصيله، لتخبرهم عن وجود الجنود الإنجليز الذين يحاصرون القرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما شخصية الفلسطيني في القصة، فتبدو شخصية نايف قائد الفصيل يتحمل مسؤولية رجاله، فيترك الأمور الشخصية التي تهمه، وينشغل بالوطن وشؤونه وتوفير الذخيرة للثوار. كما تظهر شخصية سعدية قوية وواثقة من ذاتها، ولا تسمح لمن يراودها عن نفسها من الرجال، فهي ليست صيدا سهلا، كما أنها امرأة تضحي من أجل الوطن والثورة. فهي تقوم بإسعاف حسين الصادق أحد رجال الثورة في بيتها، ثم تبدو شجاعة، فلا تخاف من الخروج ليلا إلى حيث يجتمع الثوار لتحذرهم من جنود الإنجليز.

أما سارد القصة، فيبدو كلي المعرفة، فهو يرافق نايفا عندما كان يقود جماله المحملة بحجارة البناء الثقيلة. كما أنه يدخل إلى أعماق نايف النفسية، ويعرف الذي يساوره على مصير جماله، كما أنه يعرف المشقة التي تعانيها الجمال فيتعرف على أنينها[1].

وقد جاء ضمير الغائب غالباً في السرد، وذلك لملاءمة هذا الضمير لطبيعة السارد الكلي المعرفة، الذي يسرد عن الأحداث، بعد أن تكون قد حدثت وانتهت.

لجأ السارد إلى الحذف، كأحد أساليب السرد المعروفة، كي لا يكون مجال للخلاف بين أهالي القرى الفلسطينية المختلفة، والذين لم يبخلوا بما لديهم من مال ودم من اجل الوطن. فلو ذكر اسم القرية التي يتحدث عنها في القصة، لحصلت خلافات في القرية، التي لم تتغير عقلية أهلها كثيراً، وذلك يظهر عندما " اعترف أبو بشير قائد فصيل قرية(.....) أنه لجأ إلى هذه الفكرة، لتجميع عدد من الثوار للقيام بعمل ما كأن يكمنون، لعل الحظ يواتيهم، فتمر قافلة عسكر فيهاجمونها"[2].

أما الاسترجاع فهو الغالب على القصص التي تتحدث عن ثورة 1936، فالقاص هو السارد فيها، ولم يكن حنا إبراهيم قد تجاوز التاسعة من عمره آنذاك، وليس في مقدوره أن يحتفظ بتفاصيل تلك الحياة الحبلى بالأحداث الخطيرة.

إن زمن الأحداث يعود إلى فترة ثورة 1936، ولم يكن حنا إبراهيم يعرف أنه سيصبح قاصا، لذلك لابد لكثير من الوقائع أن تغيب عن ذهنه.

---

[1] المصدر السابق، ص 18.

[2] المصدر السابق، ص 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما زمن الكتابة وزمن السرد في القصة، فيعودان إلى اللحظة التي أنهى فيها الكـــاتب كتابته ونشرها في عام 1972. وبذلك فإن هناك فجوة كبيرة بين زمن الأحداث وزمني الســـرد والكتابة، ولذلك فلا بد أن يكون الكاتب قد عرف أحداث ثورة 1936، من أشخاص عاشوا تلك الفترة، وعرفوا تفاصيل أحداثها، وليس غريبا أن يكون والده- الذي عمل جمالا، كما يذكر فـي سيرته الذاتية، وقاد فصيل الثوار – أوحى له بأحداث ذلك الزمن البعيد، ورواها له.

أما لغة القصة، فقد تعددت مستوياتها، لتشمل أصناف لغة القصة القصيرة بشكل عـام. أما لغة السرد فيها، فجاءت فصيحة، وتتفق بذلك مع لغة السرد القصصية . وقـد أســهم فـي ارتفاع مستوى لغة السرد في القصة، استخدام القاص للألفاظ القرآنية ومعانيها، وقد برز ذلـك في قوله: "لقد كان جمال سعدية مجلبة لكثير من المتاعب لها، فقد تحرش بـــها أكـثر شـباب القرية بعد موت زوجها. وحتى رجال متزوجون، راودوها عن نفسها" وهذا يعود إلـــى ثقافـة الكاتب الدينية، حيث ورد في قصة يوسف، ما قامت به زوجة العزيز من مراودة يوسف عـــن نفسه، وأصرت على نيل مرادها، إلا أن زوجها اكتشف الحقيقة في النهايـــة، وظـهر كذبـها ببراءة يوسف، "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب"[1].

أما الحوار في القصة فجاء منسجما وطبيعة الشخصيات المتحاورة، وتميز الحوار في القصة ، بالطول حينا والقصر حينا آخر، إلا أن الجمل الحوارية جاءت قصيرة، وكشفت عـــن مكنونات النفس الداخلية للشخصيات المتحاورة. كما أن الحـــوار يكســر الطبيعـة المباشـرة والتقريرية للغة السرد. كما أنه حافظ على لغة فصيحة ومفهومة. واســتخدم القــاص الــتراث الشعبي، فحشد عددا كبيرا من الأمثال الشعبية الريفية في القصة، وبرز منها في الحوار:

"– أنا جئت لأعرض عليك الزواج مني!

- ولكنك متزوج!!

- ألم يحلل لنا مثنى وثلاث ورباع؟!

- رح خيط بغير هذه المسلة"[2].

---

[1] القرآن الكريم، سورة يوسف، آية 23.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2- " تصفية حساب"

يتكون العنوان من كلمتين هما:"تصفية"و"حساب". أما الأولى فتعد مكونا حدثيا، بينما تعد الثانية مكونا شيئيا. والعنوان يثير في القارئ، وجود خلاف عميق بين طرفين، بحيث لم يعد ممكنا أن يبقيا مشتركين في عمل أو مشروع- أي أن عوامل الخلاف فاقت عوامل الاتفاق، مما دفع أحد الطرفين ، أن ينهي المشروع ويقتله. أي أن العنوان يعود بنا إلى الخلافات الاقتصادية، التي تحدث بين المشتركين في مشروع. إلا أن عنوان القصة لا يتضح قصد الكاتب منه إلا بعد قراءة القصة والانتهاء منها، فيكشف جزئيا عن فكرة الكاتب التي يريد أن يحققها، فنحن لا نفهمها كما أرادها القاص، إلا بعد قراءة القصة إلى نهايتها، وهذا يعطي العنوان قدراً من عدم الوضوح في أثناء قراءته معزولاً عن بقية النص، ومرونة في الكشف والتوضيح، ويبعده عن المباشرة الحادة.

أما موضوع القصة، فيدور حول قضية اللجوء وتشتت العائلة الفلسطينية، بسبب احتلال الصهاينة لفلسطين في العام 1948. وبرز هذا الموضوع في القصص التالية لحنا إبراهيم: "متسللون" و"صديقي الصغير" و "تحية العيد" و "الذكرى العاشرة" و "زيارة صيفية" و "جدران غير طيبة" و "الأرملة" و "نداء التراب" و "تصفية حساب".

يعتقل ممدوح الذيب المكنى بأبي الصاحب في أحداث العام 1948، بينما تخرج زوجته وطفلها مع أهلها إلى لبنان لاجئين . وبعد مضي نصف سنة ، يخرج من المعتقل، فينطلق إلى لبنان، ليبحث عن أفراد عائلته، وبعد أن يعود معهم إلى القرية، يتسرب خبر عن عودته إلى سلطات الاحتلال، فترسل رجالا من الشرطة ليلا إلى بيت أبي الصاحب،فيعتقلونه وأهله ومن ثم يبعدونهم إلى الحدود مع الأردن في جو بارد وماطر، ولا يهتمون لمرض الطفل الصغير. ويقوم أبو موسى، الضابط الإسرائيلي، بإطلاق الرصاص على المبعدين، مما يؤدي إلى إصابة الزوجة برصاصة في القلب، فتموت ويموت طفلها . ويعود أبو الصاحب مع جثتي زوجته وطفله كالمجنون لهول ما رأى.

وعلى الرغم من أن أبا الصاحب عمل فراشا في مدرسة القرية، إلا أن ذلك لم ينسه ابنه"مسلم" ، بل إن أولاد المدرسة يذكرونه بابنه الذي قتل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقوم مختار القرية بدعوة رجال السلطة الاحتلالية إلى بيته، للاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء دولة إسرائيل. ويفرض المختار على ممدوح الذيب أن يساعد في التجهيز للاحتفال. ويلتقي أبو الصاحب مع أبي موسى، قاتل طفله وزوجته، فيهجم عليه ويخنقه حتى الموت، فيكون بذلك قد صفى حسابه معه.

أما بناء الحدث في القصة، فيبدأ بسيطا حيث إن الناس "يقولون أنه في القرية التي تخلو من المجانين، فإن الناس يدفعون واحدا إلى الجنون ليسخروا منه"[1]. وقد بدأ الكاتب قصته بالفعل المضارع "يقولون" ليثبت لنا، أن هذا الفعل مستمر ولا يتوقف، وقد كان أسلوبه في هذه البداية، على طريقة الحكاية الشعبية، التي تتوارثها الأجيال المتلاحقة، دون اثبات لقائلها الأول. وبذلك تكتسب النفس الجمعي، الذي يؤمن به القاص، فهو يكتب عن قضايا جماعية وطنية، وليس عن هموم شخصية له. ويستمر الحدث في النمو والتصاعد، إلى أن يصل ذروة تطوره، بموت زوجة أبي الصاحب وطفله برصاص أبي موسى، فيبدأ أبو الصاحب يغلي كالمرجل، ولم يذهب غضبه وحقده إلا في لحظة إعادة التوازن لأحداث القصة، عندما يقوم أبو الصاحب بالهجوم على أبي موسى ويقتله.

أما نهاية القصة، فجاءت تفاؤلية، حيث تمكن أبو الصاحب من قتل الضابط أبي موسى[2]، وقيام أهل القرية بتشييع جثمان ممدوح الذيب إلى مثواه الأخير. وقد كان هذا، عندما هجم أبو الصاحب على الضابط في حفل طعام أعده مختار القرية لرجال السلطة، بمناسبة اليوبيل الخامس والعشرين لإنشاء إسرائيل.

أما شخصيات القصة، فبرزت شخصية ممدوح الذيب القوي العنيد، والذي لا يخضع لإرادة الاحتلال، بل يقاوم الاحتلال ويموت وهو يقاوم. كما وتظهر هذه الشخصية التي تحب الأطفال وتدافع عنهم، وهذا حدث حينما هجم أبو الصاحب على أحد المعلمين عندما كان يضرب تلميذاً.

كما وتبرز صورة المختار الذي يدعو رجال السلطة إلى بيته، للاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء إسرائيل، فهي صورة سلبية للمختار في القرية الفلسطينية.

---

[1] المصدر السابق، ص 262.

[2] المصدر السابق، ص 268.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن السارد في القصة يبدو موسوعيا فيعرف كل شيء عن شخصياته، فلا يخفى عليه باطنها، فيعرف ما تفكر به، وما يدور في خلدها، فالإنسان الذي يريد أن يهزأ بأبي الصاحب يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على أمر غير مأمون العاقبة[1]. وتظهر في القصة مواقع يبدو فيها السارد متخليا عن معرفته الكلية كما في قوله:" ولم يعرف أحد نوع التعذيب الذي تعرض له ممدوح في السجن"[2].

أما ضمير السرد فهو الغائب، ويبدو منسجما مع طبيعة السارد، ومن ذلك قوله:" نهض دون أن ينبس ببنت شفة، انحدر على السلم الخشبي المؤدي إلى مصطبة البيت"[3].

كما استخدم القاص ضمير ألـ "أنا" ليجعل سارده مشاركا في أحداث القصة، فيجعلها أكثر واقعية. بينما التركيز على ضمير الغائب يجعل أحداث القصة بعيدة، وكأنها تجري بصورة مستقلة، وقد ظهر استخدامه لضمير المتكلم في قوله:" مذ عينت معلما في مدرسة القرية وأنا أشعر أنني أحظى بمعاملة خاصة من أبو الصاحب. ولا أزال أذكر بوضوح أول لقاء لي معه. كنت يومها ولدا صغيرا ألعب بالبنانير في أحد الأزقة مع أترابي، حين مر أبو الصاحب. لم أشعر إلا ويده على رأسي. فداخلني رعب شديد. وتسمرت من الخوف"[4].

إن هذا المقطع من القصة يكشف عن طبيعة السارد، حيث بدا يعمل معلما في مدرسة القرية. كما أن المقطع، يكشف عن أسلوب السرد الذي استخدمه القاص، وهو الاسترجاع لأحداث زمن ماضية، عندما كان السارد ولدا صغيرا، ومرور أبي الصاحب عليه ومداعبته له، وخوف الولد الشديد منه.

استخدم القاص أساليب سرد متنوعة في قصته، منها التضمين حيث ينتقل من سرد أحداث القصة الأساسية إلى سرد قصة فرعية، إلا أنها تعزز الأولى ولا تتناقض معها، فالولد "لم يفقه كل التفصيلات التي حدثته بها أمه، لكن الحكاية أصبحت أكثر وضوحا فيما بعد وهي

---

[1] المصدر السابق، ص 262.

[2] المصدر السابق، ص 266.

[3] المصدر السابق، ص 262.

[4] المصدر السابق، ص 263-264.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتلخص فيما يلي: كان ممدوح الذيب الذي غلبت عليه كنية أبو الصاحب فيما بعد من أبرز شبان القرية"[1].

أما لغة القصة فجاءت على ثلاثة مستويات هي: السرد والحوار والحوار الداخلي.

أما لغة السرد فجاءت فصيحة ومفهومة لدى القراء، فيظهر ذلك في قوله: "وغاض الدم في وجه نجيب، وتبخرت جرأته كفقاعة صابون. ولكنه حاول أخذ الأمر على محمل الدعابة"[2]. ووردت الأمثال الشعبية التي اختزنتها الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني عبر مسيرة تاريخها الطويل ومنها في القصة: "الكف لا يلاطم المخرز"[3].

أما لغة الحوار فجاءت متفقة وطبيعة الشخصيات المتحاورة، وذلك لإضفاء صفة الواقعية عليها، حيث أن الكلام الذي تتحدث به الشخصية المتعلمة والمثقفة، يختلف كثيراً عن الكلام الذي يصدر عن الشخصية غير المتعلمة. ولذلك فقد وردت ألفاظ عامية أثناء الحوار، فالحوار التالي يجري بين ممدوح الذيب ونجيب الأسعد:

"–بلا مزح بحياة أبوك!

– من يمزح؟ أنت جيت تضحك علي! مش هيك؟ أنا أخليك تضحك حتى تشبع!"[4].

أما الحوار الداخلي، فقد ورد أثناء عودة ممدوح الذيب تسللاً إلى القرية من لبنان ومعه زوجته وطفله، حيث بدأت الهواجس تطغى على تفكيره الداخلي، وهو أمر طبيعي لإنسان يعاني التوتر والقلق، فهو يسأل نفسه: " أكانوا يتعرضون له بسوء لو كان حصاناً مثلاً؟ أما كانوا يأخذونه معجبين بعضلاته القوية ويعتنون به. أما قيمته كإنسان فلا تزيد في نظرهم عن قيمة الرصاصة التي قد تطلق عليه. تساءل لماذا؟ ولم يهتد إلى جواب"[5].

إنه حوار الذات مع ذاتها، لكن تقف عاجزة عن إقناع هذه الذات بسبب توترها وقلقها وتأزمها.

---

[1] المصدر السابق، ص 264.

[2] المصدر السابق، ص 263.

[3] المصدر السابق، ص 266.

[4] المصدر السابق، ص 263.

[5] المصدر السابق، ص 265.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3- "أحد الجنود المجهولين"

يتكون عنوان القصة من ثلاث كلمات هي: " أحد وتعد مكوناً شخصياً، وكلمة "الجنـود" وهي مكون شخصي كذلك، وكلمة "المجهولين" التي تصف هؤلاء الجنود.

إن العنوان يثير في القارئ أجواء الحرب والقتال، أي أن العنوان يلخـص مضمـون القصة، إلا انه لا يعبر عن كل شيء في القصة. ويمكن ان نقول عن شخص يتفانى في خدمـة قومه، في وقت السلم، إنه جندي مجهول، حقاً إنها غالباً ما تتمحور حـول المحـاربين الذيـن يستشهدون في المعارك دون أن يعرف أحد عنهم، ولكننا نستخدمها أيضاً عن غـير الجنـود، عن الموظف المخلص، والأستاذ المخلص الذي لا ينتظر مكافأة من أحد والذي يقدم أكثر ممـا يقدمه الذين يظهرون على شاشات التلفاز.

أما موضوع القصة، فيتحدث عن تمجيد الشيوعيين، الذين يقدمون تضحيات عظيمـة من أجل مجتمعهم وشعبهم. فهم يعملون لخدمة شعبهم وطبقتهم الكادحة، ولا يهمـهم تحقيـق مكاسب شخصية. إنهم يشكلون البطل الذي يضحي بكل شيء، لخدمة المصلحة العامة. فـهم الحربة المتقدمة في جيش الفقراء، الذي يخوض الصراع الطبقـي والقومـي، ضـد الأعـداء الطبقيين من البرجوازيين والأعداء المستعمرين.

وقد شكل البطل الشيوعي في القصة، النموذج الإنساني، الذي لا يرقى إلى قـدره إلا مَنْ آمن بقضية عادلة، وأفنى طموحاته الذاتية، لتحيا طموحات رفاقه وشعبه. وبهذا فإن القصة تعد من الأدب الأيدولوجي، حيث أن كاتبها يدرك أهمية الأدب في الدفاع عن الأفكار.

وهذا ينسجم مع موقع الكاتب الطبقي، وموقفه من الآخرين. فموقعه يفرض عليه موقفاً صلباً، ضد الأعداء الذين يريدون تصفية الوجود الإنساني لشعبه.

وتعددت القصص التي تناولت موقف الشيوعيين وتمجيده، فأظهرت مـيزات النـوع الجديد من البشر، الذي يتسلح بالفكر الاشتراكي في مواجهة الهيمنة الرأسمالية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن قصص حنا إبراهيم التي مجدت الشيوعيين: "قصيدة لليوبيل الفضي" و "عن الإنسان السعيد" و "لقاء غريب" و "تتاشا" و "ابعدوا عن الشر" و "الغربة" و "الإسكاف" و "ميلاد جديد" و "أحد الجنود المجهولين".

سار القاص بأحداث قصته على الطريقة المألوفة، فتبدأ صغيرة ثم تكبر وتتطور. وقد كانت البداية موفقة، حيث أنها تنسجم مع الجو الخاص الذي يثيره العنوان، فانطلقت أحداث القصة " حينما زعقت صفارات الإنذار في صبيحة الاثنين، الخامس من حزيران 1967"[1].
أي أن القصة تبدأ في يوم قاس، حيث زعيق صفارات الانذار، وهي صورة تجعل أقوى النلس يضطرب ويفقد التوازن. وزاد من ألم عزيز شهاب أن صاحبته اليهودية ريتا أخبرته أنها استدعيت للالتحاق بالجيش. وفي الحرب يصعب على عزيز أن يرتبط بريتا برباط الزواج. ثم تنمو الأحداث وتكبر، عندما يتسلم عزيز رسالة من مكتب الجريدة، ليشارك في إصدار الجريدة وطباعتها، على الرغم من جهله بهذا العمل. وهناك يجد ثلاثة من العاملين في المطبعة، الذين لا يتقنون هذا العمل أيضاً. وقد كان لهذا الوضع القاسي أثره الكبير على هذا الفريق غير المهني من الشيوعيين، بعد اعتقال الفريق المهني للمطبعة.

وبعد تفكير عميق توصل الفريق إلى قرار بإحضار أبي الياس العامل الفني للمطبعة والذي كان مجازاً بسبب المرض. ويتوجه الفريق إلى بيت أبي الياس، ليقنعوه بأن يأتي إلى المطبعة، ليشرف على عملهم. ولم يمنع المرض الشديد أبا الياس من الذهاب إلى المطبعة، ليشارك رفاقه في الحزب معركتهم لإصدار الجريدة.

ويتمكن الفريق بمساعدة العامل الشيوعي من إنجاز العمل في صباح اليوم التالي.
أما نهاية القصة فجاءت تفاؤلية وإيجابية، حيث استمرت الجريدة بالصدور، ولم تمنعها الظروف القاسية من البقاء والاستمرار. وهذه النهاية تتفق وفكر الكاتب، الذي يثق بالمبادئ الشيوعية وأصحابها الذين يضحون ويقدمون كل ما يملكونه من طاقات، لخدمة الفكر الذي يؤمنون به. فموت أبي الياس الجندي المجهول لم يوقف الجريدة عن البقاء[2].

---

[1] المصدر السابق، ص 200.

[2] المصدر السابق، ص 207.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برزت في القصة شخصية أبي إلياس، حيث قهر المرض وخرج إلى خدمة حزبه في ظرف شديد القسوة، لإيمانه بأهمية العمل في اللحظات الصعبة. فالظروف هي محك الرجال، والشيوعيون يتميزون عن غيرهم في ضرب المثل الأعلى في التضحية والبذل، فلا ينشدون الراحة الذاتية، بل يطمحون إلى أن تتحقق مبادئ حزبهم. فالقاص يهدف إلى "إنشاء أعمال دعائية تحريضية معاصرة، تهدف إلى استنفار الناس، وحثهم على القيام بمآثر في حياتهم وفي عملهم، وإبداع مؤلفات مشبعة بعواطف وأفكار إنسانية سامية ونبيلة، تثير في الناس وتنمي فيهم صفات روحية تميز إنسان المجتمع الشيوعي"[1]. ولم تختلف شخصية عزيز شهاب الرفيق الشيوعي عن شخصية أبي الياس، فهو لم يتقاعس عندما بعثت له إدارة الجريدة رسالة بضرورة الحضور إلى مكتبها، وعمل بكل ما لديه من طاقة لطباعة الجريدة، حتى لا يحرم القراء من متابعة الأحداث من على صفحاتها.

تميز سارد القصة بالمعرفة الكلية، وقد برز ذلك من خلال تمكنه من الدخول إلى قاعة الاجتماع الحزبي للشيوعيين، واستماعه مع أعضاء الحزب إلى خطاب سكرتير الحزب، الذي تحدث فيه عن الوضع السياسي، وتحذيره من نشوب حرب خلال أيام قليلة[2].

واستخدم الكاتب أسلوب الاسترجاع في السرد، حيث يتوقف عن سرد أحداث اللحظة الراهنة، ليعود إلى فترة زمنية سابقة، تميزت بأحداث معينه. فالشيوعي عزيز شهاب، الذي كان يستمع إلى سكرتير الحزب الشيوعي، تعود به الذاكرة إلى لحظات سابقة، حيث قضى وقتاً مع محبوبته[3].

واستخدم القاص التضمين في سرد أحداث القصة، فهو ينتقل من سرد القصة الأساسية إلى سرد القصة الفرعية، وهذا الانتقال يفيد القصة، وذلك أن القصة الفرعية تدعم القصة الأساسية في الفكرة التي تتناولها، كما تمنح القارئ التشويق لمتابعة القصة الأساسية. فالقصة الأساسية تتحدث عن تضحية أبي الياس عندما كان مريضاً، وأسهم في طباعة الجريدة. وينتقل الحديث في القصة إلى قصة فرعية عندما صدمت سيارة أبا الياس وتمّ نقله إلى المستشفى[4].

---

[1] جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي، ص 286.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 200.

[3] المصدر السابق، ص 200.

[4] المصدر السابق، ص 206.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدم الكاتب السرد والحوار في قصته. أما السرد فجاء فصيحاً، ليتناسب مع الموضوع الذي يقص عنه. فهو موضوع جدي وتناسبه لغة فصيحة، وقد برز ذلك، عندما " أفرخ روعه ويمم حالاً شطر المكتب، كانت الشوارع شبه خالية"[1].

كما أن القاص وظّف المثل الشعبي في لغة سرده، وقد جاء المثل خادماً للفكرة التي يريد أن يثبتها، فعندما توقفت آلة الطباعة عن العمل، بسبب عدم قدرة عزيز شهاب المهنية، لم يجد أمامه إلا المثل: "جتنا نكحلها فعميناها، قال عزيز منتقداً نفسه"[2]. وقد جاء الاستخدام موفقاً وموقف الإنسان الشيوعي، الذي لا يخجل من الاعتراف بذنبه أو كما يسميه الشيوعيون الانتقاد الذاتي.

وقد جاءت لغة الحوار منسجمة مع الشخصيات المشتركة فيه، فالحوار الذي جرى بين أحد محرري الجريدة، والرفيق عزيز شهاب جاء قصير الجمل، ومتناسباً مع مستوى الشخصيتين الثقافي، كما انه جاء فصيحاً، لطبيعة الموقف الجدي، ومن الحوار:

" – من أين جئت؟

– من العمل إلى البيت إلى هنا مباشرة.

– أطلبك البوليس؟

– حتى الآن. لا"[3].

---

[1] المصدر السابق، ص 200.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 204.

[3] المصدر السابق، ص 200–201.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- "خطوة على طريق العودة"

يتألف عنوان القصة من أربع كلمات تشكل فكرة يصر القاص على تحقيقها، وهي العودة إلى الأرض الفلسطينية. فبعد أحداث العام 1948، قام اليهود بطرد أصحاب القرى والمدن من بيوتهم وأراضيهم، لتصبح لقمة سائغة لسياستهم العنصرية. وقد قام اليهود بمجازر ضد العرب، لإجبارهم على الرحيل، كما هدمت ونسفت بيوت العرب بعد رحيلهم. وقد كان نتيجة هذه السياسة، أن تفرق شمل العرب وأصبح معظمهم لاجئين في بلاد الشتات، بينما بقي قسم منهم لاجئين في وطنهم، بعد أن أغلقت السلطات الاحتلالية قراهم الأصلية، ومنعتهم من العودة إليها، ويوجد " في إسرائيل اليوم أكثر من 30 ألف فلاح عربي لاجئين، إذ أن السلطات العسكرية قد أجلتهم عن قراهم أو أنهم اضطروا في أثناء القتال إلى اللجوء إلى قرى مجاورة"[1].

إن كلمة "خطوة" تدل على الحركة الإنسانية والإرادة، فهذه الحركة مكون حدثي يتميز به الإنسان، الذي يريد دائماً أن يغير من واقعه، ليصل إلى واقع أفضل. فالحركة تدل على الفعل وتتحقق في وجودها على الأرض، فكانت الكلمتان: "على الطريق" بمكونهما الحرفي والمكاني، تسبقان الوصول إلى الغاية والهدف من الحركة. فكانت كلمة "العودة" مكوناً حدثياً، تتحقق به حركة الإنسان الفلسطيني. والعنوان بمكوناته المتنوعة، يتطابق وفكر القاص الذي يؤمن بالحركة المطلقة وعدم الرضوخ للجمود.

يدور موضوع القصة حول فكرة العودة إلى الأرض، التي تلح على الفلسطيني الذي طرد من بيته وبلده. فالشاب الياس سمعان الذي يعيش لاجئاً مع أهله في قرية فلسطينية غير قريتهم الأصلية، أزعجه أن ترتبط قريتهم الأولى بالموت. فالسلطات تتساهل مع أهل القرية وتسمح لهم بدفن موتاهم في مقبرتها. وقد دفع هذا الياس إلى التفكير بعقد قرانه، في كنيسة القرية المهدمة، لتصبح رمزاً للحياة، فأراد بذلك أن يمحو صورة القرية السلبية، التي أرادها الاحتلال مقبرة، لتتحول إلى حياة وفرح، ولتقام فوق أرضها الأعراس.

وقد كتب القاص مجموعة من القصص التي تدور حول الأرض ومنها: "معلمي القديم" و" الأرض الطيبة"و"ريبورتاج متأخر" و"صور من يوم الأرض كالجسم السليم"و" حين لم تعد

[1] حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة، ص 73.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة العربية ضلعا قاصرا" و"ريحة الأرض" و"أبناء العم الفصل الأول" و" الفصل الثاني"و"آباء وبنون" و"المطاردة"و"ترجيم بالغيب" و"خطوة على طريق العودة".

سار القاص في أحداث قصته متدرجا من البسيط ، فبدأها بقول الناس الشائع " ربما يصدق المثل القائل:"ميتة الفقير لا يدري بها أحد"[1]. ثم يستمر الحدث في الصعود، حيث بدأ اللاجئون يحنون إلى قراهم، ولم يتركوا وسيلة ليحققوا عودتهم، وقد كان الياس سمعان أحد هؤلاء الذين عاشوا حياة اللجوء، ويقرر أن يفاتح الخوري بعقد قرانه في كنيسة قريتهم المهدمة. وقبل أن تتحقق فكرة الياس بأيام قليلة، يسقط أثناء عمله ويقضي نحبه، فتكون هذه اللحظة، ذروة تطور الحدث في القصة. إلا أن فكر القاص جعله ينهي القصة بصورة تفاؤلية، حيث إن موت الياس، لم يمنع أحد شباب القرية من متابعة فكرة الياس، وليتم عقد قرانه في كنيسة القرية الأصلية.

برزت شخصية الياس سمعان لتمثل الذات الفلسطينية، التي ترفض العيش بعيدا عن الوطن، وتصر على تحقيق الحلم الفلسطيني بالعودة. وهذه الشخصية تعد نامية، حيث طرأ عليها التغير، فهي مؤثرة في غيرها، وذلك بأن أصبحت قدوة لمن بعدها من أهل القرية، وهي قادرة على إحداث التغير، ولا تبالي بما ينتظرها من مخاطر وصعوبات.

يبدو سارد القصة كلي المعرفة، وبرز ذلك عندما كان حاضرا في غرفة الياس سمعان، وعرف أنه لم ينم قبل أن ينتصف الليل، فهو شاهد على قلقه وعجزه عن تحقيق النوم[2].أما ضمير السرد فكان ضمير الغائب الذي يناسب طبيعة السارد.

إلا أن استخدام لفظة "ربما" في القصة، أضعف من معرفة السارد، وذلك في قوله: "ربما يصدق المثل القائل"[3].

واستخدم القاص أسلوب الاسترجاع في السرد، حيث ان الياس سمعان، الذي ذهب مع المشيعين في جنازة أم نور إلى مقبرة القرية الأصلية، انتظر هناك حتى انتهى الخوري من صلاته الجنائزية، فبدأ شريط الذكريات يتوارد على ذهنه، وقد كانت الذكريات القديمة جسرا

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 208.

[2] المصدر السابق، صالمصدر السابق، ص 210.

[3] المصدر السابق، ص 208.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الماضي الجميل، بما فيه من أعياد، ورائحة بخور، وحلوى، وثياب جديدة، وكعك عيد محشو بالعجوة.

إن الاسترجاع جاء هنا لينقذ الياس من قسوة الزمن الحاضر، ولينقله إلى لين الزمن الماضي.

جاءت لغة السرد فصيحة ومفهومة، لأن القاص يريد من القراء أن يشاركوه في تجربته، فبدت لغتها تحترم المستوى الثقافي للقراء.

كما ظهر المثل الشعبي في لغة السرد في القصة، حيث إن القاص يحوله من الشكل الشفوي إلى الأدب المكتوب، ليزيد من رسوخه في ذهن الإنسان الفلسطيني، وبذلك أسهم في الحفاظ على تراث الأجيال الفلسطينية السابقة، وليكون زاداً للأجيال الحاضرة، التي قد تنسى الكثير من الأمثال، في ظل التقدم الحضاري الحديث، ومن هذه الأمثال في القصة: "ميتة الفقير لا يدري بها أحد"[1] و "الوطن قتال"[2].

أما لغة الحوار فجاءت متناسبة وطبيعة الشخصيات المشتركة فيها، وتكشف الأعماق النفسية لدى المتحاورين. كما أن الحوار يفيد في إعطاء الحرية للشخصيتين المتحاورتين، ولتتحررا قليلاً من سيطرة السارد. وعلى الرغم من أن الحوار التالي يدور بين عاملين هما الياس سمعان وسالم، إلا أن لغة الحوار حافظت على قدر من الفصاحة:

"– اتركها إلى يوم الأحد..يا أخي الله ما خلق الدنيا بيوم واحد.

- مجبورين نخلصها اليوم.

- إذن تفضل أنصب اسقالة!"[3].

واستخدم القاص لغة الحوار الداخلي، فشخصية الياس سمعان أثناء توترها النفسي، تطفو على صفحة دماغها أسئلة كثيرة، تسألها لذاتها، ومن ذلك: "وفجأة لمع في ذهن الياس سؤال استتبع سلسلة من الأسئلة: لماذا لا يتاح لهم رؤية قريتهم إلا عندما يأتونها لدفن أحد

---

[1] المصدر السابق، ص 208.

[2] المصدر السابق، ص208.

[3] المصدر السابق، ص 212.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موتاهم؟! وحتى تحرم على الأحياء! وإلام تدوم هذه الحال؟ لقد مر نحو ربع قرن وهم يعللون أنفسهم بالعودة"[1].

5- "الثمن"

لم تكتف سلطات الاحتلال بالسيطرة على الأرض الفلسطينية وحرمان الفلسطيني من خيرات أرضه، بل حولته إلى عامل في المشاريع الإسرائيلية، ولتستغله شر استغلال. فالظروف الموضوعية فرضت على الفلسطيني أن يجري تبادلاً في السوق الرأسمالية الإسرائيلية. فهذا العامل لا يملك شيئاً إلا قوة عمله، مما يدفعه إلى أن يتبادل مع الرأسمالي اليهودي، ليتمكن من تلبية حاجاته الأساسية في المأكل والملبس وبناء البيت.

كتب القاص قصصاً عديدة عن صور القمع الصهيوني، بحق الإنسان الفسطيني ومنها: "أنا ابوك يا جميلة" و "الرجل الذي حمى الأمن" و "حلم" و "لا، لن يضيع" و"مشروع حب" و "أخل بالأمن" و " أصداء حزيرانية" و " الثمن".

أما عنوان القصة " الثمن"، فيتألف من كلمة واحدة، وهي مكون شيئي. يوحي العنوان بعملية بيع وشراء تجري. ولهذا فالعنوان يكشف عن مضمون القصة، الذي يتحدث عن استغلال صاحب عمل يهودي لعامل فلسطيني من الضفة الغربية، فيقوم صاحب العمل بإغراء العامل الشاب طلال بمبلغ مائتي ليرة، ليصلح خللا في رافعة البناء، ويعرض نفسه للموت.

يبدأ الحدث صغيرا، عندما يبدو القلق على أبي طلال لتأخر طلال في العودة إلى البيت ليلا. فالوالد يشك بعلاقة ابنه مع إحدى صائدات الرجال في المدينة. ثم يكبر الحدث وينمو حينما يعود طلال وينام إلى وقت متأخر من الصباح. ثم يقوم والده بإيقاظه ليذهبا إلى العمل في ورشة البناء اليهودية. ويحدث عطل في الرافعة، ويتوقف العمل. ويدفع ذلك مدير العمل، إلى أن يجد حلا سريعا لإصلاح الخلل، فيختار "طلال"، ويغريه بمبلغ من المال. إلا أن بعض العمال حذروا والده من هذه المخاطرة، مما جعل صاحب العمل ينقل والد طلال مع مجموعة من العمال إلى مكان آخر، ليسهل عليه إقناع طلال بالمهمة. ويبلغ الحدث ذروة تطوره عندما يقبل طلال القيام بمهمة إصلاح الرافعة ثم سقوطه وموته.

---

[1] المصدر السابق، ص 209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نهاية القصة، فجاءت تفاؤلية، حيث يقوم أبو طلال بقتل مدير العمل الذي تسبب في موت ابنه، ليبين الكاتب من خلالها، أن الفلسطيني سيأخذ بحقه، وأن دمه غال ولن يذهب هدراً.

تميزت شخصية الذات الفلسطينية ببساطتها وفقرها المادي. وقد بدا ذلك في شخصية طلال الذي يعمل ليلا ونهارا في الورش اليهودية، ليتمكن من توفير مبلغ من المال لإنشاء بيت زوجية. وتتميز شخصية طلال بالاندفاع والمخاطرة، فيخاطر بنفسه ويصعد إلى الرافعة ليصلحها. وتميز والد طلال بحبه الشديد لابن زوجته، فيعمل ويجمع المال ليساعد في إنشاء بيت الزوجية. ولم يقف أبو طلال حائراً عندما علم بموت ابنه، بل صمم على قتل مدير العمل الذي تسبب في موت طلال، فبدت شخصية جريئة ولا تخاف العواقب، إنها شخصية مدورة تكثر من الأعمال، وتبدو في مواقف مختلفة، فلا تثبت على حال، ولا تردد جملا ثابتة.

دخل السارد إلى أعماق أبي طلال، وعرف أن طلالا قد تأخر في عودته إلى البيت، لأنه سيكون في حضن امرأة من صائدات الرجال في المدينة. فالهواجس طغت على سطح تفكيره[1]، ويتدخل السارد ويعلق على أحداث القصة، لأنه عارف بكل تفاصيلها، ويريد أن يوضحها. وقد ظهر ذلك عندما داس أحد العمال على قدم أبي طلال ليحذره من خطورة ما سيقوم به ابنه، وقد اتبع السارد ذلك بقوله"إذا حدث مكروه-لا سمح الله- فالتأمين لا يشمله لكونه من أبناء الضفة الغربية"[2].

واستخدم القاص الاسترجاع في السرد، حيث عاد إلى أحداث زمن سابقة بعيدة عن زمن أحداث السرد، وذلك ليكشف عن المزيد من العلاقة بين الأحداث الماضية والأحداث الحاضرة. فعندما يتحدث عن طلال ابن الزوجة الذي هو شاب قوي الآن، يعود لاسترجاع أحداث زواج أبي طلال من أم طلال، فهذه المرأة كانت "أرملة حسناء متكبرة ورفضت جميع الذين تقدموا لطلب يدها"[3].

---

[1] المصدر السابق، ص 275.

[2] المصدر السابق، ص 277.

[3] المصدر السابق، ص 275.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت لغة السرد فصيحة، واستمرت من بداية القصة إلى نهايتها، حيث إن القاص لم يستخدم لغة الحوار أو الحوار الداخلي.

وقد وظف القاص المثل الشعبي الفلسطيني على لسان أم طلال التي رفضت أن تتزوج أي رجل بعد موت زوجها وكانت تقول لكل من لا يعجبها من الأزواج: "با بادل السخلة بنخلة"[1].

6- "العلم"

كتب حنا إبراهيم مجموعته القصصية "هواجس يومية " أثناء الانتفاضة الفلسطينية التي امتدت من العام 1987 إلى العام 1993، وكان تاريخ نشرها في العام 1989. وقد تناولت هذه القصص أحداث الانتفاضة. ومن هذه القصص: "حكايتان من السجن" و "شهادة السجن" و "نهاية سعيدة" و "الحياة مستمرة" و "جمع الشمل" و "على الهامش" و "خائن رغم أنفه" و "الواشي" و "رسالة إلى السجن" و "حجر كريم" و "العلم".

واخترت قصة "العلم" نموذجاً لهذه القصص. فعنوانها الذي يتكون من كلمة واحدة، جاء مباشراً وواضحاً، ويعطي القارئ جزءاً كبيراً من مضمون القصة. فهذا العنوان الذي يتألف من مكون شيئي ويرمز إلى الكرامة الفلسطينية، كان أحد أشكال العمل اليومي للانتفاضة، فشباب الانتفاضة رفعوه وقدموا أرواحهم، من أجل أن يبقى خفاقاً.

والقصة تعليمية، تهدف إلى تعليم شباب الانتفاضة، كيفية رفع العلم الفلسطيني، دون أن يهتموا بالخطر. والتعليمية ليست غريبة عن قاص واقعي يكتب عن الجماهير ولها. وهو بذلك يهدف إلى تعليم الأجيال الفلسطينية المتعاقبة، على رفع العلم رمزاً للعزة والكرامة. وتظهر التعليمية عندما قام والد شحادة، وصديقه رافع، اللذين لم يتمكنا من القيام بالمهمة التي أعطيت لكل منهما فهو يجعلها أمراً بسيطاً وذلك بأن "تضع عصا في طرف العلم، وضع عقفة على كل من طرفي العصا، واربط الطرف الآخر بخيط طويل ينتهي بحجر أو ثقل ما. بلل الخيط بالنفط أو البنزين"[2].

---

[1] المصدر السابق، ص 275.

[2] المصدر السابق، ص 288.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدأ أحداث القصة بسيطة،حيث يخرج شحادة و زميله رافع إلى مكان الاجتماع للقاء قادة الانتفاضة المحليين، ويكون الجو ماطراً وبعد مسافة قصيرة، يصلان إلى المكان المحدد، فيجدان أربعة قادة يمثلون فصائلهم الوطنية. وفي الاجتماع يتم توزيع المهمة على شحادة ورافع، فيأخذ كل منهما علماً فلسطينياً، و يضعه تحت قميصه حتى لا يتعرض أي منهما للخطر. وفي الليل يضع شحادة العلم تحت وسادة نومه، ولكنه يبقى لابساً حذاءه، ليبقى مستعداً للخروج إلى المهمة. إلا أن تساقط المطر الشديد يمنعه من تنفيذ مهمته. وفي أثناء انتظاره لتوقف المطر، ينام ويرى أحلاماً كثيرة. وقد وصلت ذروة الأحداث في القصة، عندما استيقظ في الصباح مذعوراً، لأنه لم يتمكن من تنفيذ المهمة، ويبحث عن العلم تحت وسادته دون أن يجده.

أما نهاية القصة فجاءت تفاؤلية وإيجابية، ومنسجمة مع موقف الكاتب الفكري ومع هدف القصة التعليمي، "فالعلم بقي يرفرف بخيلاء أياماً عديدة، مثيرا الغيظ والحنق في قلوب كثير من المستوطنين والعسكر والاعتزاز في قلوب العرب"[1].

تظهر في القصة شخصيات رئيسة هي: شحادة ورافع ووالد شحادة، وشخصيات ثانوية تساهم في أحداث القصة، وتساند الشخصيات الرئيسة وهي: عمر وتيسير وفرج وسعيد الذين يشكلون قيادة الانتفاضة المحلية في البلدة. وقد تميز شحادة ورافع بالضعف حيث عجزا عن القيام بالمهمة، مما دفع والد شحادة إلى أن يقوم بها على أحسن صورة، وليكون قدوة في عمله لابنه شحادة وزميله رافع، وللأجيال الفلسطينية المتلاحقة.

تميز السارد بمعرفة تامة لشخصيات القصة وأحداثها. فهو يعرف كل صغيرة وكبيرة، فيلاحق الشخصيات في نومها، ويتعرف على أحلامها التي تراها وهي غائبة عن الوعي[2].
وساد ضمير الغائب في القصة، ليتناسب مع السارد الموسوعي.

واستخدم القاص أسلوب الاسترجاع في أثناء سرده لأحداث القصة، فهو ينتقل من اللحظة الراهنة إلى زمن سابق مشرق، ليضيء بأحداثه وشخصياته الزمن الحاضر. أي أن الاسترجاع هو جسر بين زمنين لتلتقي فوقه شخصيات الزمنين وأحداثهما. ولذلك فقد "تداعت

---

[1] المصدر السابق، ص 289.

[2] المصدر السابق، ص 287.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى ذهنه عشرات الحكايا والصور عن أبطال ضحوا بحياتهم في معارك طاحنة كي لا ينكس العلم أو يسقط"[1].

أما لغة القصة فكانت الفصيحة، بالإضافة إلى استخدام مفردات عامية عمل على تفصيحها، وتحتوي على بعض الألفاظ العامية كما في قوله: "وأطلق الناس عليهما لقب "زلمة الديمقراطية"، و "زلمة الشعبية""[2]. فالمقصود بكلمة "زلمه" هو الرجل، وهي كلمة مستخدمة كثيراً في الريف على ألسنة الفلاحين.

واستخدم القاص التراث العربي الشعري حيث يستغل قصة طرفة بن العبد مع قومه وخلافه معهم حين ابتعدوا عنه، بعد أن "تحامته العشيرة كلها وأفرد إفراد البعير المعبد"[3].

كما وظف القاص التراث الشعبي الفلسطيني، ليخدم الموقف الذي ينحاز إليه، وهو النضال الوطني ضد الغزاة والمحتلين. وقد عمّق المثل الشعبي الموقف الذي يتحدث عنه، عندما كان شحادة يحمل المظلة، لتحميه من المطر، أثناء توجهه إلى مكان الاجتماع، ولم تمنع المظلة المطر عنه، فأقنع نفسه بالمثل الشعبي "المتغرق لا يخاف المطر"[4]. كما ان شحادة الذي فشل في مهمة رفع العلم ليلاً فوق أسلاك الكهرباء، بسبب المطر الشديد، وجد في المثل الشعبي الذي يذكره عزاء لهذا الفشل، فهو من "أول غزواته كسر عصاته"[5].

أما الحوار، فجاء فصيحاً ومعبراً عن مستوى الشخصيات المتحاورة، كما أنه يخدم القضية التي يلح عليها القاص. فالحوار الذي يجري بين عمر وشحادة يكشف عن هذه القضية:

"– لا شيء. مجرد تداعي أفكار. أتعرفون، هذه أول مرة ألمس فيها العلم الفلسطيني، وإن للحدث روعته. أعطوني شيئاً ألفّه به. فردّ عمر:

---

[1] المصدر السابق، ص 286.

[2] المصدر السابق، ص 284.

[3] المصدر السابق، ص 285، وانظر أيضاً أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، معلقة طرفة، ص 284.

[4] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 284.

[5] المصدر السابق، ص 287.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– العلم ليس زوادة تلف. لفه على وسطك تحت الثياب والله معك. انتبه فقط ألا يراك أحد"[1].

وقد جاء الحوار قصيراً بين المناضلين، لطبيعة الموقف الذي يكون سرياً وخطيراً، فهو يدور حول مهمة وطنية نضالية ضد الأعداء.

7– "ذنب قديم"

يعد المحور الاجتماعي من المحاور الأساسية في قصص حنا إبراهيم، فهو يتناول فيه قضايا اجتماعية تحصل في المجتمع الفلسطيني في الأزمنة المتعددة. ومن القصص التي تناولت القضايا الاجتماعية: "حسناء" و "عيد ميلاد" و "سر المرأة التقية" و "كيف خسر أبو ملحم وربح" و "خانة السيد" و "حديث ذو شجون" و "عود على بدء" و "المعلمة X" و"المتمردة" و "ذنب قديم". وقد وجدت في قصة "ذنب قديم" نموذجاً يمثل بقية القصص.

يتألف عنوان القصة من كلمتين هما: "ذنب" وهو مكون شيئي، يحدث كثيراً أثناء العلاقات الاجتماعية بين الناس. أما كلمة "قديم" فوصفت المكون الشيئي. فالعنوان يثير في ذهن القارئ الأخطاء المختلفة في الأزمنة الماضية. كما ان له علاقة بموضوع القصة، الذي يدور حول علاقة فتاة مدنية متحررة في فترة أحداث العام 1948، مع شاب التقت به في حافلة، وتعرف عليها بعد أن أحرقت سيجارتها قميصه. ثم التقت به أثناء خروج أهل حيفا من مدينتهم أثناء الحرب، وقد فقدت الفتاة أهلها، ولم تستطع اللحاق بهم. وتعود مع الشاب إلى بيت أهلها ويتم زواجهما أثناء الحرب دون حضور أحد من أهلها وأهله، ولم يكن ثمة شاهد على زواجها سوى صورة والدها. ويخرج الشاب في اليوم التالي إلى المخبز ليحضر الطعام ويموت برصاصة.

ولم يرد القاص للفتاة أن تموت قهراً، فتعرفت في إحدى الحفلات على معلم ريفي غير متزوج، وصارحها بحبه ونيته الزواج منها، إلا أنها طلبت منه التريث. ويعلم بقصتها مع ذلك الشاب، فيعدل عن رغبته بالارتباط بها. وقد بدا القاص منحازاً للمرأة.

يتحدث السارد في بداية القصة، عن الدعوة التي تلقاها معلم ريفي، من فتاة للحديث عن المرأة في عيدها الأممي. فجاء الحديث بسيطاً، ثم انتقل للحديث عن تعرفه على الفتاة

---

[1] المصدر السابق، ص 286.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثناء احتفال مع أهلها. ثم يصارحها بحبه ونيته الزواج منها، إلا أنها طلبت منه الانتظار قليلاً، ليعرف عنها كل شيء. ويتلقى الشاب رسالة من الفتاة، توضح فيها ماضيها، وزواجها من شاب في حيفا أثناء أحداث العام 1948 وموته آنذاك. وعندما علم الريفي بماضي المعلمة وداد، تراجع عن مشروع الزواج. إلا أن وداد لم تقطع علاقتها بالمعلم، بل أرسلت له رسالة أخرى قبل موتها، تبين له فيها سبب تأخره عن طلب يدها. وكانت ذروة تطور الحدث عندما انتحرت وداد.

أما نهاية القصة، فجاءت تشاؤمية، إذ لم يتم زواج المعلم من وداد، وأصبح شبحها يطارده في كل مكان، واتهم نفسه بالمسؤولية عن هذه الجريمة.

وإذا نظرنا في الشخصيات فإننا نلاحظ شخصية المعلمة وداد، فبدت متحررة وتقيم العلاقة مع الرجل، وعلى الرغم من قوتها وشجاعتها، إلا أنها ضعفت في المجتمع الذكوري، وأقدمت على الانتحار. وقد اتصفت هذه الشخصية بالنماء، فهي لم تبق ثابتة، بل تغيرت لتصبح شخصية مستديرة.

وهناك شخصية المعلم الريفي، فعلى الرغم من واقعها الفكري والثقافي، إلا أنها عجزت عن الصمود أمام تقاليد المجتمع الشرقي، الذي يريد الفتاة نقية، فلا علاقة سابقة لها مع الرجل. وقد تخلى المعلم عن وداد في محنتها، خوفاً من أبيه وأهله وأبناء مجتمعه. إنها شخصية تتخلى عن ثقافتها، وتهزم أمام تخلف مجتمعها.

وإذا ما نظرنا في طبيعة السارد لاحظنا أنه يبدو مشاركاً في أحداث القصة، فيظهر استخدام ضمير المتكلم، الذي يجعل السارد إحدى شخصيات القصة. فالمعلمة وداد تتحدث إلى المعلم وتقول: " ينبغي أن أعترف لك أنك لم تفاجئني بالإفصاح عن حبك، فقد رأيته في عينيك على الكرمل، ولكنك لم تسأل إن كنت أبادلك الحب"[1].

استخدم القاص الرسالة في سرد أحداث القصة، وقد كان موفقاً في ذلك، حيث أن العلاقة بين المرأة الشرقية والرجل الشرقي في المجتمع المحافظ، ليست أمراً سهلاً أن تتم أمام الناس. ولذلك فقد عبَّر أسلوب السرد بالرسالة عن الجانب الموضوعي والأخلاقي، للمجتمع

[1] المصدر السابق، ص 241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي في الأربعينيات، حيث لم تكن المرأة قد نالت قسطاً وافراً من حريتها الشخصية، كما أن الرجل بقي محكوماً لتقاليد مجتمعه، التي تفرض عليه عدم الارتباط بامرأة سبق لها أن تزوجت، أو أقامت علاقة مع رجل قبل الزواج. ولذلك جاءت الرسالة، ضرورة موضوعية، للتغلب على العوائق التي تعترض العلاقة الإنسانية، بين المرأة والرجل. فهو يبدأ القصة على شكل رسالة: " عزيزتي.....لك أن تعجبي بل وأن تغضبي لرفضي المستهجن لدعوتك اللطيفة"[1].

كما واستخدم القاص الاسترجاع، حيث عاد إلى أحداث ماضية، احتاجها لدعم موقفه في الزمن الحاضر وذلك في قوله: " ينبغي لي أولاً أن اعترف بإساءة قديمة لا أستطيع اليوم أن أغفرها لنفسي. وإليك القصة: كان ذلك قبل خمس وعشرين سنة"[2].

أما لغة سرد القصة فجاءت فصيحة، وهذا يعود إلى طبيعة الشخصيات التي يسرد عنها. فالمعلم الريفي والمعلمة وداد يتبادلان الرسائل، ولذلك جاءت لغة السرد رفيعة في مستواها، فهي لغة مثقفين، من ذلك: " وعندما التقينا ثانية كانت حيفا تحترق. وكأنما زلزت الأرض زلزالها ولم يعد يعي أحد ما يفعل"[3]. وقد زاد من ارتفاع مستوى لغة السرد، استخدام الألفاظ القرآنية فيها والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: " إذا زلزلت الأرض زلزالها"[4].

كما وظف القاص المثل الشعبي في لغة السرد في القصة، وقد عبر عن نوعية المرأة التي يريد الإنسان الريفي أن يرتبط بها زوجة، فيريدها طاهرة نقية قبل الزواج "ما شم فمها إلا أمها"[5].

أما الحوار، فجاء قصيراً وبلغة فصيحة، حيث ينسجم مع طبيعة الشخصيتين المتحاورتين، واللتين نالتا حظاً وافراً من التعليم. ومن ذلك الحوار الذي جرى بين الشاب والمعلمة وداد: " – وقال: نامي أنت وسأصعد إلى السطح للمراقبة وشعرت بالخوف. قلت:

---

[1] المصدر السابق، ص 239.

[2] المصدر السابق، ص 238.

[3] المصدر السابق، ص 238.

[4] القرآن الكريم، سورة الزلزلة، آية 1.

[5] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 240.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا، وما الفائدة من جلوسك على السطح. التزم الصمت، وحزرت أنه محرج، قال بأسى: لمـــاذا تريدين أن تدخليني في تجربة؟"[1].

[1] المصدر السابق، ص 241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

"حنا إبراهيم شاعراً"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الكلمة الشعرية المقاومة"

أسهم حنا إبراهيم في رفد الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة بديوانين شعريين هما: "صوت من الشاغور"، وصدر عن دار الأسوار في عكا في العام 1981، و "تشـــيد للنـــاس"، وصدر عن دار المشرق في العام 1992. كما توجد للشاعر مجموعـــة مـــن القصـــائد غـــير منشورة.

وقد بدأ الأديب حنا بنظم الشعر في فترة متقدمـــة مـــن الزمـــن، تعـــود إلـــى بدايـــة الخمسينات، إلا أنه بدأ بنشر إنتاجه القصصي في مجموعات قصصية خاصة بـــه فـــي بدايـــة السبعينات، وتأخر بنشر إنتاجه الشعري إلى بداية الثمانينات وهذا يعود إلى اهتمامـــه بالقصـــة أكثر من اهتمامه بالقصيدة، حيث إن القصة تعبر عن الأفكار، بينمـــا تعـــبر القصيـــدة عـــن الانفعالات ، ولذلك ارتبطت الانفعالات بالشعر والأفكار بالنثر"[1]. ويفسر ذلـــك، بـــأن الأديـــب الذي كان منتميا للحزب الشيوعي، وجد بالقصة مجالا واسعا للتعبير عـــن أفكـــاره، ورأى أن يؤخر نشر شعره، لأن الانفعال والعواطف لا تتلاءم كثيرا مع الأفكار التي يدعو إليها الحزب.

كان لسقوط فلسطين بأيدي اليهود في العام 1948 تأثير كبير على الشـــعراء الذيـــن ظلوا صامدين فيها، فاندفع هؤلاء بنظم الأشعار التي تتناول الفجيعة التي حدثت. فالمآسي التـــي أصابت أهل فلسطين دفعت الشعراء أن يندمجوا " كليا مع الشعب وعاشـــوا بأعماقـــهم آلامـــه ومآسيه"[2].

وقد جاءت قصائد شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة منسجمة مـــع واقـــع الشـــعب الثقافي، حيث إن غالبية هذا الشعب تنتمي إلى الفلاحين والعمال. ولم يكـــن هـــؤلاء البســـطاء قادرين على فهم القصائد الرمزية، بل يتفاعلون مع الأشعار البسيطة، ولـــهذا "يـــرى شـــعراء الأرض المحتلة أن المسؤولية الاجتماعية للأدب لديهم تعني وصول قصـــائدهم إلـــى القـــاعدة العريضة من الجماهير، مما ألجأهم أحيانا إلى التبسيط الشديد والمباشرة"[3]، فالجماهير الشـــعبية

---

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط 2، 1958، ص 107.

[2] واصف أبو الشباب، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار العودة، بيروت، ط 1، 1981، ص 211.

[3] صالح أبو إصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948 حتى 1975، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1979، ص 374.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي صاحبة الحق ولها مصلحة في التغيير، وقد كان "الفن سلاحا في الكفاح الطبقي و لا بد من استخدامه في إحداث ثورة"[1] ، ولذلك فإن الجماهير بدأت تدرك أهمية الفن في الدفاع عن قضيتها ووجودها، وأصبح الفن غذاء يشحذ طاقاتها وإبداعاتها النضالية.

"مكونات العناوين في قصائد حنا إبراهيم"

إن العنوان ضروري لمعرفة طبيعة العمل المكتوب ، ولذلك فإن "أشعار العرب الأولى كانت تتخذ من مطالعها عناوين لها تعرف بها"[2].

نظم حنا إبراهيم ديوانيين شعريين هما : صوت من الشاغور ، ونشيد للناس . ولا تزال مجموعة من قصائده غير منشورة في ديوان .

يتكون عنوان " صوت من الشاغور " من ثلاث كلمات هي "صوت" وتدل على مكون شيني ، "ومن " حرف الجر أخذ دلالته المكانية لأنه سبق كلمة "الشاغور " التي تدل على مكان. وعنوان الديوان يشير إلى منطقة الشاغور التي تقع فيها قرية البعنة التي ينتسب إليها الشاعر . كما وتظهر كلمة "شعر" لتدل على الجنس الأدبي للكتاب.

ويظهر في النص المحيط للديوان ، مقدمة كتبها الشاعر فيها اعتراف صريح أن قصائد الديوان بلا استثناء، نظمت لتلقى في مناسبة أمام جمهور. ويعترف الشاعر أنه وافق على جمعها في ديوان بعد أن ألح عليه أصحابه. ويعترف أيضا أن شعره مباشر وينقصه الغموض والسريالية . ولأن الشاعر كان ينتمي إلى حزب شيوعي يؤمن بأن الكتابة عن الفقراء المنهوبين هدف عنده، يغيظ به الأعداء.

ويبرز من المقدمة أن الشاعر يهتم بالكتاب لتوعية الجماهير التي يكتب عنها ، فالكتاب سيبقى أفضل من بكيت سجائر. ويظهر من العنوان مكان النشر في دار الأسوار في عكا في عام 1981م، وتصاحب العنوان صورة جبال على الغلاف ، لتساعد في توضيح العنوان.

---

[1] إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر– بيروت ودار الشرق– عمان، طبعة أولى، 1996، ص 107.

[2] شعيب حليفي، النص الموازي، الكرمل، ص 85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أجل معرفة مكونات عناوين قصائد الديوان ودلالتها، سأتتبع هذه العناوين كما وردت متتالية في الديوان .

فعنوان قصيدة" أيار الثلاثون" يتألف من كلمتين هما" أيار" وتدل على زمن ، والثلاثون" وتدل أيضا على زمن . فالعنوان يدل على مناسبة هي مرور ثلاثين عاما على احتلال فلسطين.

وعنوان قصيدة "أمنا الأرض" يتكون من جملة اسمية تتألف من ثلاث كلمات ، "فأمنا "مكون شخصي في العنوان ، أما "الأرض" فهي مكون مكاني ، ويلاحظ وجود صورة لامرأة وفتاة وقرية فيها بعض البيوت ، وتظهر فيها صورة لكنيسة ومسجد . ويظهر الظلام محيطا بالقرية ، ولكن يظهر في وسط الظلام قمر غير مكتمل ليبدد ظلام الاحتلال .

وأما عنوان "مع حواء في العودة إلى الجنة" فتظهر كلمة " حواء " لتدل على مكون شخصي، وكلمة" العودة" وتدل على مكون شيئي ، وكلمة " الجنة" تدل على مكون مكاني . وتظهر في العنوان حروف "مع" الذي يدل على المصاحبة ، و"في" الذي يدل على الظرفية و"إلى " يدل على الظرفية أيضا.

وتصاحب العنوان صورة امرأة ترضع طفلها ، وخلفها صورة حمامة تدُل على الهدوء والسلام. وأما عنوان قصيدة " أكتوبر أقوى من عنتر" فالعنوان فيه إثارة حيث يلتقي مع العنوان العربي القديم في خاصتي الطول والتسجيع، "والاهتمام بالسجع كخاصة فنية أولا، ثم كمقدرة لابد للكاتب من تملكها لخلق انسجام موسيقي ، وتألف تقافي"[1].

ويتكون العنوان من أربع كلمات ، ويبدو أن كلمة " أكتوبر" تدل على مكون زمني ، بينما كلمة " عنتر" تدل على مكون شخصي .
والعنوان يكشف عن طبيعة تفكير الشاعر الذي يؤمن بثورة أكتوبر ومبادئها .

أما قصيدة "دمي المسفوك في لبنان 1976" فالعنوان يتألف من "دمي" وتتكون من مكون شيئي وشخصي، وكلمة" المسفوك" تصف الدم، و"في" حرف الجر الذي يدل على

[1] المرجع السابق، ص 86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظرفية المكانية بعد أن جاءت بعده كلمة " لبنان" التي تدل على المكون المكـــاني . كمـــا أن " 1976" يظهر المكون الزمني في العنوان.

والعنوان واضح ومباشر ويدل على الحرب الأهلية التي حدثـــت فـــي لبنـــان، وكـــان الفلسطينيون أحد أطرافها.

وقصيدة " خطبة من حرف واحد" العنوان فيه إثارة ، لأن الخطبة تكون عـــادة نـــثرا، بينما العنوان هنا هو لقصيدة. فالعنوان لا يكشف المضمون ، وجاء "حاجبا لشيء خفي"[1]، فـــأي خطبة هذه التي تتكون من حرف واحد؟! يلاحظ على كلمات العنوان أنها تتكون مـــن مكـــون شيئي .

وأما عنوان قصيدة " انتهازيون" فيتألف من كلمة واحدة تدل على مكـــون شـــخصي ، وقد رافقت العنوان صورة يظهر فيها مجموعة من الأشخاص الذين يحملون سيوفا وأعلامـــا، لتدل على أن المناضلين الحقيقيين لا يخافون ولا يترددون في ركوب الأخطار.

وفي قصيدة " تحية يا أردن" يتكون العنوان من "تحية" وتدل على مكون شيئي و"يـــا " حرف النداء، و""أردن" وتدل على مكون مكاني. ويبدو أن في العنـــوان حذفـــا لكلمـــة هـــي " شعب". والعنوان صريح ويكشف عن المضمون .

أما قصيدة" تدخل في السياسة " فيبدو العنوان مكونا من كلمة " تدخل " التي تدل علـــى مكون حدثي، "والسياسة " التي تدل على مكون شيئي . والعنوان مباشر وواضح.

وفي قصيدة "تأبين من بعيد لفرج الله الحلو" جاء العنوان طويلا، ويتكون مـــن كلمـــة "تأبين" التي تدل على مكون حدثي و" من بعيد" تدلان على مكون مكاني و" فـــرج الله الحلـــو" مكون شخصي.
أما قصيدة "أحمد المصري" فجاء العنوان من كلمتين وتدلان على مكون شخصي.

---

[1] المرجع نفسه، ص 84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قصيدة "تدشين المدرسة الأولى " يتألف العنوان من ثلاث كلمات ، فكلمة "تدشين" تدل على مكون حدثي ، وكلمة " المدرسة" تدل على مكون مكاني ، و" الأولى" صفة للمدرسة.

أما قصيدة "إلى عرابة مع قصب السبق" فيتألف العنوان من " إلى عرابة"وتدلان على مكون مكاني، و" مع قصب السبق تدل على مكون شيئي.

وقصيدة "هوشة منه" تتكون من كلمتين تدلان على مكون شخصي. والعنوان يعيد إلى الأذهان نضال الشيوعيين في فيتنام ضد الأمريكيين الغزاة والعنوان واضح ومباشر.

أما قصيدة " أخواتي والفردوس الأرضي" فعنوانها يتألف من " أخواتي وتدل على مكون شخصي، "والفردوس الأرضي" تدلان على مكون مكاني.

وقصيدة " موسكو" جاء عنوانها صريحا وواضحا وقصيرا، يدل على مكون مكاني ، ويظهر منه انحياز الشاعر إلى البلدان الشيوعية. وقد ظهرت إلى جانب العنوان صورة لمبنى عال تظهر في أعلاه نجمة خماسية ، وأعتقد أن هذه الصورة قد تكون في الساحة الحمراء في مدينة موسكو.

وفي قصيدة " باكو" يتألف العنوان من كلمة واحدة، وتدل على مكون مكاني وهو اسم لمدينة في الاتحاد السوفيتي السابق، وهي عاصمة جمهورية أذربيجان.

وأما قصيدة " رسالة من بودابست" فيتألف العنوان من " رسالة " وهي مكون شيئي ، "ومن بودابست" تدلان على مكون مكاني وهي عاصمة دولة المجر التي كانت إحدى الدول الاشتراكية.

وفي قصيدة " ساحة أول أيار" يتألف العنوان من ثلاث كلمات هي " ساحة" وتدل على مكون مكاني ، و"أول أيار" وتدلان على مكون زمني.

أما عنوان الديوان الثاني "تشيد للناس" فيظهر العنوان مكونا من كلمتين هما: "تشيد" وتدل على مكون حدثي، وكلمة "للناس" وتدل على مكون شخصي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر على صفحة الغلاف صورة بيتين في قرية عربية وفي ساحتهما تبرز صورة لشجرة عالية خضراء وإلى جانبها صورة صغيرة قد تكون وردة ذات أزهار حمراء . فالشجرة تشير إلى الثبات في الأرض والرسوخ فيها ، والأزهار تثير في النفس الشعور بالجمال. ويلاحظ على صفحة الغلاف ظهور شيء من من المحكي ، حيث تبرز مجموعة من أبيات القصيدة الأولى في الديوان.

ويظهر على الصفحة الداخلية للعنوان دار النشر التي صدر عنها الديوان وهي دار المشرق ، كما وتظهر سنة النشر 1992. وقد ظهرت قائمة المؤلفات التي نشرت للمؤلف من سنة 1972 إلى سنة 1992. وفي مقابل قائمة المؤلفات برزت صورة المؤلف . وبعد أن تتبعت عناوين القصائد في الديوان وجدت أن عنوان قصيدة " على بكر أخينا" يتألف من حرف الجر "على" ويدل على الاستعلاء وكلمة "بكر" تدل على مكون شخصي ، وكلمة "أخينا" تدل على مكون شخصي. والعنوان فيه غموض إلى حد ما ، إلا أن القارئ يستطيع أن يتخلص من هذا الغموض بعد أن ينتهي من قراءة القصيدة ، وهو يشير في ذلك إلى الحلف الذي جمع الأمريكيين وبعض الأنظمة العربية لمحاربة العراق في العامين 1990 و 1991.

أما عنوان قصيدة "إلى أخي خلف الخط الأحمر" فالعنوان طويل ويتكون من خمس كلمات وهي " إلى " و"أخي" وتدل على مكون شخصي ، وخلف " وتدل على مكون مكاني ، والخط " وتدل على مكون مكاني و" الأحمر" تدل على صفة الخط ، والعنوان يحاول أن يعارض المقولة الإسرائيلية التي تصف المنطقة التي تفصل بين مناطق عام 1967 ومناطق 1948 وتطلق عليها اسم الخط الأخضر . وكأن العنوان يريد أن يثبت عكس ما تقوله المقولة الإسرائيلية ، حيث أن الخط الأحمر يعبر عن واقع حال الشعب الفلسطيني بين منطقتي 1967و 1948.

وفي عنوان قصيدة "قصيدة مرة" نلاحظ أن العنوان يتألف من كلمتين هما "قصيدة " وتدل على مكون شيئي ، و"مرة" وتدل على صفة. والعنوان يظهر أن ما نقرأه يدل على الحزن.

أما عنوان قصيدة"نشيد للشباب" فيتكون من كلمتين هما: "نشيد" وتدل على مكون حدثي، و"للشباب" وتدل على مكون شخصي. ويلاحظ أن الكلمة الأولى من عنوان القصيدة تشترك مع عنوان الديوان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قصيدة "للشهيد نوح إبراهيم" يتألف العنوان من :"للشهيد" وتدل على مكون شخصي و"نوح" و" إبراهيم" تدلان على مكون شخصي. والعنوان يعيد القارئ إلى ثورة الثلاثينات من القرن العشرين ، حيث كان نوح ابراهيم أحد المناضلين في تلك الثورة ضد الوجود البريطاني.

أما عنوان" قصيدة قديمة في فستان جديد " يلاحظ أن العنوان يتكون من خمس كلمات هي: "قصيدة" تدل على مكون شيئي ، و" قديمة" فتدل على صفة، و" في" حرف الجر يدل على الظرفية المكانية، و"فستان " تدل على مكون شيئي ، وجديد " تدل على صفة.

وفي قصيدة " العيد المئوي لمدرسة الرامة " يتكون العنوان من أربع كلمات ، فكلمة "العيد " تدل على مكون زمني ، و "المئوي " تدل على مكون زمني ، وكلمة "المدرسة" وكلمة "الرامة" تدلان على مكون مكاني . ويلاحظ أن العنوان يثير في الانسان التفاؤل.

وفي قصيدة " ليلة العيد" يتألف العنوان من كلمتين هما " ليلة " وتدل على مكون زمني و" العيد" وتدل على مكون زمني. والعنوان يثير البهجة والفرح والشعور بالسرور.
وأما عنوان قصيدة "ما جئت أكرز بل لأسمع" فالعنوان طويل ويتألف من عدد من الجمل الفعلية، ويلاحظ أن كلمات العنوان تدل على مكون حدثي .

وفي قصيدة " أول أيار بعد يوم الأرض " يتكون العنوان من خمس كلمات ، فكلمة "أول " تدل على مكون زمني ، و"الأرض" تدل على مكون مكاني. والعنوان يضم في كلماته مناسبتين عزيزتين، هما الأول من أيار، وهو عيد العمال العالمي، ويوم الأرض الذي يدل على اليوم الذي قام به العرب الفلسطينيون بمظاهرات واسعة ضد مصادرة أراضيهم في منطقة الجليل في العام 1976 . فالعنوان هنا ربط بين مناسبتين ، إحداهما طبقية والأخرى وطنية.

وفي قصيدة " إلى المتاجرين بالوطنية" يتألف العنوان من ثلاث كلمات هي :"إلى " حرف الجر ، وكلمة "المتاجرين" وتدل على مكون شخصي، و" بالوطنية" وتدل على مكون مكاني. والعنوان فيه حذف لكلمة " قصيدة" والعنوان فيه اشمئزاز من هؤلاء الذين جعلوا الوطن سلعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما عنوان قصيدة " عيد الأم والأرض" فيتألف العنوان من ثلاث كلمات هي : " عيد وتدل على مكون زمني ، وكلمة " الأم " تدل على مكون شخصي، و" الأرض " تدل على مكون مكاني. ويلاحظ أن العنوان تفاؤلي يثير الفرح والسرور في النفس.

وفي قصيدة "استراحة الشاعر " يتألف العنوان من كلمتين هما: " استراحة " وتدل على مكون حدثي ، و"الشاعر" وتدل على مكون شخصي.

أما عناوين قصائد الرثاء وهي: "في ذكرى حنا مويس" و "رثاء محمود نعامنه" و "رثاء حنا الخازن" و "تأبين الشاعر توفيق الريناوي" و "رثاء خليل خوري" و "رثاء يوسف بولس" و "رثاء وديع مخول" و "رثاء أسعد فواز" و "رثاء وفيق حسيان" و "رثاء نهاد سرور" و "رثاء يحيى الذباح".

يلاحظ من عناوين القصائد اشتراكها في كلمة " رثاء" أو تأبين" واللتان تدلان على مكون حدثي، وأما الجزء الآخر من العناوين، فيدل على مكون شخصي.

أما عناوين المخطوطة فيغلب عليها الطول ، وتتحدث عن مناسبة ويغلب عليها ان تكون مناسبات للشيوعيين ، ويبرز فيها المكون الزمني ومنها : قصيدة "في الحفل الختامي للمؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الإسرائيلي 57/9/1 في سينما الحمراء – يافا تل أبيب . وقصيدة" في الذكرى الخامسة والأربعين لثورة أكتوبر الاشتراكية 11/10/ 1962 البعنة وذلك بعد أزمة كوبا"وقصيدة " الوصية الحادية عشرة 63/4/27 البعنة في الاحتفال بعيد العمال في الأول من أيار . وقصيدة في مظاهرة أول أيار 1965 الناصرة" وقصيدة " في مهرجان احتفالا بعيد ثورة أكتوبر في الناصرة" وقصيدة "في مهرجان انتخابي في كابول 10/30 1978 وهي أول انتخابات برلمانية يخوضها الحزب الشيوعي في إطار الجبهة الديمقراطية".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"موضوعات شعر حنا إبراهيم"

تتوزع قصائد حنا إبراهيم على ثلاثة موضوعات هي: الشيوعية والشيوعيين، والقضايا الوطنية والسياسية، والرثاء.

وبهذا فإن حنا في موضوعاته يتناول قضايا عامة لا قضايا ذاتية خاصة، فلا يأتي على موضوعات لا تهم الناس شأنه في ذلك شأن شعراء الأرض المحتلة الذين كانوا دائما أكثر تجاوبا بالطبع مع المشاكل اليومية التي كانت تواجههم، والتي كانت بالتالي تشكل في مجموعها المحاولة الإسرائيلية المزمنة لتكريس الاغتصاب وسحق الشخصية العربية في الأرض المحتلة"[1].

أولاً: "مدح الشيوعية والشيوعيين"

حنا إبراهيم شاعر حزبي يؤمن بالفكر الماركسي، والقصيدة عنده تعبر عن موقف فلسفي وأيديولوجي. أي أن ما يكتبه من أدب بصورة عامة يعبر عن فكره.
إن القصيدة عند حنا تبشر بآرائه، كما أن صوته هو صوت الحزب، فنحن نقرأ في قصيدته أفكار الحزب الشيوعي الذي كان يحث العرب على الصمود في وجه الأعداء، ويدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة، والتغني بثورة أكتوبر الاشتراكية، والتغني بعيد العمال العالمي، والتغني بالمدن السوفييتية، وتمجيد الشيوعيين في العالم.

تحدد عناوين قصائد الشاعر هويته الحزبية، فالعنوان في قصيدته له دلالة واضحة حيث يكثف المضمون، فيكشف للمتلقي عن طبيعة القصيدة. ومن القصائد التي تمجد الشيوعية والشيوعيين، "أكتوبر أقوى من عنتر" التي يدافع فيها عن ثورة أكتوبر ويقول في أحد مقاطعها:

لكن أباك يحدثنا
عن بطل آخر لا يقهر
عن شيء فيما خلف الأفق
يسمي ثورة أكتوبر[2]

---

[1] غسان كنفاني، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، ص 65.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الشاعر يمدح فرع الحزب الشيوعي في قرية عرابة الجليلية، لتقدمه على فروع الحزب الأخرى. فالشيوعي يحب لرفاقه الشيوعيين أن يتقدموا ولا يزعجه أن يتقدموا عليه، لأن التقدم للحزب وليس للأشخاص، وهو يقول في قصيدة "إلى عرابة مع قصب السبق":

أتيتك يا ابنة الشعب الأصيل — لآخذ عنك صنع المستحيل
وباسم البعنة الحمراء أعطي — لفرعك راية السبق النبيل[1]

ويتغنى حنا في قصيدة "هوشه منه" بثورة فيتنام الشيوعية التي انتصرت على أعدائها، بفضل مقاومة الشيوعيين. والشاعر يقف بذلك موقفا أمميا، فيفرح لذلك الانتصار. كما أنه يطلق الأوصاف القبيحة على أعداء فيتنام . فالشاعر لا يقف محايدا، بل إن الشيوعيين منتصرون، والأعداء مهزومون. ولذلك يقول:

وكتائب الثوار ترفع راية — حمراء تخفق في الوهاد وفي الذرا
وصحائف الدنس المهرا تنطوي — وعصائب الأوباش تجري القهقرى[2]

كما يبرز في قصائد الشاعر الحديث عن المرأة، والدعوة إلى تحررها، وهذا شأن الشيوعيين في الحياة الاجتماعية. فالأحزاب الشيوعية تناضل من أجل أن تأخذ المرأة دورها الذي سلب منها في المجتمع الذكوري . والشاعر يقول في قصيدة "أخواتي والفردوس الأرضي":

يا ربة العيد بل عيديّ آذار — هل تقبلين قرابيني وأشعاري
لا تأخذيني بأقوال الخطاة ولي — كفارة عن خطايا غير كفار
لو يعقلون لصلوا كل أمسية — شكرا لحواء والأفعى وللباري[3]

ويتغنى أيضاً بمدينة موسكو عاصمة الاشتراكية الأولى، وهذا الانحياز يبرره انتماء الشاعر للحزب الشيوعي والدفاع عن الشيوعية، وهو يقول في قصيدة "موسكو":

---

[1] المصدر السابق، ص 87.

[2] المصدر السابق، ص 92.

[3] المصدر السابق، ص 97.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موسكو وقد بلغ الحنين بنا المـــدى أترى يكون لديك نطـــق مســـعدا
موســـكو وأيـــة عبقريـــة شـــاعر ستظل عن إيفاء حقـــك أبعـــدا[1]

وألقى الشاعر قصائد تتغنى بالعمال والفلاحين في المؤتمرات الحزبيـــة والشـــيوعية التي كانت تعقد، ومنها قصيدة ألقاها في الحفل الختامي للمؤتمر الثالث عشر للحزب الشـــيوعي الإسرائيلي في سينما الحمراء في يافا بتاريخ 1957/9/1 ، فالشـــاعر يؤمـــن أن الشـــيوعيين يغيرون العالم نحو الأحسن، لما يتصفون به من صفات، تتضح في قوله:

وتشـــعر أن الظـــهور التـــي حناها مـــن الـــهم مـــا تحمـــل
قد انتصبـــت جمـــة الكبريـــاء وفيها مـــن العـــزم مـــا يذهـــل
وتشـــعر أنـــك مـــن طينـــة ســـيبني بـــها العـــالم المقبـــل
فكف تحيل صخـــور الجبـــال رخامـــا ســـتعرف مـــا تفعـــل
فـــلا مســـتحيل إذا أقدمـــت وأبـــرق فـــي قبضـــة معول[2]

ويرى الشاعر أن الشيوعيين يجلبون السلام، ويبعدون شبح الحروب، وقد بـــرز ذلـــك عندما ألقى قصيدة" في الذكرى الخامســـة والأربعيـــن لثـــورة أكتوبـــر الاشـــتراكية بتـــاريخ 1962/11/10 " وذلك بعد أزمة كوبا التي كادت تفجر حربا كبيرة، إلا أن الزعماء الشـــيوعيين في الاتحاد السوفيتي منعوا ذلك. ولذلك فالشاعر يمدحهم ويتغنى بفعلهم بقوله:

في أمس ظن العالم المسكين هذا أن ساعته قريبة
وتمطت الساعات مثقلة معذبة مريبة
حتى أتى صوت السلام من الكرملين يلجم المتهورينا
ويطير أشرعة القراصنة الكبار المجرمينا[3]

وبهذا فإن حنا إبراهيم يمدح الشيوعيين محليا وعالميا، لأنهم جميعا ينطلقون من مبـــدأ فكري واحد، ولديهم أهداف مشتركة يسعون لتحقيقها، ليصبح العالم أكثر إيجابيـــة. ويشـــترك شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة في هذا الموضوع، أي تمجيد الشيوعية والشيوعيين، وهذا

[1] الصدر السابق، ص 103.
[2] حنا إبراهيم، المخطوطة، ص 12.
[3] المصدر السابق، ص 29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظهر في كثير من قصائد محمود درويش[1]، وسميح القاسم[2]، وتوفيق زياد[3]، الذين يعبرون عن ظاهرة يسارية شعر المقاومة"[4].

ثانياً: "الموضوع الوطني"

كتبت قصائد حنا إبراهيم في زمن تعرض فيه الشعب الفلسطيني لهجمة شرسة، وكانت نتاج هذا الواقع مثل أكثر الشعر الفلسطيني، وليس غريباً أن تغلب على موضوعاتها الموضوعات الوطنية-السياسية، وإذا ما أمعنا النظر في المناسبات التي كتبت فيها قصائده، فسنجد أن المناسبات الوطنية والسياسية، كانت ذات حضور لافت حيث نسبة كبيرة من شعره.

وقد التفت بعض الدارسين إلى غلبة الموضوع الوطني والسياسي على الشعر الفلسطيني، ومن هؤلاء الدكتور إحسان عباس فيما كتبه في الموسوعة الفلسطينية تحت باب الشعر حيث رأى ما رآه دارس آخر هو عبد الرحمن الكيالي، حيث يقول: "إن الشعر الفلسطيني الثوري لم يعن كثيراً بمشكلات هامة لها شأنها في المعركة: كالتخلف الحضاري والفقر والجهل والمرض، وكالاستغلال البشري، ولم يهتم كثيراً بالشؤون الاجتماعية؛ كقضايا المرأة والعمال والفلاحين ولا بالثقافة والتعليم[5].

ومن الدارسين أيضاً د. سلمى الخضراء الجيوسي التي أصدرت موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، وقد صدرتها بدراسة مطولة أتت فيها على مشكلة هذا الأدب واقتصار أبرز شعرائه مثل محمود درويش على الموضوع الوطني، وقد "يتساءل المرء عند إمعان النظر في أعماله عما إذا كان وضعه الخاص، بوصفه ناطقاً باسم شعبه وملتزماً بالقضية الفلسطينية على حساب معظم المواضيع الشعرية الأخرى"[6]. فكانت "القصيدة تجمع بين التلوّع

---

[1] انظر قصيدة "بطاقة هوية"، محمود درويش، الديوان، الأسوار، عكا، 1988، ص 73-75.

[2] انظر قصيدة "إلى ثوار فيتكونغ"، سميح القاسم، الديوان، دار العودة، بيروت، 1987، ص 338-339.

[3] توفيق زياد، أشد على أيديكم، مطبعة أبو رحمون، ط 2، 1994، انظر قصيدة "شيوعيون"، ص 7-10.

[4] انظر غسان كنفاني، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، ص 81.

[5] انظر ما قاله إحسان عباس، "الشعر في فلسطين حتى العام 1967"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت، ط 1، 1990، ص 24.

[6] سلمى الخضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، مجلد 1، ط 1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتثوير، لأنها كانت تعكس مفهوم اللجوء والتحسس بالكارثة وضرورة الثأر، وذلك من خلال تحريض الشعور المفجوع"[1].

إن القصيدة الفلسطينية في الأرض المحتلة تعبر عن وعي الإنسان الفلسطيني لواقعه، فاستجابت القصيدة لواقع الجماهير الفلسطينية ولتجعل من ذاتها "مؤرخاً ليوميات المقاومة الجماهيرية"[2].

وقد حملت قصيدة حنا إبراهيم الكثير من هموم الإنسان الفلسطيني. وقد كان من هذه الهموم موضوع الأرض، وهو وطني وسياسي. فالفلسطيني محروم من أرضه بعد طرده منها، أو بعد أن صادرها منه اليهود ليقيموا فوقها المستوطنات.

لقد جاء موضوع القصيدة منسجماً مع عنوانها عند حنا إبراهيم، فالعنوان مباشر وصريح ويكشف عن المضمون كما في قصيدة "أمنا الأرض" التي يقول فيها:

ترابك معبدي وهواك ديني ... ولست بمقسم لتصدقيني
أنا ابنك لا يزال على لساني ... الحليب ووشم كحلك في جفوني
أنا ابنك انظري قسمات وجهي ... وجسّي معصمي وتشممينيي[3]

فالشاعر هنا مرتبط بالأرض، ويرفعها إلى مرتبة التقديس والعبادة.

ولم يقتصر حنا إبراهيم على الكتابة في موضوعات تمس فلسطينيي الداخل، وإنما كتب عما يلم بإخوانه الفلسطينيين في العالم العربي وما يتعرضون له من مضايقات دون أن يحرك العالم العربي شيئاً لنجدتهم، وهذا ما بدا في قصيدته "دمي المسفوك في لبنان 1976"، إذ يرى أن ما يلم بأهل المخيمات هو جزء مما يلم به، فهو واحد من شعب تشتت. ويلوم الشاعر العالم العربي، ولكنه لا يعمم، فهو لكونه شيوعياً، يستثني من العرب العمال العرب، ويهاجم أصحاب المال والملابس بقوله:

---

[1] محمد عبد عبد الله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1988، ص 170.

[2] غسان كنفاني، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، ص 298.

[3] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصل ســـمع الخـافقين نداؤنـا والعالم العربـــي غـير مبـال
عفو الحقيقة يـا رفـاق وعفوكـم أنا لست أقصد عـــالم العمـال
فالعرب مهما جعجعـــت أبواقـهم عربان: ذو مال وذو أســـمال[1]

ويأتي الشاعر في قصيدته "انتهازيون" على أولئك الأشـــخاص الذيـن لا يهمـهم إلا أنفسهم، فيذمهم ويذم سلوكهم، ويعرض بهذه الانتهازية التي قد تصيب بعض الناس فيتحولـون إلى بشر لا يهمهم في الحياة إلا تحقيق حاجات غريزيـة، تتمثـل بإشـباع أنفسـهم بالطعـام والشراب ولبس الثياب، ولا يثورون على الظلم الذي يقع على شعبهم. وكأن بحنـا يحرضـهم على الخروج على هذا النمط الحياتي السلبي، ويظهر هذا في قوله:

أترضـى أن تكـون مـع النيـام وجلدك من سـياط الظلـم دام
وترضـخ للإســاءة مســتيماً ولا تصحو لوخز مـن مـلام
وتطعـم أنفـس البؤسـاء وهمـاً ومن الفرج المغلـف بالغمـام
تخذت وكل همـك لبـس ثـوب وقدر من شـراب أو طعـام[2]

ويأتي حنا في قصيدته السياسية على الظروف السياسية التي تمر بها البـلاد العربيـة المختلفة، ففي قصيدته "تحية يا أردن" يأتي على الأحداث التي حصلـت فـي عمـان، حيـث حصلت مظاهرات شعبية ضد النظام وضد الوجود البريطاني في العام 1955، وقتلـت فيـها الفتاة رجاء عماش عندما تسلقت سور السفارة البريطانية لإنزال العلم البريطاني، ومـن ذلـك قوله:

وتدفقـت آلافـــهم وتدافعـت نحو السفارة نسـوة وكـهولا
أما السفير فما تريث كـي يـرى فاجتاز أسلاك الحدود مـهولا
وتسـلقت سـور البنـاء صبيـة علقت بها كل العيـون طويـلا
هتفـت لتسـتقِل الـوزارة عنـوة فالشعب حر لن يقـاد ذليـلا[3]

كما أن الشاعر تناول في قصائده موضوع الانتفاضة الفلسطينية التي انطلقت في العـام 1987 وانتهت في العام 1993. فهو يقارن في قصيدته "قصيدة مـرة" بيـن واقـع الشـعب الفلسطيني في منطقة 1948 ومنطقة 1967، حيث أن الفلسطيني في المنطقة الثانيـة يناضل

[1] المصدر السابق، ص 41.
[2] المصدر السابق، ص 49.
[3] المصدر السابق، ص 59. وانظر المخطوطة، ص 15.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقاتل الأعداء، بينما الفلسطيني في منطقة 1948 يقدم الكلام والخطاب للانتفاضة، وحنا الشاعر يسجل ذلك شعراً فيقول:

تغشون ساحات الكفاح وعندنا ... من فرقة وخصومة ما يخجل إن
يتبارز الشعراء أي منهمو ... عُدَّ شاعر الانتفاضة أول
ولربما لو كان يتبعهم هنا ... الغاوون ما كانوا بغيهم ابتلوا
وتنافس الخطباء كل مصقع ... كي ما يقال هو الخطيب الفطحل[1]

كما ويتحدث الشاعر في قصائده عن الحروب التي قامت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها على العراق في العام 1991، وقد برز هذا في قصيدة "على بكر أخينا"، حيث يبين طبيعة هذا الحلف الذي جمع الأمريكيين والأوروبيين وبعض الأنظمة العربية. فالقصيدة ستكون شاهداً للتاريخ في الزمن القادم. وحنا يقول فيها:

وتألب الحلفاء
من خلف المحيط أتوا ومن جزر الشمال
هبطوا على الصحراء في حلف عجيب الأمر
من أقصى اليمين إلى الشِمال[2].

كما أن الانتخابات البرلمانية في إسرائيل، حظيت باهتمام الشاعر، لموقفه السياسي وهويته الحزبية. فالشاعر واعظ ومحرض للجماهير، فيرشدها إلى من تقدم أصواتها في الانتخابات. فالشعراء الحزبيون ينتقدون الواقع المحيط، ويصبحون مثل نقاد الأدب الذين لا يكتفون بدراسة "الأدب والمجتمع فقط بل هم أنبياء المستقبل والمبشرون به، والمنذرون من أجله"[3]. وقد ظهر هذا واضحاً في قصيدة "تدخل في السياسة"، فالعنوان بارز وواضح، والشاعر لا يخشى التدخل، ولذلك يقول:

---

[1] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 23.

[2] المصدر السابق، ص 7.

[3] اوستين وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ص 120.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا أيها الشعب يوم الشعب يقـــترب وذاك شأنك فاعرف من ســـتنتخب
ولا أخالك تنسى كـــل مـــا فعلـــت يد الطغاة وما عاثوا وما ارتكبـــوا[1]

إن الشاعر يقدم النصائح للشعب، فيبين له نوعية الأحزاب التـــي عليـــه أن ينتخبـــها، وينصحه بأن لا ينتخب الأحزاب التي تتآمر عليه وعلى قضاياه.

ثالثاً: "الرثاء في شعر حنا إبراهيم"

كان موضوع الرثاء موضوعاً رئيساً من موضوعات الشعر العربـــي منـــذ العصـــر الجاهلي، وقد تعدد المرثي وتنوع، فمن رثاء الأقارب إلى رثاء المدن والدول والممالك. ولـــم يقتصر هذا الموضوع على الشعراء، بل وجدنا الشاعرات يخضن فيه كثيراً، وهذا ما قامت بـــه الشاعرة الخنساء التي نظمت قصائد رثاء بصخر أخيها.

ولما كان حنا إبراهيم ابناً للتراث العربي، ولما كان أيضاً إنساناً يفقد أخاً عزيزاً ورفيقـــاً قريباً منه فكراً، ولما كان يعيش في فلسطين التي تعرضت بعض قراها للدمار الكامل، وجدنـــا أن هذا الموضوع يشكل حضوراً لافتاً في قصائده، حيث جاء تأبين الشاعر للموتى" ضرباً مـــن التعاطف والتعاون الاجتماعي- يعبر فيه الشاعر عن حزن الجماعة وما فقدته في هذا الراحـــل المرموق من أبنائها- ونداء لأن تظل ذكراه محفورة في ذاكرة التاريخ ما بقي الدهر"[2].

ولم يكن حنا إبراهيم ليمر أمام هذه القرى المهجورة والمهدمة مرور الكرام، فلا يتـــأثر لركام المنازل الفلسطينية، بعد أن أصبحت أطلالاً فكان لهذه القرى في نفسه كما فـــي "نفـــوس الشعراء منزلة تقارب الأهل والولد لذلك حين سقطت وتحول المجد عنها بكاها الشعراء كمـــا يبكون أبناءهم"[3].

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 63.

[2] عبد الرشيد عبد العزيز سالم، شعر الرثاء العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1982، ص 9.

[3] المصدر السابق، ص 19.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"رثاء الأقارب والأصدقاء"

احتفظ الشاعر حنا بعلاقات اجتماعية واسعة مع عدد من الشخصيات الاعتبارية في القرى العربية. فالشاعر له علاقات صداقة مع رؤساء مجالس محلية عربية، كما توجد له علاقات اجتماعية جيدة مع عدد من المخاتير العرب الذين تحلوا بالصفات الإيجابية. كما أن للشاعر علاقات صداقة مع أشخاص منذ كان يافعاً.

فكما رثى أبو ذؤيب الهذلي أبناءه، وكما رثت الخنساء أخاها نجد حنا يرثي أصدقاءه، وقد كتب في رثاء الأهل والأصدقاء عدداً من القصائد. ومنها قصيدة "في تأبين الشاعر توفيق الريناوي"، فالمرثي هنا شاعر شعبي كان يشارك شعبه في أفراحهم الاجتماعية والوطنية، بصوته الشجي، بكل أنواع القصائد من معنّى مرتجل. فحنا يعد فقد هذا الشاعر خسارة لكل ما هو إيجابي في حياة العرب في فلسطين المحتلة 1948. وهذا يظهر في:

وأنا يا شاعر الأفراح ... يا ربّ العتابا والزجل
يا شجي الصوت يا بحر المعنّى ... والقصيد المرتجل
أيها المقرون في أفكارنا ... بربيع العمر، بالحب، وتحقيق الأمل[1]

وقد سار حنا في رثائه للأصدقاء على طريقة الشعراء العرب في الجاهلية، حيث إن الشاعر يذكر صفات المرثي الإيجابية وهي السمعة الحسنة والكرم والشجاعة، وهي صفات غلبت على المرثيين. فحنا في قصيدته "في رثاء الشيخ أسعد فواز" يعدد صفات المرثي بقوله:

ها أنا مثلكم وجدت عزائي ... في غنى ذلك التراث الكبير
من علوّ وسمعة تخجل ... المسك وتزرى بمجد أي أمير
جعلت بيتكم أعز مزار ... وملاذاً لبائس أو فقير
وحكايا عن الشجاعة والنبل ... ستروى على مدار العصور[2]

كما أن الشاعر يرثي قريبه الخوري إبراهيم الياس في البعنة بتاريخ 18/6/ 1997، فيستعيد الشاعر صفات ابن عمه الخوري، فكان كريماً يأتي إلى بيته الضيوف والأصدقاء فيشربون القهوة. وقد ظهر هذا في قوله:

---

[1] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 102.

[2] المصدر السابق، ص 116.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشر الصبح نوره يا "أبانا" ودهانا من أمرنا ما دهانا
وسمعنا الناقوس يقرع حزنا وحزينا كذا سمعنا الأذانا
مرّ يوم وكاد يمضي الثاني و" أبونا" لقهوة ما دعانا[1]

وهذه القصيدة تذكرنا بقصيدة المتنبي التي قالها في الزمان، عندما كان في مصر، ويقول فيها:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منه وإن سرّ بعضهم أحيانا[2]

والقصيدتان تشتركان في الوزن والقافية، كما أن الزمان في القصيدتين كان قاسياً على الشاعرين.

ينظم الشاعر القصيدة في رثاء الإنسان العزيز عليه، ليخفف عن ذاته وعن الناس الذين تربطهم بالمرثي علاقة، وهذا قريب مما قامت به الشاعرة الخنساء التي نظمت قصائد رثاء بصخر أخيها، " فكلما ضاق صدرها من الشجن وآلامه، فرجت هذا الهم بإنشاء القصائد تلتمس فيها التأسي، ومن المؤكد أن هذا الصنيع منها كان بعد فترة من مقتل صخر، الذي كان يحركها الحزن عليه إلى قول الشعر"[3].

"رثاء الشيوعيين"

وكما رثى الشاعر بعض أقاربه نجده يرثي رفاقه الشيوعيين سواء أكانوا في الحزب الشيوعي الذي انتمى إليه أو في أحزاب شيوعية أخرى. لقد تأثر حنا بإعدام الشيوعي اللبناني فرج الحلو، فرثاه بقصيدة " تأبين من بعيد لفرج الله الحلو"، حيث يتم إعدامه وهو مقيد اليدين. والشاعر يمدح أفكار فرج الله، التي يعتبرها حكام الأنظمة العربية خطراً على العروبة. ويصور الشيوعي إنساناً يرفض الإذعان للحاكم الأوحد الذي أصبح صنماً يعبد ، ويظهر هذا في قوله:

---

[1] انظر حنا إبراهيم، المخطوطة، قصيدة "في رثاء ابن العم الخوري إبراهيم الياس"، ص 98.

[2] أحمد بن الحسين، المتنبي، دار المعرفة، بيروت، دون ط، ودون ت، ص 239.

[3] محمد جابر عبد العال الحيني،الخنساء شاعرة بني سليم،المؤسسة المصرية العامة،القاهرة، 1963، ص 136.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصبوا له صنما وقالوا اسجد فأبى فصاحوا لا حياة لملحد
أفكاره خطر على قوميـــــة تحيا لتقديس الزعيم الأوحد
تباً لهم ولأمهـا قوميـــــة بنعيب غربان الخيانة تهتدي[1]

ومن القصائد التي رثى فيها بعض رفاقه في الحزب الشيوعي الذي انتمى إليـــه تلـك القصيدة التي نظمها إثر موت الشيوعي حسن بكري. ويظهر حسن بكري في النص الشـــعري إنساناً يتصف بوجه حسن، ويحبه الناس، وهذا في:

وكأن في أحداق كل معارفي حسن يطل بوجهه المحبوب[2]

كما يتصف المرثي بحب العلم ونشره، فهو يطمح أن تبنى في قريته مدرســـة لتتعلـم فيها الأجيال، ويظهر هذا في:

وكأن مدرسة أراد بناءهـا تبكيه في المستقبل المحجوب[3]

كما ويظهر حسن بكري متصفاً بالشجاعة في نضاله، مما يجعل الآخريـــن يسـيرون على خطاه، ويبرز هذا في:

إنا سنقفو إثره ونسير في درب عليها سار غير هيوب[4]

ويبرز حسن محباً للأرض ومدافعاً عنها، فلا يخاف ولا يتردد، وهذا في:

يا أيها الأرض التي في حضنـــها يثوي ارفقـــي برفيقنـــا المحبـــوب
واحميه كـــالأم الـــرؤوم فطالمـــا قـــد ذاد عنـــك بجـــانب مرهوب[5]

ويصور الشاعر أثر موت صديقه عليه، فيرى أنه حزن بغير نظير، إنه حـــزن كبـــير كبير، على الرغم من أنه قسمه على الألوف، ومع ذلك ظل حزن الشاعر كبيراً جدا، ويـــبرز هذا في قوله:

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 70.

[2] حنا إبراهيم، المخطوطة، انظر قصيدة "في رثاء الرفيق حسن بكري"، ص 87.

[3] المصدر السابق، ص 87.

[4] المصدر نفسه، ص 88.

[5] المصدر نفسه، ص 88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تالله يـا حزنـا بغيـر نظيـر لو كنت لي وحدي ندبت مصيري
يـا أيهـا الحـزن الذي قسمتـه بيـن الألـوف وظـل جـد كبير
لو تحمل الكلمات ما في خاطري لتكسـرت بالخـاطر المكسـور[1]

فحنا الشاعر ينظم قصيدة "في ذكرى الأربعين لوفاة حنا مويس رئيس مجلس الرامـة المحلي السابق بتاريخ 1981/3/21"، وكان رئيس المجلس أستاذاً للشاعر في مدرسة الشـرطة الفلسطينية عندما كان الأستاذ يعلم القانون وكان حنا إبراهيم تلميـذاً، وبعـد أن تخـرج حنـا إبراهيم من المدرسة عُيِّنَ فيها مدرساً ليعمل إلى جانب معلمه، وقد ورد هذا في سـيرة حنـا الذاتية[2].

إن حنا لا يختلف عن الشعراء الجاهليين الذين نظموا قصائد التأبين لأبطالـهم، حيـث قام أولئك الشعراء " بتأبين أشرافهم وإن ماتوا حتف أنوفهم، فخراً بـهم واعـتزازاً بمناقبـهم وأعمالهم ومآثرهم"[3].

إن الصفات التي أسبغها الشاعر على معلمه وصديقه تبين نوعية العلاقة التي ربطـت بينهما، فالمرثي أخ ومعلم ورفيق حزب للشاعر، وهو ابن الشعب الفلسـطيني، ولا يـتردد أن يقدم كل ما لديه لمصلحة شعبه، وهذا يظهر في قوله:

أخي ومعلمي ورفيق دربـي بليل المدلهمات الطـوال
ويا ابن الشعب لم يبخل بغال ليلهمنا على درب النضال
فخرت بأنك ابن الشعب فيما رآك الشعب أي أب مثالي[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص 85.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 54.

[3] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط 3، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 3، 1960، ص 209.

[4] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 89-90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"رثاء البلاد"

لم يكن الوقوف على أطلال المدن والقرى جديداً في الشعر العربي، بل كان للأندلسيين فضل في التوسع في هذا الموضوع حيث " كان رثاؤهم للممالك الزائلة أكثر روعة أحياناً من رثاء شعراء المشرق، فقد أشجاهم أن يروا ديارهم تسقط بلداً إثر بلد في أيدي الغرباء من المكتسحين، فبكوها بكاء من يبكي على فراق وطن أحبه وفتن بجمال طبيعته ورخاء أيامه"[1].

وقد شاع هذا الموضوع في فترة غروب حكم العرب في الأندلس إذ نظمت عشرات القصائد في رثاء المدن، ولا يعني هذا أن الشعر العربي القديم لم يعرفه، فقد عرفنا جميعاً رثاء ابن الرومي لمدينة البصرة. وشغل موضوع رثاء المدن حيزاً لا بأس به في الشعر العربي المعاصر، فكلما ضاعت مدينة عربية أو سقطت أو تعرضت لأذى كتب فيها الشعراء قصائد، ولم يختلف الأمر في الشعر الفلسطيني.

أحب حنا إبراهيم الأرض حباً شديداً مما جعله يقول في سيرته الذاتية عنها "المرء قد يدفن أعز الناس عليه، ومع الوقت ينسى. ولكن الأرض لا تدفن فكيف يمكن أن تنسى"[2].

فالأرض الفلسطينية بعد أن احتلها اليهود، قاموا بتغيير معالمها، فهدموا القرى العربية، ولم يبق من بيوتها إلا أطلال الحجارة، وبقيت بعض النباتات التي زرعها أهل القرى قبل تهجيرهم عنها.

وقد وقف الشعراء العرب في الجاهلية وبعدها على أطلال محبوباتهم، ليبكوا ذكرياتهم فيها التي تحولت فيما بعد إلى تقليد عند الشعراء اللاحقين. إلا أن حنا إبراهيم وقف على هذه الأطلال ليتذكر أهل هذه القرى المهجورة، أي أنه وقف يتذكر شعباً، ولم يقف ليتذكر فتاة أو محبوبة، كما وقف السابقون من الشعراء.

---

[1] جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، ص 114.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 201.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شكل موضوع رثاء البلاد حضوراً في شعر حنا، فحنا إبراهيم في قصيدته " ساحة أول أيار" يتذكر أسماء القرى العربية الفلسطينية التي هُجِّر عنها أصحابها، وبقي جرحها نازفاً في قلوبهم، وأصحابها يطمحون بالعودة إليها، بعد أن عاشوا حياة قاسية خارجها. وهذا يظهر في قوله:

ولم تزل بضع تلاّت تقول لنا	هنا الدامون التي كانت وميعار
ومثلها نصف ألف كان واندثرت	لم يبق منها بغير القلب آثار
يا ساحة الشعب في قلبي وفي كبدي	جرح ثلاثين عاماً وهو نغّار
ونار شوق نداريها فتلسعنا	وكيف نكتمه والشوق ثرثار
فهل يعود شريد بعد غيبته	أم هل ستنكر ريح العائد الدار[1]

وبهذه الأبيات يسجل الشاعر للتاريخ وللأجيال الفلسطينية القادمة، الجرائم التي قام بها اليهود في القرى الفلسطينية، فتنتعش الذاكرة الفلسطينية بأسماء القرى التي دمرت وزالت عن الوجود.

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"طبيعة القصيدة عند حنا إبراهيم "

يكتب حنا إبراهيم قصيدته مصورا آماله وآلامه، فهو شاعر ينظم قصيدة موضوعها الشعب وقضاياه، وينظمها للشعب، أي أن المتلقي ليس شخصا واحدا، بل يتلقاها أفراد الشعب.

ولذلك تميزت قصيدة حنا إبراهيم بكونها قصيدة مناسبة، أي أن الشاعر نظمها ليلقيها في زمن معين وأمام حشد من الناس، لتقوم بدور تحريضي.

ولا ينكر حنا الاعتراف بطبيعة قصيدته، فيعترف أن شعره " مهرجاني وانه مباشر وينقصه الغموض والسريالية"[1]. وهو يقوم بنظم هذا الشعر، لما له من تأثير مباشر وكبير على المتلقين، وغالبا ما يكون المتلقون من الفلاحين والعمال، فيأتي "الفن مريحا لهم بعد كفاحهم الشديد، وهو ثروة يجب أن تقدم للطبقة العاملة، فالفن للشعب ويجب أن يكون بحيث يفهمه الشعب"[2].

فإثارة الجمهور وتحريضه على أمر يهمه، تتطلب من الشاعر أن يكون واضحا في شعره، وإلا فإن الجمهور – الذي غالبا ما يكون غير متعلم– سيبتعد عن الشعر والشاعر. إن مهرجانية القصيدة عند الشاعر تجعلها قصيدة مناسبة. فالشاعر حنا إبراهيم يكتب قصيدته لتعبر عن موقف معين في زمن محدد. فنحن نجد قصائد تتناول مناسبات متعددة منها ما يتناول قضايا طبقية، فنجد قصيدة تتناول الأول من أيار وثانية تتناول عيد العمال العالمي، وثالثة تتناول الذكرى السنوية لانتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية، ومنها ما يتناول قضايا وطنية كمناسبة يوم الأرض، وذكرى تأسيس مدرسة، ورثاء أشخاص أعزاء على الشاعر. وحنا إبراهيم يطمح إلى رفع جاهزية الانسان الفلسطيني، للوصول إلى الهدف، فيقوم بتصوير ذلك الهدف، وقد تحقق كطموح، وليس بالضرورة أن يكون قد تحقق في الواقع الفعلي. أي أن لقصيدته نبوءة بضرورة التغيير نحو الأفضل، وهو بذلك يقوم بمهمة التغيير ووجوب تحقيقه، "وهذا يشكل رفع الحقيقة إلى مستوى المثال"[3].

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، عكا، طبعة أولى، 1981، ص 6.

[2] إحسان عباس، فن الشعر، ص 107.

[3] جورج طومسون وفلاديمير دنيبروف، دراسات ماركسية في الشعر والرواية، ترجمة د. ميشال سليمان، دار القلم، بيروت، دون ط ودون ت، ص 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن كون قصيدة حنا إبراهيم مهرجانية، لا يعني أنها تنتهي في مناسبتها، ولم تعد مؤثرة في المتلقين من القراء . فالجمهور الذي استمع إلى القصيدة من الشاعر، لم تتحقق في واقعه الحياتي، الأهداف التي نادى بها الشاعر كاملة.

فالتغيير الذي يبشر به الشاعر في قصائده لم يأت بعد ، وستبقى قصائده تبغي الوصول إلى الأهداف الوطنية والطبقية والإنسانية. فهي ليست صالحة في زمن محدد ، بل إنها صالحة في الأزمنة المختلفة والمناسبات المتعددة، فما يصلح لمناسبة معينة سيكون صالحا في مناسبة مشابهة للمناسبة الأولى، أي أن القصيدة لا تفرغ شحنتها في مناسبتها الأولى.

"التفاؤل في شعر حنا إبراهيم"

تختلف نظرة الأدباء إلى الحياة لاختلاف المواقع الطبقية التي يكونون فيها. فكل منهم يربط أدبه بطبقة اجتماعية ينتمي إليها، ويدافع عنها. لقد كتب حنا إبراهيم أشعاره في زمن كانت فيه شعارات الماركسية تجد تطبيقاً لها في روسيا وبقية جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، وقد آمن حنا إبراهيم بهذه الشعارات وانضوى تحت لواء حزب شيوعي يرفعها، وهكذا اختار الانحياز إلى المسحوقين من العمال والفلاحين من شعبه الفلسطيني.

إن التناقض الموضوعي بين الشعب الفلسطيني من ناحية والحركة الصهيونية من ناحية أخرى، جعل العلاقة التي تنظم هذا الواقع، علاقة تناحرية، فدفعت بكل طرف أن يحشد ما لديه من طاقات ليواجه الآخر.

ولأن حنا كان ينتمي إلى الحزب الشيوعي الذي يتبنى الماركسية وشروحها فقد كتب من منطلق الواقعية الاشتراكية، ونهايات هذه نهايات تفاؤلية، وليس التفاؤل، كما يرى أصحابها، مرتبطاً باللحظة الآنية، لأنه تفاؤل تاريخي.

وأدرك حنا إبراهيم كما أدرك أدباء المقاومة في فلسطين، أن الطاقة المادية عند الأعداء أكبر من طاقة الشعب الفلسطيني، إلا أن هذا لم يجعل الأدباء يستسلمون لهذا الواقع الصعب، بل جعلهم ينتصرون عليه، ويحاولون رفع درجة تحديهم له، وبهذا فقد "كان شعر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقاومة، وأدبها على العموم، متفائلا منذ البداية، ولم يكن هذا التفاؤل ضربا في الفراغ، أو وهما مقامرا، وإلا لتصدع خلال عشرين سنة من الأسر والعذاب"[1].

إن فهم الشاعر للصراع القائم بين الطبقات الاجتماعية يجعله متفائلا، فلا يخشى القوة الكبيرة لدى الأعداء. فالأعداء القوميون والطبقيون سيهزمون، ومنطق التاريخ الإنساني يبشر بذلك. وهذا ما كان حنا يؤمن به ويعتقد به كما لو أنه الحقيقة، فهو كتب أشعاره في تلك المرحلة التي يؤمن فيها بهذا. فحنا الأديب الشيوعي، يعلم أن الحركة المستمرة قانون الأشياء، فلا شيء ثابت، كما أن الواقعية التي يؤمن بها "تقوم على التفاؤل التاريخي المبني على فهم القوانين في التطور الاجتماعي، وعلى معرفة دقيقة بحياة الجماهير"[2].

لذلك فقد دخل الشعر إلى معمعان الصراع بين الشعب الفلسطيني وبين الصهيونية. وقد كان الشعر سلاحاً في هذه المعارك، وبرزت وظيفته التعبوية عندما "منح الإنسان القوة إزاء الطبيعة أو العدو أو الواقع، كما أنه قوة لتدعيم الجماعة الإنسانية"[3].

وقد برزت التفاؤلية في معظم قصائد الشاعر حنا إبراهيم، ومنها قصيدة "أيار الثلاثون" ، فالأعداء ينتظرهم مصير قاس، حيث سيقوم الفقراء بشنقهم. كما أن تفاؤل الشاعر جعله يقول إن النصر لا بد قادم، ويكون ذلك بأن ترفرف الراية الحمراء في يوم من الأيام، فتفاؤله يعود لقناعاته التاريخية وإيمانه بثورة أكتوبر. وقد ظهر هذا في قوله:

وأن أيتام شاهنشاه ينطرهم — حبل يشد على الأعناق من مسد
ندري ويدرون أن النصر موعدنا — في ظل رايتنا الحمراء ذات غد[4]

كما وتبرز روح التفاؤل في قصيدة "أكتوبر أقوى من عنتر":

---

[1] غسان كنفاني، الآثار الكاملة الدراسات الأدبية، المجلد الرابع، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ودار الطليعة، 1998، ص 310.

[2] إحسان عباس، فن الشعر، ص 110.

[3] نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، دار غريب، القاهرة، 1998، ص 151.

[4] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرأيتم ماذا يا أولاد
أكتوبر أقوى من عنتر
ويعيد بلهجة مكتشف
أكتوبر أقوى من عنتر
سأصادقه لما أكبر[1]

ففي هذه القصيدة يأتي على ما ألم بالشعب الفلسطيني عام 1948، وعلى مصادرة اليهود كروم الزيتون، وعلى الرغم من ذلك نجده لا ينهي قصيدته، التي جاءت على طريقة قصة يقصها على الأطفال، نهاية ذات نزعة سوداوية، على الرغم من سواد الواقع، وإنما ينهيها بنبرة فيها قدر من التفاؤل، وهذا التفاؤل مستمد من قناعته بثورة أكتوبر الاشتراكية، وخلافاً لما كان سابقاً حيث كان الاعتقاد والإيمان بدور الفرد، نجد حنا يركز على دور العمل الجماعي.

إن الشاعر في نهاية قصيدته يثبت للأولاد الفلسطينيين، أهمية ثورة أكتوبر الاشتراكية، فجعلها أقوى من الفارس عنترة العبسي. وقد كان موفقا في ذلك، حيث برزت أهمية الروح الجماعية، فالانتصار على الأعداء لن يكون عملا فرديا كما حصل في التراث العربي، عندما تمكن عنترة من هزيمة الأعداء.

وتتكرر الكتابة التي فيها قدر من الثقة بالمستقبل في قصائد عديدة، منها قصيدة "دمي المسفوك في لبنان"، وفيها يتحول الشاعر إلى واعظ مؤمن بحتمية انتصار الحق، وهو يرى "أن الفن قد يتطور في بعض العهود والفترات تطورا بعيد المدى، فيسبق تطور المجتمع نفسه أو القاعدة المادية فيه"[2]، وهكذا نجده يهدد ويتوعد، وهو في تهديده ووعيده ينطلق من قناعاته الماركسية فيقول:

ويل أمهم، بل ويل شعب لم يعد رأد الضحى ليرى من الغربال
ويل أمهم، بل سوف تدركهم يد فالدهر إمهال بلا إهمال[3]

---

[1] المصدر السابق، ص 35.

[2] إحسان عباس، فن الشعر، ص 105.

[3] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تفاؤل الشاعر يدفعه إلى إيقاظ شعبه، لينال حقوقه، فيحرضه على العمل وعدم الانتظار. فكل شيء يتطور إلى الأمام، ومن يتوقف عن النشاط سيتجاوزه الناس ويبدو هذا في قصيدة "انتهازيون" التي يخاطب فيها أولئك الذين لا ينخرطون في النضال ويميلون إلى الاستكانة. وفي هذه القصيدة يغلظ الشاعر في القول، ويقر بذلك، وما إغلاظه إلا نابع من حرصه على الهم العام والمصلحة العامة، وينهي قصيدته بقوله:

فحاذر أن تكون مع النيام وعالمنا يسير إلى الأمام[1]

ومن تفاؤله دعوته إلى تحريض شعبه على استخدام القوة للحصول على الاستقلال وهزيمة الأعداء . كما أنه يدعو إلى استمرار الثورة، فالفشل يجب ألا يثبط العزيمة، بل إن الفشل الأول سيدفع إلى المزيد من التضحية للوصول إلى الهدف في قصيدة "تحية يا أردن" بقوله:

من يحتكم للسيف بت مصيره بالسيف والباغي أضل سبيلا
ولسوف تشعل ثورة من ثورة إن لم تكلل بالنجاح الأولى[2]

والشاعر متأكد من أن النصر يتحقق بالإصرار ومتابعة النضال، كما وضح أن استجداء الأعداء لن يقود إلى النصر. فالدم والتضحيات تقود إلى الانتصار، حيث أن العمال سيكونون قادة الكون ، بعد أن يأخذوا دورهم في الحياة ، وهذا التحريض يظهر في قصيدة "تدخل في السياسة" بقوله:

فقل لجاعل الاستعطاف ديدنه إن الأيادي تنيل الحق لا الركب
وخائض اللجة الحمراء منتصر لا بد أن يرثوا الكون الذي سُلبوا[3]

وقد بث الشاعر التفاؤل في قصائده، عندما جعل انتصار الشيوعيين في أي مكان من العالم انتصارا لهم جميعا، فهو يعمم الانتصارات التي يحققونها، ففيها دروس وعبر لكل المظلومين، فلا فرق في الانتصار في كوبا أو فيتنام أو الجزائر، وهو متأكد أن هذا الانتصار سيتكرر في قصيدة "هوشه منه" بقوله:

---

[1] المصدر السابق، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 62.

[3] المصدر نفسه، ص 67-68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قال إن النصر في كوبا وفي فيتنام والأوراس لن يتكررا؟[1]

ويظهر تفاؤل حنا حينما يؤكد أن شعبه سيعود إلى وطنه المسلوب، وعند ذلك سيتحقق السلام العادل، وهذه الدعوة إلى السلم يتميز بها الشيوعيون، ويظهر هذا في قصيدة "أخواتي والفردوس الأرضي" بقوله:

فهل نعود إلى فردوسنا ومعا ويستتب السلام العادل الساري
أجل سنرجع والأيام شاهدة فما كثير كذا يا أخت آذار[2]

والشاعر يفهم التفاؤل لموقفه الفلسفي الذي يؤمن به، حيث يرى الأمور في حركتها المستمرة وتغيرها، فلا جمود في الحياة ولا ثبات، بل إن قوانين الحياة الطبيعية والاجتماعية تبين أن الحركة مطلقة والسكون نسبي. وهو يعول على الشعوب صانعة الأحداث، فهي الباقية وكذلك الله خالقها.وقد برز ذلك في قصيدة "قصيدة قديمة في فستان جديد" بقوله:

ندري ويدرون أن لا حال دائمة إلا الشعوب ووجه الصانع الصمد[3]

كما إن تفاؤل الشاعر يجعله يتخيل صورة الوطن بعد أن يطرد منه الأعداء، فيصبح جنة وتتحول الأرض الجرداء إلى أرض خصبة، فتصبح مكسوة بالبيادر التي تدل على الخير، وهذا يظهر في قصيدة "العودة إلى الفردوس مع حواء" بقوله:

ومعا إلى الفردوس
لا أفعى ولا ثمر تحرمه الأوامر
ومعا نحيل الأرض هذي جنة
ونعمر الصحراء نكسوها بيادر[4]

---

[1] المصدر السابق، ص 96.

[2] المصدر السابق، ص 101.

[3] حنا إبراهيم، نشيد للناس، دار المشرق، 1992، ص 42.

[4] المصدر السابق، ص 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الأسلوب القصصي في قصيدة حنا إبراهيم"

يلجأ حنا إبراهيم، أحياناً، إلى كتابة القصيدة ذات المنحى القصصي، وليس هذا الأسلوب بجديد في الأدب العربي، فقد عرف في شعر عمر بن أبي ربيعة، وقد عززه في القرن العشرين الشاعر المعروف خليل مطران.

إن كثيراً من الشعراء القدماء والمعاصرين يحاولون أن يجعلوا من قصائدهم قصصاً، فتبدو القصيدة لنا "قصة يكون الغرض الظاهر منها حكاية هذه القصة"[1].

وحتى تصبح القصيدة الشعرية قصة ينبغي أن يوفر الشاعر لها شروطاً منها: "أن يقص القصة دون أن يجعلها واضحة مفصلة كالقصة النثرية، بل يعتمد فيها على قوة الإيماء والتلميح حتى يرتفع العمل إلى المستوى الشعري، ويجب أن يجعل ما يتحدث عنه من الحوادث والأشخاص مثلاً عليا. ويجب أن يعرض الشاعر موضوعه بحيث يبدو أن فيه حياة حقيقية. ويجب أن يعرض قصته عرضاً لذيذاً يوحي بالجمال، ويقدم للسامع أو القارئ متعة جمالية، وتلذذاً فنياً"[2].

وقد برز هذا النوع من الشعر في بعض قصائد حنا إبراهيم، لذلك فإن حنا إبراهيم يتغلب على قضية المباشرة باستخدام أسلوب القصة في قصيدته، وتصبح القصيدة جامعة لجنسين أدبيين. وهو يفعل ذلك ليزيد من تأثيرها في الجمهور، فوجود العنصر القصصي في القصيدة، يزيد من التأثير، كما ويقضي على الشرود الذهني لدى المتلقي فيصبح مشدودا لمتابعة أحداث قصة في جسد القصيدة.

ولعل الشاعر يريد أن يجعل نصه لا يخلو من عنصر التشويق، فيبقى المتلقي يقظا، فلا يغفو لتردد الوزن والقافية.

كما أن العنصر القصصي يوفر للقصيدة الوحدة الموضوعية والعضوية، فهذا العنصر يحطم قانون وحدة البيت، الذي بنيت عليه القصيدة العربية، فلا يعود هناك بيت أحسن

---

[1] أحمد أمين، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 5، 1983، ص 72.

[2] المرجع السابق، ص 73.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بيت، بل تصبح القصيدة جسدا واحدا، يشد بعضه بعضا. ومن القصـــائد التـــي تتضمـــن العنصر القصصي للشاعر قصيدة "أكتوبر أقوى من عنتر" والتي يقول في بدايتها:

في ذات مساء
والنار توشوش في الموقد
والريح تدوي وتعربد
وتكاد تطيح بسقف الكوخ
إلى أن تسأل هل يصمد
أما الأطفال فهم والليل
وركن الجد على موعد[1]

إن بداية القصيدة جاءت على طريقة القصة القصيرة، والتي تبـدأ عـادة بمثـل هـذه العبارات التي ترسم جوا للسرد . وقد بدأت القصيدة بـ" في ذات مساء" التي تأتي كثيرا فـــي بدايات القصص.

كما أن القصيدة تستكمل جو القص، حيث يجتمع الأطفال في ليالي الشتاء الباردة حـول الموقد، ويطلبون من جدهم أن يسرد لهم قصة تسليهم في هذا الجو البارد.

كما أن الشاعر يتحدث عن الشعراء الذين أصبحوا تابعين لأنظمة الحكم فـــي البـلاد العربية، بأسلوب قصصي يسهل على المتلقي فهمه. فبدأوا بالاقتراب من أنظمـــة الحكـم ثـم تطورت الأحداث من حولهم لتصل ذروتها عندما أصبحوا مثل المومس التي تعمل دون أجـر، وقد ظهر هذا في قصيدة "إضراب" بقوله:

فتدجنـوا وتـأقلموا فـــي حالـــة ... لم تبق أظفـــارا لـــهم أو نابـا
لحقوا بأصحاب الكنيف ومـا اقتـدى ... أحـد بـهم وتفرقـوا أحزابـا
يرضون مـن مجـد شـويعر قينـة ... لا تفهم الفصحـى ولا الآدابـا
دالـت مـع الأيـام دولتـهم فمـن ... يحتاجـهم صناجـة وكلابـا
فغـدوا وعـذرا أسـتميح كمومـس ... لا تقتضي أجـرا ولا أتعابـا[2]

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 27.
[2] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الأسلوب القصصي يبرز عندما يوصي اللاجئ الفلسطيني أبناءه، فيسرد لهم عن تركته التي سيرثها أولئك الأبناء . وتطول قائمة الأشياء التي يوصي بها الوالد، فالوصية تقتضي حضور الأبناء إلى جانب الأب، فالوالد هو السارد، بينما الأبناء مسرود لهم، والوصية هي السرد . يقول في قصيدة "وصية لاجئ":

بنيّ والمرارة الخرساء وألم يمزق الأحشاء
أنا لم أورثك سوى الشقاء ووطنا ممزق الأشلاء
وأمنيات صعبة المنال
وطالما ابتهلت للسماء مصليا مكرر الدعاء
لكنها المطامع النكراء وجيلنا كان من الغباء
فما رأى أحبولة الأنذال[1]

"التناص مع الشعر العربي"

يبقى النص الشعري مفتوحا للأجيال المتعاقبة، فتأخذ منه ما يسد حاجتها، فالنصوص الشعرية السابقة مرتكزات للنصوص اللاحقة. لذلك فإن نص حنا إبراهيم الشعري، يحيل قارئ الشعر العربي إلى نصوص قديمة، ذلك أن نصه غالباً ما يتكئ في بنائه الشكلي على تلك النصوص. وقد توقف النقاد المحدثون أمام هذه الظاهرة، ونعتوها بمصطلح التناص، والتناص هو "فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة"[2].

إن اقتراب النصوص الشعرية من بعضها، أي بين نصوص حنا إبراهيم ونصوص الشعراء الآخرين، يفيد في فهم النصوص، فيصبح "التناص أو كمون النصوص بعضها في بعض إطاراً مرجعياً هاماً، يعين على تفسير النصوص"[3].

إن الشعراء المتأخرين يشكلون ثقافتهم الشعرية بالعودة إلى أجدادهم السابقين، ويشكلون بذلك سلسلة ثقافية، لتحميهم من الانقطاع . كما أن الشعراء الذين يعيشون في زمن

---

[1] حنا إبراهيم، المخطوطة، ص 18.

[2] رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 1998، ص 378.

[3] السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الروائي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، 1998، ص 100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدد ويعاصرون بعضهم بعضا، يأخذون من بعضهم تجاربهم، ويضيفونها إلى تجاربهم الخاصة.

وبهذا لا يوجد نص مستقل عن النصوص الأخرى، لأن بقاء النص مغلقا أمام الآخرين يميت النص، ولذلك لا بد أن تتفاعل النصوص فيما بينها، حيث " لا يوجد نص في الحقيقة حر من النصوص الأخرى التي يقوم بينها حوار لا ينتهي، سواء في الحقبة الواحدة أو الحقب المتعاقبة. النص بهذا المعنى هو تحويل عن نص آخر"[1].

ولم تكن النصوص الشعرية لتغلق أمام الشعراء في العصور كلها، بل بقي الشعراء يطالعون تجارب بعضهم، فيفيدون منها لإغناء نصوصهم.

فالشعراء الجاهليون كانوا يعجبون ببعضهم، فيأخذ اللاحق من السابق ألفاظه ومعانيه، ويضمنها نصه، إعجابا وتقديرا.

فالشاعر طرفة بن العبد في معلقته يأخذ عن امرئ القيس ما قاله في معلقته، ولم يختلف ما قاله طرفة عما قاله امرؤ القيس، إلا في الكلمة الأخيرة من أحد الأبيات، وقد كان ذلك الاختلاف لسبب يتعلق بقافية المعلقة.

يقول امرؤ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيّهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمل[2]

ويقول طرفة:

وقوفا بها صحبي علي مطيّهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلد[3]

تبرز في نصوص حنا إبراهيم الشعرية ظاهرة لافتة للنظر هي تأثره بالشعر العربي القديم، حتى لتبدو قصيدته صدى لكثير من النصوص الشعرية العربية منذ الجاهلية. ولئن كانت هناك، في الشعر العربي معارضات، كما هو الحال في بعض قصائد شوقي، ولئن كان

---

[1] المرجع السابق، ص100.

[2] الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، طبعة ثالثة، 1979، ص 10.

[3] المصدر السابق، ص 62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هناك نصوص تذكر بنصوص، كما هو أيضاً في قصائد شوقي، فإننا نلحظ هذه الظاهرة في قصائد حنا.

لعله يجدر ابتداء أن نوجد تفسيراً لهذه الظاهرة قبل أن ندلل عليها بأمثلة. أولاً علينا أن نبحث في ثقافة الشاعر وقراءاته، وهي ثقافة نهلت من الأدب العربي واتكأت عليه اتكاء كبيراً كون العربية هي لغته الأم، وثانياً علينا أن نتذكر أنه فرد من أقلية عربية عاشت بعد عام 1948 في دولة أرادت أن تطمس الهوية القومية العربية في فلسطين، على صعيد المادة وعلى صعيد الروح، فقد لجأت إسرائيل إلى هدم الكثير من القرى العربية حتى تغير معالم الأرض الفلسطينية، كما حاولت، ومن قبلها الانتداب البريطاني، اعتماد مناهج لا تبعث الروح القومية، وهذا ما دفع بالمثقفين في فلسطين إلى البحث عن جذورهم تحدياً، "ومن هنا كان هذا التحدي يشكل درجة أكثر خطورة وسطوة بالنسبة للمثقف العربي في إسرائيل من أي مثقف آخر في العالم النامي تقريباً، لقد كان التقدم الإسرائيلي يشكل بالنسبة له فخاً له حضوره اليومي، المعنوي والمادي، والذي كان يفتح أشداقه حول خطواته باستمرار"[1]:

وقد تأثر حنا إبراهيم بالشعراء العرب منذ الجاهلية وحتى الوقت الحاضر، وقد برز هذا التأثر في الألفاظ أحيانا وفي المعاني أحيانا أخرى،كما ظهر هذا في الوزن والقافية أحيانا.

لقد أفاد حنا إبراهيم من قصة امرئ القيس، الذي قال جملته المشهورة: "ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، فاليوم خمر وغداً أمر"[2] ، وذلك عندما جاءه خبر قتل والده، وكان يشرب الخمر. فالحكام العرب ضيعوا الشاعر وشعبه عندما لم يدافعوا عن فلسطين في العام 1948، كما أنهم ضيعوا الفلسطيني في منطقة 1967، فهو يقول في قصيدة "إلى أخي خلف الخط الأحمر":

ماذا بوسعي أن أقول
وكان ضيعني صغيرا
من كبيرا ضيعك[3]

---

[1] غسان كنفاني، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، مجلد 4، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، 1948-1968، ص 240-241.

[2] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 237.

[3] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 15-16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كانت أكثر نصوص الشاعر حنا تعتمد على نصوص قديمة، فإنني سأمثل علـــى هذه الظاهرة، بتناول بعض القصائد، وبالإشارة إلى بعض المقطوعات.

توجد للشاعر حنا قصائد أقيم بناؤها الفني على نمط قصائد قديمة، فهو فـــي قصيـــدة "أيار الثلاثون" يبدو متأثراً بالشاعر العباسي أبي نواس، فحنا يقول فيها:

فالمنكر الشمس مثل المدعي سفهاً ليست فلسطين عند الله من أحـــد[1]

وأما أبو نواس فيقول:

ومن تميـــم ومن قيس وإخوتهـــم ليست الأعاريب عند الله من أحد[2]

إن العجز في البيتين يكاد يتماثل لفظاً ومعنى. كما أن قصيدتي الشاعرين اشتركتا في الـــوزن والقافية.

ويبدو التناص واضحاً في قصيدة "تدخل في السياسة" لحنا إبراهيم التي يقول فيها محرضاً الشعب لانتخاب الأشخاص الذين يستطيعون خدمته:

تدجيل مرتزق من وحي مغتصب وللخيانة أيضاً منطق عجب[3]

وتبدو هذه القصيدة منسجمة مع قصيدة لأبي تمام، في فتح عمورية الذي ألهم أبا تمام لنظم قصيدته المشهورة، فالجرس العالي لقصيدة حبيب بن أوس، كان لانتصار المعتصم على الأعداء. يقول أبو تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتهب[4]

واشتركت قصيدة حنا مع قصيدة أبي تمام في الوزن والقافية.

ولو نظرنا في قصيدة حنا إبراهيم "تحية يا أردن" ومطلعها:

يممت وجهي بكرة وأصيلا للشرق أحني هامتي تبجيلا[5]

---

[1] حنا إبراهيم، المخطوطة، انظر قصيدة "مرة أخرى عن أكتوبر 1975"، ص 114-115.

[2] الحسن بن هانئ، أبو نواس، الديوان، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1962، ص 181.

[3] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 64.

[4] حبيب بن أوس، أبو تمام، الديوان، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، بيروت، دون ط، ودون ت، ص 16.

[5] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوجدنا أنها صيغت على شاكلة قصائد كثيرة في الشعر العربي، القديم والحديث، فهي سرعان ما تذكر قارئ الشعر القديم بقصيدة المتنبي:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا[1]

تماماً كما تذكرنا بقصيدة شوقي وقصيدة إبراهيم طوقان في المعلم. أما قصيدة شوقي فيقول فيها:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا[2]

وتذكرنا بقصيدة إبراهيم طوقان في الرد على شوقي، حيث يقول:

شوقي يقول– وما درى بمصيبتي– قم للمعلم وفه التبجيلا[3]

وإذا ما انتقلنا من الحديث عن بناء القصيدة لدى حنا لننظر في معانيه وصوره وألفاظه، وجدنا أنها غالباً ما تتأثر بمعاني الشعر العربي القديم وصوره وألفاظه، وإن كان الشاعر أحياناً لا يردد المعنى كما برز ترداد مقلد، بل نجده يعارض مفهوماً أو يعكس معنى، لأنه يؤمن أحياناً بعكس ما ورد في التراث، أو لأن المناسبة التي يكتب فيها تعزز مقولة شر البلية ما يضحك. هنا يتذكر حنا أبياتاً جادة فينسج على منوالها أبياتاً تعارضها، ولكنها تحفل بالسخرية، وتستمر قصيدة الشاعر حنا صدى للشاعر الجاهلي، فنجد ذلك واضحا في قصيدة "تأبين من بعيد"، بقوله:

ينبئك إن لم تسأل وإن لم تزود وفد بغير الحق غير مزود[4]

أما طرفة بن العبد فيقول في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود[5]

وتلتقي قصيدة حنا بألفاظ منها، مع معلقة عنترة العبسي، فيقول:

هل غادر المحتل من متردم

بل قلتها وأقولها[6]

---

[1] أحمد بن الحسين، المتنبي، الديوان، ص 237.

[2] احمد شوقي، الشوقيات، المكتبة التجارية الكبرى، ج 1، دون ط، ودون ت، ص 180.

[3] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، ط 2، 1993، ص 176.

[4] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 73.

[5] الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات، ص 97.

[6] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عنترة فيقول في معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[1]

وقد استخدم حنا بيتين لعمرو بن معد يكرب، دون أن يجري تعديلا أو تغييرا فيهما.
أما عمرو فيقول في أحدهما:

أعددت للحدثان سا بغة وعداء علندى[2]

ويقول في الثاني:

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا[3]

وفي إحدى قصائد حنا إبراهيم غير المنشورة يستخدم بيتا يلتقي فيه مع الشاعر الجاهلي، عـدي بن زيد العبادي. فيقول حنا:

وإن ظلم ذوي القربى كما ذكروا أشد وقعا من الهندي إن ضربا[4]

أما عدي فيقول:

عداوة ذي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[5]

ويستمر الشاعر حنا في قصيدته بالعودة إلى الشعراء الجاهليين، فهو يأخذ عن رجـل من تميم قوله في فرس يعتز بها، فيقول حنا في قصيدة "إلى المتاجرين بالوطنية":

ويساومون ولا يزال جوابه (ليست تباع ولا تعار سكاب)[6]

أما التميمي فيقول:

أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تعار ولا تبـاع

مفـداة مـكرمـة علينـا يجاع لها العيال ولا تجاع[7]

---

[1] الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات، ص 191.

[2] يحيى بن علي التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، عالم الكتب، بيروت، الجزء الأول، ص 90، انظر قصيدة "في رثاء محمود سعيد نعامنه"، حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 94.

[3] المصدر السابق، ص 93. وانظر قصيدة "في رثاء محمود سعيد نعامنه"، حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 96.

[4] حنا إبراهيم، المخطوطة، قصيدة "مرة أخرى عن أكتوبر 1975"، ص 114–115.

[5] الوليد بن عبيد البحتري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1967، ص 248.

[6] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 71.

[7] يحيى بن علي التبريزي، شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، الجزء الأول، ص 112.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حفظ حنا للشاعر التميمي حق السبق، وذلك بأن ضمن حنا بيته الشـــعري معـــاني وألفاظاً للتميمي.

وتستمر نصوص الآخرين من الشعراء في نص حنا إبراهيم، حيث نجد أن قصائد حنـا "مخترقة بالتراث حقاً. هكذا يمكنني النظر إلى هذه القصائد دون أن يكون فـــي ذلـــك عـــدوان عليها، فذاكرة الشاعر، أي شاعر، شبكة مفتوحة لاحتضان كل شيء"[1].

إن عودة حنا إبراهيم إلى النصوص العربية القديمة والحديثة الغائبة، ليستحضرها فـــي قصائده، تدل على اهتمامه بذلك التراث واحترامه، فهو يريد "محاكاة ما كتب قبل النص الآنـــي بصورة ما، وتضمنه للإنتاج المعرفي السابق على نحو ما"[2].

ويبدو تأثر حنا بالمتنبي واضحا في قصيدة "أحمد المصري" بقوله:

إنّا هنا فليبصـــر الأعمى بنـــا ولتنطقـــن بحقنـــا الخرساء[3]

أما المتنبي فيقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم[4]

فالشاعر حنا الذي عاش في ظروف حياتية قاسية، ولم يتوفر لديه المال الكثير الـــذي يتمكن العيش به، دفعه أن يضمن عددا من قصائده بيت المتنبي، الذي كان نطقه الجميل بديـــلا للمال الذي لم يتوفر، فتذكر ما قاله المتنبي عن حياته:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال[5]

وكانت قصيدة حنا تذكر ببيت المتنبي هذا، ومما قاله حنا:

---

[1] علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط 1، 1997، انظر الفصل الرابع، الماضي حقلاً للتناص، ص 131.

[2] محمود غنايم، مرايا في النقد دراسات في الأدب الفلسطيني، مركز دراسات الأدب العربي، بيت بيرل ودار الهدى كفر قرع، ط 1، 2000، ص 116.

[3] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 79.

[4] أحمد بن الحسين،المتنبي، الديوان، ص 367.

[5] المصدر السابق، ص 486.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول شاعرنا لمن لا مال حاز ولا خيولا
ألجأ لنطق فهو إن يسعد يكن عنها بديلا[1]

ولم يكن هذا هو الموضع الوحيد الذي يبرز لنا تأثر حنا بالمتنبي، فقد بدا متـــأثراً بـــه تـــأثراً واضحاً في قوله في قصيدة "أحمد المصري":

وقعت على الشاغور منه بلية نضدت بهـــا الأنقاض والأشلاء[2]

ويذكرنا بيت حنا هذا ببيت المتنبي المشهور:

وقعت على الأردن منه بليـــة نضدت بهـــا هـــام الرفاق تلولا[3]

كما يبدو تأثر حنا إبراهيم بإبراهيم طوقان في بيته الذي يقول فيه:

أمامك أيها العربي يوم تشيب لهوله سود النواصي[4]

أما حنا فيقول:

أمامك أيها العربي يوم يشيب لهوله شعر الوليـــد[5]

كما أن حنا إبراهيم تأثر في قصائده بعدد آخر من الشعراء المحدثين، ومـــن هـــؤلاء راشد حسين، حيث يقول في قصيدته:

الله أصبح غـــائبا يـــا سيـــدي صادر إذن حتى بساط المسجد[6]

بينما يقول حنا في قصيدة "إلى المتاجرين بالوطنية" :

وبأن جـــل جلالـــه ونبيـــه عنـــد الحكومـــة مثله غيـــاب[7]

كما تلتقي القصيدة عند حنا مع نزار قباني، في قصيدة "قصيدة مرة" بقوله:

---

[1] حنا إبراهيم، المخطوطة، "في رثاء مختار البعنة إبراهيم، خوري"، ص 104.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 78.

[3] احمد بن الحسين، المتنبي، الديوان، ص 237.

[4] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 2، 1993، ص 218.

[5] حنا إبراهيم، المخطوطة، "عتاب أخوي في مهرجان أول أيار 1985 البعنة"، ص 97.

[6] راشد حسين، الأعمال الشعرية، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، 1990، ص 389.

[7] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنا مثل غيري متعب بعروبتي بتمزق الصف الذي لا يعقـل[1]

أما نزار فيقول:

أنا متعب ودفاتري تعبت معي هل للدفاتر يا ترى أعصـاب[2]

" لغة الشعر عند حنا إبراهيم"

تعد اللغة عنصراً أساسياً من عناصر القصيدة، وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن مـادة الشاعر هي اللغة، وبها يختلف عن غيره من الفنانين مثـل الرسـام الـذي مادتـه الألـوان والموسيقي الذي مادته الأصوات.

وعلى الرغم من إقرار الكثيرين بأن اللغة هي مادة الشاعر، إلا أن الموقف منها متعدد أيضاً، فإذا كان الكلاسيكيون يركزون تركيزاً كبيراً على اللغة ويشددون على ضرورة الاعتناء بها، فإننا نجد الرومانسيين لا يلتفتون إليها التفاتاً كبيراً، وأما الواقعيون فإنـهم يميلـون إلـى الكتابة بلغة الواقع السائد، خلافاً للكلاسيكيين الذين ينظرون إلى لغة الماضي ليحاكوهـا. وقـد قامت الكلاسيكية "على احتذاء الآداب الإغريقية القديمة والخضوع للمبادئ الفنية التي اهتـدت إليها تلك الآداب بوحي الفطرة السليمة[3].

لم تكن لغة الشاعر الجاهلي متناقضة مع لغة قومه، بل كانت لغة الجـاهليين اليوميـة هي لغة القصيدة الجاهلية، أي أن هناك لغة مشتركة واحدة تجمع القوم، ولذلك " كتـب امـرؤ القيس وطرفة وزهير وغيرهم من شعراء العرب شعرهم باللغة التي كـان البـدوي العربـي يتحدث بها في الصحراء"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 26.

[2] نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 5، 1993، "أنا يا صديقة متعب بعروبتي"، ص 645، وانظر قصيدة نزار قباني "أنا يا صديقة متعب بعروبتي"، الحصاد، العدد 29، 1980، ص 13.

[3] محمد مندور، الأدب مذاهبه، دار نهضة مصر، دون ط، دون ت، ص 44.

[4] رجاء النقاش، أدباء ومواقف، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 183.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن انسجام لغة الشاعر مع لغة الناس اليومية في الجاهلية كان أمراً ممكنـــاً، لطبيعـــة الحياة التي عاشها العرب. لكن انسجام اللغة بين الشاعر وبين الناس لا يمكن أن يتحقـــق فـــي الظروف الحياتية الآن، حيث يبدو الشاعر مختلفاً مع لغة قومه.

إن الألفاظ والمعاني التي يشترك فيها الشاعر مع قومه لم تُوحِّد اللغة بينـــهما. بـــل إن لغة الناس العاديين تصبح لغة نفعية تؤدي مضموناً عملياً. وكثيراً ما تبتعد لغـــة النـــاس عـــن أصول العربية الفصيحة، وهذا يعود إلى الاختلاط الحضاري بين العـــرب وغـــيرهم، وتـــأثر العربية بهذا الامتزاج.

إن الشاعر العربي في الزمن الحاضر يعيش ظروفاً حياتية متغيرة، تفرض عليـــه أن يستوعب مضمونها الحضاري. فإما أن تغيره وتحوله إلى مُستَقبِل، فلا يتردد عن الأخذ. وإمـــا أن يرفض أن يأخذ شيئاً ويرتد إلى العصور العربية المشرقة في الزمن البعيد. وقد يحـــدث أن يستوعب الشاعر المضمون الحضاري الجديد فيأخذ ما يتمكن به من مجاراة التقدم من ناحيـــة، والمحافظة على الأصول الأولى من ناحية ثانية.

إن لغة الشاعر العربي في العصر الحاضر، تصبح لغة خاصة به يتميز بها عن أبنـــاء جنسه من الناس العاديين. فاللغة عملة مشتركة بين الشاعر وبين الناس، وكثيراً ما " يجد نفســـه مضطراً في كثير من الحالات لأن يغير من قيمة هذه العملة، نتيجة للضرورات المفاجئة فـــي التعبير الفني. وكل هذه التغييرات التي يحدثها الشعر في اللغة، يجعل منها شيئاً آخر"[1].

توجد عوامل عديدة ذات تأثير على لغة القصيدة عند حنا إبراهيم من أبرزها: انتمـــاء الشاعر إلى الواقعية الاشتراكية، وقد كان لهذا تأثير على لغة القصيدة، فجاءت مباشرة، لتـــؤدي تأثيراً على الجمهور الذي يتلقاها. ومن المعروف أن قصائد الشاعر في معظمـــها مهرجانيـــة ولها رسالة واضحة في تحريض الناس.

كما أن الشاعر الذي عاش ظروفاً قاسية من الحصار الثقافي مع شـــعبه فـــي منطقـــة 1948 ، حاول أن يتغلب على تلك الظروف التي فرضها الاحتلال والتي هدفـــت إلـــى محـــو الوجود العربي الفلسطيني بالعودة إلى تراث العرب الأصيل في الجاهلية، وما تلاه من عصـــور

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط 2، 1958، ص 112.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عربية مشرقة، وذلك بهدف الحفاظ على الهوية العربية للإنسان الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال.

وحنا إبراهيم هو ابن التراث العربي ولكنه أديب واقعي في الوقت نفسه، فقد كانت بعض قصائده صدى للشعر العربي القديم، ولكنه كان يكتب أشعاره ويقرأها أمام الجماهير التي لم تكن تلم، كما يلم، بالشعر الجاهلي، ومن هنا نجد أن قصيدته ذات توليفة غريبة، إذ تجمع ما بين لغة النصوص الشعرية ولغة الواقع.

ولتنظر إلى بيته الشعري الذي يذكرنا بالشعر الجاهلي، دون أن ينسى الواقع، حيث يقول في قصيدة "استراحة الشاعر":

وظلم ذوي القربى والأعادي وطعن الغدر في ظهري وبطني[1]

وهذا البيت يذكرنا ببيت عدي بن زيد العبادي:

عداوة ذي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[2]

وتظهر في شعر حنا لغة قريبة من واقع الناس الذين يعيش بينهم، فيعرف همومهم وألفاظهم التي يعبرون بها عن واقعهم السيء، وهذا يظهر في قصيدة "ساحة أول أيار" بقوله:

ولم يزل بعد حاميها حراميها وللصوص من أهل الدار أنصار
يا ساحة الشعب في قلبي وفي كبدي جرح ثلاثين عاماً وهو نغار[3]

يستخدم حنا إبراهيم ألفاظاً عربية فصيحة في قصائده، لما تتضمنه هذه الألفاظ من طاقات كبيرة في التأثير على الجمهور الذي يتلقى القصيدة. فالشاعر يستغل ثقافته الدينية الإسلامية، كما جاء في قصيدة "أحمد المصري" بقوله:

إن تصمدي يصمد يصعر خده أو تصمتي بل يصمت الجبناء[4]

---

[1] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 83.

[2] الوليد بن عبيد البحتري، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1967، انظر عدي بن زيد العبادي، ص 248.

[3] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 117.

[4] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 79.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا البيت يتفق مع ما جاء في سورة لقمان ﴿ولا تصعر خدك للناس ﴾[1].

وتبرز ألفاظ من القرآن في عدد من أشعاره ومنها في قصيدة "أيار الثلاثون" قوله:

لسوف يـــأكل كفيــه معــاً ندمــاً من قال: ذا الشعب لم يولد ولم يلـد
وأن أيتــام شاهنشــاه ينطرهـــــم حبل يشد على الأعناق من مســـد[2]

فما جاء في البيت الأول يذكرنا بما ورد في سورة "الإخلاص" بقوله تعالى: ﴿ قل هــو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد﴾[3]. أما البيت الثاني فيذكرنا بما جاء في سورة "المســد" بقوله تعالى: ﴿ وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾[4].

واستخدم الشاعر ثقافته المسيحية، وذلــك عندمــا تحــدث عــن الأذى الــذي لحــق بالفلسطيني، فأشار إلى قضية صلب عيسى. وهذا برز في قصيدة "إلــى أخــي خلــف الخــط الأحمر" بقوله:

سمعت بك الدنيا
ولكن لم تمر له ببال
إلا إذا أنزلت عن
خشب الصليب ليرفعك[5]

---

[1] القرآن الكريم، سورة لقمان، آية

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 10-11.

[3] القرآن الكريم، سورة الإخلاص، آية 1-3.

[4] القرآن الكريم، سورة المسد، آية 4-5.

[5] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الأمثال الشعبية"

يكثر حنا إبراهيم من استخدام الأمثال الشعبية في قصائده، وهذا يدل على تمكن الشاعر من معرفة الناس الريفيين الذين يعيش بينهم. كما ان استخدام المأثور الشعبي في شعره، يهدف إلى تقريب هذا الشعر من البسطاء من الناس.

إن الشاعر حنا يطمح إلى التغيير ويرفض الجمود، ولذلك فقد أجرى تعديلات كثيرة على الأمثال الشعبية التي استخدمها في شعره، وهذا شأن الأدباء الشيوعيين الذين يرفضون الواقع ويطمحون إلى تبديله. إلا أن التغيير الذي أجراه حنا على الأمثال الشعبية لم يجعلها تتناقض مع أصل المثل الذي نطقته الأجيال المتعاقبة. وهذا يبرز في قصيدة "على بكر أخينا" بقوله:

ما حك جسمك غير ظفرك
يا فلسطيني فاختصر الجدال[1]

أما أصل المثل الشعبي الذي ضمنه الشاعر في قصيدته فهو " ما حك جلدك مثل ظفرك".

كما أن حنا استخدم الأمثال الشعبية، بعد أن أجرى فيها تغييراً فرضته القافية والوزن على الشاعر، وهذا يظهر في قصيدة "في رثاء راجح بشر" بقوله:

وللأمور ولو نأبى طبيعتها ... ما يفسد الدهر لا يصلحه عطار
ماذا أقول وكان الصمت من ذهب ... لكنما الحب لو تدرون ثرثار[2]

فالشاعر استخدم مثلين شعبيين في البيتين هما:" لا يصلح العطار ما أفسده الدهر" و " إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

---

[1] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 13.

[2] حنا إبراهيم، المخطوطة، انظر قصيدة "في رثاء راجح بشر"، ص 110.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"استخدام الأغنية الشعبية في الشعر"

تعد الأغنية الشعبية عنصراً مهماً من عناصر المواجهة مع جنود الاحتلال، حيث تبدو سهلة على الحفظ، كما أنها ترفع من معنويات الجماهير الشعبية في معاركها المتواصلة مع الأعداء، "ففي أيار 1958، اشتبك متظاهرون عرب في الناصرة مع شرطة العدو، وتطور الاشتباك إلى سقوط قتلى، ولكن المتظاهرين الذين كانوا يشدون أكتافهم إلى بعضها اندفعوا نحو صفوف الشرطة فمزقوها ودحرجوها على الطريق، ومنذ ذلك تفتحت في الجليل أزهار أهزوجة جديدة"[1].

وقد استخدم حنا إبراهيم الأغنية الشعبية في مقطع من قصيدة عمودية سار بها على نهج القدماء، مما جعل القصيدة تخرج عن التقليد العربي القديم. وهذا يظهر في قصيدة "إلى عرابة مع قصب السبق" بقوله:

ليكتسب النشيد غنى ومعنى من النقب البعيد إلى الجليل
جليلنا ما لك مثيل وترابك أغلى من الذهب
وما نرضى بالعيش الذليل لو صرنا لجهنم حطب[2]

"الألفاظ العامية في شعر حنا إبراهيم"

إن وجود ألفاظ عامية في الشعر الفصيح يؤدي إلى إضعافه، الشاعر حنا استخدم بعض الألفاظ العامية في بعض قصائده، وأحياناً كانت هذه الألفاظ تتكرر في عدد من المقاطع في القصيدة الواحدة، كما في قصيدة "إلى أخي خلف الخط الأحمر" بقوله:

لا تندهي إن ابن عمك سامع
وشقيق روحك ليس يحتاج الندا[3]

وتظهر لفظة "البيوم" العامية في قصيدة "أمنا الأرض" بقوله:

---

[1] انظر غسان كنفاني، الآثار الكاملة للدراسات الأدبية، المجلد الرابع، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، مؤسسة غسان كنفاني ودار الطليعة، 1998، ص 43.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 91. وانظر عسان كنفاني، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، ص 44.

[3] حنا إبراهيم، نشيد للناس، انظر قصيدة "إلى أخي خلف الخط الأحمر"، ص 19-21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنا الشعب البيوم الأرض آلى يميناً لن يهون ولن تهوني[1]

كما أن الشاعر أدخل "أل" التعريف على الفعل الماضي، مما أضعف البيت الـــذي ورد فيه ذلك التعريف، ويظهر هذا في قصيدة "هوشه منه" بقول:

ذات اليد " السفكت" دماء أحبتي وجرى بما عاثت لشعبي ما جرى[2]

"التكرار في شعر حنا إبراهيم"

تعد ظاهرة التكرار مما يتميز به شعر العرب ونثرهم، حيث كان من مذاهبهم التكـــرار وإرادة التوكيد والإفهام، وكل هذا يقصد به توكيد المعنى الذي كرر لفظه، حيث كان يقـــول: " القائل للرجل: اعجل اعجل، وللرامي: ارم ارم"[3].

ولم يكن العربي قديماً سواء كان شاعراً أم ناثراً يستخدم التكرار عشوائياً، بـــل كـــان يلجأ إليه في شعره وفي كلامه لهدف يريده، والمقصود به "إعادة ذكر الكلمة أو عبارة بلفظـــها ومعناها في موضع آخر أو مواضيع متعددة. وقد استخدمه العرب قديماً وكان ابن قتيبـــة أول من تعرض له حين تناول أسباب التكرار في بعض سور القرآن"[4].

إن وجود كلمات أو عبارات مكررة في قصيدة من القصائد، يبين للقـــارئ أو الســـامع الهموم التي يعاني منها الشاعر فيعيد ألفاظها التي تصبح صدى لتلك الـــهموم، وذلـــك بـــهدف "توظيف التكرار إيقاعياً"[5]. ويهدف الشاعر من ذلك، إلى شد انتباه المتلقي، وذلك بـــأن تتعـــود أذنه على سماع تلك العبارات والألفاظ المكررة.

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 15.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 95.

[3] رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997، ص 164.

[4] رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، ص 236.

[5] المرجع السابق، ص 241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترى نازك الملائكة "أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العـــام، وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها"[1].

إن الشاعر يركز في قصيدته على بعض الألفاظ دون غيرها، فتصبح الألفاظ المكـررة مفاتيح مهمة لفهم القصيدة، ولذلك فهو يلح "على جهة هامة في العبارة يعنى بـــها أكـــثر مـــن عنايته بسواها"[2].

وقد برزت ظاهرة التكرار في الشعر العربي الجاهلي. فالخنساء تقول في رثاء أخيها:

وإن صخراً لوالينا وسيدنـــا وإن صخراً إذا نشتو لنحار
وإن صخراً لمقدام إذا ركبوا وإن صخراً إذا جاعوا لعقار
وإن صخراً لتأتم الهداة بـــه كأنـــه عـــلم في رأسه نـــار[3]

إن تكرار اسم صخر يدل على الصفات الرفيعة التي امتاز بها المرثـــي، ونلاحـظ أن اسمه جاء مقروناً في كل مرة بأوصاف مغايرة.

كما أن التكرار موجود في القرآن الكريم، وقد ورد في " سورة الرحمن على صـــورة غير مألوفة"[4]، ويبدو واضحاً أن لهذا التكرار مقصداً غير مقصد التوكيد، فيمتد ويطـــول فـــي سلسلة تنتظم السورة كلها، وتأخذ بها من جميع أطرافها، حيث تكررت مقاطع خاصـــة فيـــها، وبطريقة واحدة دون تحوير أو تبديل، فتكررت الآية " فبأي آلاء ربكما تكذبان" إحدى وثلاثيـــن مرة، وظهرت هذه الآية، كمقطع مستقل مكرر، ليؤدي وظيفة بلاغية وإعجازية فـــي الســـورة بشكل عام.

وقد ظهر التكرار في عدد من قصائد حنا إبراهيم، وأصبـــح " هـــذا التكـــرار علـــى المستوى اللغوي ذا فائدة معنوية، إذ إن إعادة ألفاظ معينة في بناء القصيدة، يوحي بأهمية مـــا تكتسبه تلك الألفاظ من دلالات، مما يجعل التكرار مفتاحاً في بعض الأحيان لفهم القصيدة"[5].

---

[1] نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9، 1996، ص 264.

[2] المرجع السابق، ص 276.

[3] الخنساء، ديوان الخنساء، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون ط، دون ت، ص 51.

[4] عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1975، ص 371.

[5] صالح أبو اصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948 حتى 1975، ص 338.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤنث سالم. ولأن الذكريات لا تصنع نفسها، ولا تملك مقومات ذاتية تمكنها من عبور الأزمنة المتعاقبة وحدها، فلا بد لها من صانع لأحداثها ومسجل لها في ذاكرته، فكان الشاب مشاركا في وقائعها في زمن حدوثها. وكلمة "شاب" مكون إنساني في العنوان، ملك من القوة والشجاعة، ما جعله يخوض غمار أحداثها، فلم تقف أمامه صعوبة، بل تحدى قسوة الظروف وشظف العيش، ليبني منها ذكريات كثيرة. وقد حرص حنا إبراهيم على أن يشرك أنواع الكلام الثلاثة من اسم وحرف وفعل في صياغة عنوانه، كما أنه لم ينس استخدام المؤنث والمذكر والمفرد والجمع. و"لم" حرف الجزم المعروف في النحو العربي، كان حاضرا في عنوانه، ووجوده كان أساسيا، لما له من أهمية كبيرة في تشكيل المعنى، الذي يشف عنه العنوان، فهذا الحرف الذي يقوم بتأثير في الفعل المضارع "يتغرب" الذي جاء تاليا له، قطع وجزم شكلا ومضمونا، فالضمة قطعت عن الفعل بسببه، لتحل محلها سكون، هذا من حيث الشكل، أما من حيث المعنى، فهذا الحرف نفى فعل التغرب عن الوطن، وسكن الفعل بصاحبه في الوطن، ولم يتركه إلى بلاد أخرى، إلا في فترات قصيرة، عندما خرج حنا إبراهيم إلى الاتحاد السوفييتي.

وحتى يكتمل عنوان الكتاب، فقد ظهرت على غلافه صورة الكاتب واضحة، حيث غزا الشيب رأسه، وهذا يدل على أن الكاتب قد كتب سيرته بعد أن تمرس في الحياة وعركته تجاربها طويلا، فخبرها وعرف أسرارها، وأراد أن نشاركه في تجاربه التي عاشها، وأسهم في كثير من أحداثها، ولأنه إنسان واقعي، فقد رفض أن يتنازل عن مبادئه ويتنكر لأفكاره، فاكتوى بنيران الوطن والحفاظ عليه، فيكتب عما رأى بعينيه، ليشهد على عصره،فلم يتخيل ما كتبه، بل عاشه فجاء تعبيرا واقعيا عن أحداثه وشخصياته وأماكنه وأزمانه.

وقد أغرت سيرة الكاتب الأديب الفلسطيني رياض بيدس أن يكتب عنها وعن صاحبها وهذا ما نجده على غلافها، وقد أطرى السيرة وصاحبها، فعد ما جاء على صفحاتها يفوق ما تعج به كتب التاريخ من أرقام، فتأثير مذكرات السيرة يثير في نفس المتلقي الدفء والحميمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الإهداء في سيرة الكاتب"

صدَّر حنا إبراهيم سيرته الذاتية بإهداء، جاء جزءاً من قصيدة شعرية له يقول فيه:

لقرية نحبها لروحها السمحاء
لأنها أرضعت الأجيال من تربتها السمراء
وربّت النشء على الشموخ والإباء
فقال بعض الناس عنها قرية حمراء

إن الإهداء جاء شعراً، وهذا يكشف لقارئ السيرة اهتمام صاحبها بالشعر، والمألوف أن يهدي الكاتب كتابه إلى شخص عزيز عليه، أما ما قام به صاحب السيرة فيعد تجديداً، ولم تكن عملية الإهداء إلى القرية التي ولد وعاش فيها أمراً غير مقصود، وإنما توضح جوانب من شخصية المؤلف التي عشقت الأرض والقرية، ولم تغب عن فكرها رائحة التراب لحظة. كما ان الإهداء يكشف عن طبيعة تفكير الكاتب الذي آمن بالماركسية نهج حياة وأسلوب تفكير، فالقرية التي سماها في قصيدته "قرية حمراء" هي البعنه التي أحبها وأحبته،كان لها دور عظيم في تربية الأجيال المتعاقبة من أبناء شعبه.

"الاستهلال في السيرة"

جاء استهلال الكاتب لسيرته موضحا لأمور منها: أن كاتب السيرة يقول الصدق وإن مات عدد من أصحابه الذين عاشوا معه التجربة، كما أنه لم يغفل الحديث عن تأخر الجزء الثاني من سيرته سبع سنين، كما يوضح الاستهلال أن الكاتب لم يرد الكتابة عن نفسه، بل عن أحداث تلك الأيام، ويعترف أنه كان شاهداً عليها أو مشاركاً فيها. كما يعترف في استهلاله أنه لم يقم بالعمل على خير وجه، كما حشد فيه عدة أقوال وأمثال شعبية وبيتاً شعرياً لأبي نواس يقول فيه:

"وقل لمن يدعي في العلم فلسفة علمت شيئاً وغابت عنك أشياء"[1]

[1] الحسن بن هانئ، أبو نواس، الديوان، ص 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء استخدامه لبيت أبي نواس موفقاً، حيث أن أي إنسان، مهما حاول أن يعـــرف فلا بد أن تغيب عن ذهنه أشياء كثيرة. والكاتب في سيرته لا يمكنه أن يعطينا كل شيء حـــدث في عصره وخصوصاً في الماضي البعيد، بل إن ذاكرته الإنسانية، ستضع عدداً مـــن الوقـــائع والأحداث على رصيف النسيان. كما ان استخدامه لبيت أبي نواس، يكشف لنـــا عـــن ثقافتـــه العربية التراثية واهتمامه بالشعر. كما يوضح استخدامه لبيت الشعر طبيعة فكره الجدلي الـــذي يؤمن بالنسبية المطلقة في محاكمة الأشياء. كما ان صاحب السيرة في استهلاله، لم يكن مغلقـــاً في الانتماء للعروبة وتراثها، بل إنه يكشف عن ثقافته الواسعة في التراث الإنســـاني، وذلـــك باستخدامه لعبارات الشاعر بوشكين "إن هوايتي هي تبديل الأمـــور نحـــو الأفضـــل. لـــهذا فالمعذرة على الإساءات العفوية أو الخفية التي بدرت. لكن لن ينتظر منـــي الســـفالة والغـــدر الأصدقاء ولا الأعداء" ويريد حنا إبراهيم التغيير لنفسه، ويطمح أن يبدل الأمور نحو الأفضـــل، وهذا شأن كل مؤمن بالناس وحياتهم، فهو يعتذر كما اعتذر بوشكين عـــن الإســـاءات غـــير المقصودة.

ويظهر المثل الشعبي في استهلال سيرة الكاتب: "قيل لفرعون مَنْ فَرْعنك، قال عـــدم وجود من يردني"، فقد جاء استخدامه لهذا المثل موفياً للغرض حيث يكشف عن أمور تتعلـــق بالكاتب وقادة إسرائيل، فخلافه معهم استمر نصف قرن، وعانى بسببهم أشد المعاناة، ولذلـــك ليس غريباً أن ينعتهم بالفراعنة القساة، الذين يحكمون برغباتهم الذاتية العرب بما يحلو لهم مـــن السياسات، وقد أظهر استخدام صاحب السيرة للمثل الشعبي قدرة في توظيفـــه فـــي الموقـــف المناسب في أثناء كتابته.

"خاتمة الجزء الأول من سيرته الذاتية"

لخص الكاتب في هذا الجزء من السيرة كثيراً من أعماله ومســـؤولياته، التـــي كـــادت تقضي على مواهبه الأدبية، فالعمل في المحاجر والعمل الحزبي لم يمنعاه من الاشـــتراك فـــي المهرجانات الشعرية، على الرغم من الانزلاق الغضروفي الذي تسببت به الأعمال الشاقة.

وظهرت في آخر سيرة الكاتب الذاتية، الإصدارات المختلفة في الأجناس الأدبية التـــي كتب في فنونها المتنوعة، مع تاريخ نشرها ومكانه واسم الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه، حيـــث إن هذه القائمة تكشف لنا قدرة الكاتب الإبداعية في أنواع الأدب المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد اكتفى صاحب السيرة بما كتبه رياض بيدس عن السيرة وصاحبها، ولذلك فإننـــا لا نجد شيئا من أجزاء السيرة على غلافها، وهذا يعود إلى أن الكاتب يريد من القارئ أن يشاركه سيرته منذ بدايتها، ليكون شاهدا على ما فيها، كما انه لا يمكن لأي جزء من السيرة أن يعطـــي صورة واضحة عنها.

"مكونات السيرة"

لقد رأت سيرة حنا إبراهيم الذاتية النور في جزئيها: "ذكريات شاب لم يتغـــرب" فـــي العام 1988 وكان صدور الجزء الأول عن دار الأسوار، و "شجرة المعرفة" عن الأسوار فـــي العام 1996.

تقع سيرة حنا إبراهيم في جزأين، أما الأول فقد أدرجه تحت واحد وثلاثيـــن عنوانـــا وخاتمة ومقدمة تحدثت عنها آنفا. لقد ظهرت العناوين الفرعية في هذا الجزء منســـجمة مـــع المضمون لكل منها، وكان من هذه العناوين: على عتبة حياة العمل، فرحة الحزينـــة، حكايـــة خوري البروة، فتوى، عودة إلى حايك منديله، وعود كجلود الأفاعي. ولعـــل الانســـجام بيـــن العنوان الفرعي ومضمونه، يعود إلى فكر الأديب الواقعي، فالقضايا التي يتحدث عنها حقيقيـــة، ولم يكد خياله أثناء كتابتها، فالعنوان الأول مثلا "على عتبة العمل" يرد فيه حديث عن ظـــروف الناس الاقتصادية الصعبة في فلسطين قبل عام 1948، حيث تنتشر البطالة، وصاحب الســـيرة يبحث عن عمل باستمرار ولا يهتدي إليه، ويدفع الفقر الشاب اليافع للبحث عن مصـــدر رزق ولو كان شاقا، فهذه القضايا شغلت فكره وعقله طويلا، ليتمكن من العيش بعزة وكرامة.

أما الجزء الثاني فقد قسمه إلى فصول: الفصل الأول، الفصل الثاني وهكذا حتى وصل الفصل الثاني عشر، فخرج به عن التقسيم الذي اتبعه، وجعل له عنوانا خاصا هـــو "الخـــروج عن المألوف" ولهذا الخروج ما يفسره، فهو يأتي هنا على زواج ابنته من شاب مســـلم، ممـــا جعل أقاربه يقاطعونه، لخروجه عن التقاليد الدينية الموروثة التي لا تتيح الخروج عليها لشـــاب أو فتاة، وهذا ليس غريبا عن إنسان له فكر ماركسي يحتكم إليه، ولا يقبل للفكـــر المثـــالي أن ينتصر على فكره المادي.

أما الفصل الثامن عشر فجاء عنوانه مختلفا فسماه "الفصل الأخير"، وهذا يدل علـــى أن لا شيء يستحق الكتابة عنه في جزء ثالث من السيرة، كما أن الكتابة الطويلة والاســـتطرادات،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ستؤدي إلى التكرار، الذي سيصيب القارئ بالملل وعدم الرغبة في متابعة الوقائع والأحداث. أما حجم السيرة من حيث الصفحات فهو 348 صفحة، أما الجزء الأول فيمتد من صفحة 7-190 ويشمل هذا خاتمة الجزء. أما الجزء الثاني فيمتد من صفحة 191-348.

لقد تنوعت فصول السيرة من حيث الطول والقصر، فنجد فصولاً تطول، وأخرى تقصر، ولم تكن الإطالة أو القصر عشوائية، بل إن الإطالة جاءت في مواقع تحتاج إلى الطول، بينما جاء القصر في مواقع فرضها الموقف، ومن الأمثلة التي تبين عدم تناسق فصول من السيرة في عدد صفحاتها، "هدوء غريب" الذي جاء في صفحة واحدة من الجزء الأول، بينما امتد الفصل "شعب في سجن" في الجزء الأول من صفحة 99-116. أما الجزء الثاني من السيرة فقد كان الكاتب يقصر في بعض فصوله كما في الفصل الثاني عشر "الخروج عن المألوف" حيث امتد من صفحة 278-280 لكنه أطال واستطرد في الفصل السادس عشر والذي امتد من صفحة 313-336.

"زمن السيرة"

أما الفترة الزمنية التي يغطيها الجزء الأول من السيرة، فتبدأ قبيل انتهاء الحرب الكونية الثانية في العام 1945 وتنتهي في العام 1958، فبذلك تكون السيرة قد رصدت أحداثاً عامة، كان لها تأثير كبير على حياة الكاتب الخاصة، وليس غريباً أن يكتب عنها، لأنه لم ينزو عن إحداث تغيير خاص وعام، فالكاتب بلغ من العمر ما يمنحه البحث عن ذاته مع الآخرين من أبناء شعبه. وقد كانت هذه الفترة من أكثر الفترات تأثيراً في بلورة شخصيته الوطنية السياسية والاجتماعية، فرصدها وعاش أحداثها القاسية دون تردد أو خوف، بل إن تلك الوقائع قد فولذت شخصيته التي تعاملت بشكل واقعي، فلم يهرب أمام قسوة الظروف، بل زادته تصميماً على الصمود والمواجهة.

أما الفترة الزمنية التي يأتي عليها الجزء الثاني، فتمتد من العام 1958 إلى العام 1992، حيث إن الأحداث التي عصفت بفلسطين توالت واستمرت، بعد انتهاء الجزء الأول من السيرة، ولذلك فالكاتب أراد لسيرته أن تكتمل وتتصاعد إلى زمن قريب، لتكشف أموراً حدثت، وصعب على الناس ان يتذكروها كما حصلت، وبذلك فإن السيرة تقوم بدور الذاكرة الحافظة للأحداث فتيسر للدارس والقارئ في المستقبل، دليلاً مكتوباً على ذلك الزمن. فالكاتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس مؤرخاً عادياً هنا، فيسجل ما يريده الرسميون والسياسيون، بل إن انتماءه الفكري والسياسي، يساعده في البوح والكشف، فظهرت السيرة أسلوباً جديداً في الكتابة والتأريخ.

"أهمية السيرة في التأريخ لواقع عرب فلسطين المحتلة 1948"

إن تتبع الواقع بما يحتويه من أحداث كثيرة ليس عملاً سهلاً، خصوصاً وأن الكتابة في المجتمعات الشرقية عامة والمجتمع العربي خاصة، محكومة بقوانين تفرضها الأنظمة الحاكمة، والقوانين الاجتماعية الموروثة من العادات والتقاليد، التي تضيق أفق الكاتب الذي يسير إلى جانب الحائط الواقف، فتكبل قلمه وتجعل تفكيره ضبابياً، بعيداً عن الكشف والفضح لما هو مستور. ولأن الكتاب ليسوا من طينة واحدة، فإنهم لا يسترون الحقائق التي يعرفونها، ويواجهون الواقع في كتاباتهم، وهذا شأن الماركسيين، بينما الكتاب الذين يهربون من مواجهة الواقع، لن تجد كتاباتهم أصداء لها في عقول القرّاء ونفسياتهم. إن كتابة الكتاب عن التجارب الحياتية التي مروا بها تكشف الكثير من الغموض، وترفع الحجب عن المستور، فتصبح الكتابة الذاتية عن حياتهم مرجعاً تاريخياً ومصدراً أساسياً في المعرفة. فحنا إبراهيم يكتب سيرته بعد أن أنفق أربعين عاماً في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وعليه فإننا أمام سيرة كاتب ماركسي، تخلى فيما بعد عن عضويته في الحزب الشيوعي، ونحن نعرف أن الماركسيين يعتقدون أنهم امتلكوا الحقيقة دون سواهم، وحين نقرأ عن وجهة نظره في الكتابة نراها تختلف عن وجهة نظر كاتب مثالي محلق في الخيال، ليرضي غرور مثاليته. فالكاتب الأول يكتب عن الواقع كما هو، دون أن يسمح لخياله الأدبي أن يقضي على أحداث لها تأثير في مجتمعه، فيندمج في الأفراد الآخرين والأحداث التي يتحدث عنها، وتصبح كتابته أقرب إلى التاريخ، فيبدو أن "السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها، فإن السيرة -في هذا الوضع- تحقق غاية تاريخية، وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد، وتفصله عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الكبرى، وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة"[1].

[1] إحسان عباس، فن السيرة، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، ط 1، 1996 ص 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن كل كاتب يدين بفلسفة خاصة به، فنراه في كتابته واضحاً،فتبدو "وجهة نظـــره ذات دلالة مهمة بشكل محدد، وخاصة الزاوية التي يختارها لكـــي يتعـرض منـــها للشـــخصيات والأحداث"[1].

وحتى تصبح دراسة السيرة الذاتية لحنا إبراهيم – من حيث التـــأريخ لحيـاة عـرب فلسطين في منطقة 1948– سهلة التناول، عمدت إلى تقسيم حياتهم كما وردت في الســـيرة: سياسياً ثم اقتصادياً ثم اجتماعياً.

"الواقع السياسي لعرب فلسطين أثناء الانتداب البريطاني "

يمكن أن نفيد من السيرة في تبيان الواقع السياســـي والواقـــع الاقتصـــادي والواقـــع الاجتماعي والواقع الثقافي أيضا، وقد نفيد من جوانب أخرى مثل العلاقة بين العرب واليـــهود كما يراها أديب ماركسي. وقبل هذا وذاك تعرض لنا السيرة سيرة حيـــاة الكـــاتب نفســـه، لأن "وراء كل سيرة دافعاً مباشراً، هو الذي حدا بالمؤرخ إلى تسجيلها"[2].

يخرج قارئ السيرة الذاتية وقد تعرف، بعد قراءتها، على وقائع سياسية مهمة مـــرت بها فلسطين، وهكذا لم يكن حنا إبراهيم يكتب عن تجارب خاصة مغفلا الواقع العـــام، فنحـــن، بقدر ما نتعرف على حياته، نتعرف أيضا على التاريخ الفلسطيني. وربما أسهم فـــي ذلـــك أن حنا إبراهيم نفسه كان منشغلا بالهاجس السياسي منذ بدايات حياته، كما تـــأتي الســـيرة علـــى وقائع مهمة في المنطقة، ولا تذكرها وحسب، بل نجد حنا إبراهيم يبـــدي رأيـــه، وهـــو رأي فردي–جمعي، أعني أن يعكس قناعاته التي هي قناعات الحزب الشيوعي.

ومن الأحداث التي تأتي عليها السيرة:

ظروف الحياة السياسية لعرب فلسطين في فترة الانتداب وكانت من الصعوبة، بحيـــث دفعت حنا إبراهيم الشاب الصغير في السن إلى أن يبحث عن عمل أو وظيفة تتناسب وواقـــع طالب ثانوية عامة، فهذه الظروف لم تتح له الحصول على مهنة ليلبي مـــن خلالـــها حاجاتـــه الأساسية، بل كان يعود في كل مرة حزيناً، ونتيجة لهذا الواقع الصعب فقد قرر حنـــا إبراهيـــم

---

[1] نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 139.

[2] إحسان عباس، فن السيرة، ص 28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يتقدم بطلب إلى مدرسة الشرطة الفلسطينية، وتأتي سيرته على الفحوصات التي اعتمدتها المدرسة لقبول المنتسبين إليها[1].

وبسبب تفوق حنا إبراهيم في دراسته في مدرسة الشرطة، تعمد المدرسة إلى تعيينه معلماً[2] للقانون فيها، ليتعرف على معلميها. ويسرد لنا في سيرته عن عدد من التلاميذ اليهود الذين كان يعلمهم، وطريقة تعاملهم معه، وتأثير الأوضاع السياسية عليهم، فاليهود يقومون بعمليات عسكرية[3] ضد الانتداب، ثم تفاقمت الأوضاع بأن بدأ اليهود يقومون بهجمات على العرب، وقد كان لذلك كله تأثيره على فوج المتدربين اليهود في المدرسة، حيث طلبت إليهم منظماتهم السرية أن يتركوا المدرسة ليلتحقوا بالأعمال التي توكلها المنظمات إليهم لإقامة دولتهم.

وقد رصدت السيرة الذاتية الأحداث التاريخية الكبيرة، التي كان لها تأثير كبير على فلسطين وقضية شعبها، فالأمم المتحدة تفرض قراراً بتقسيم فلسطين إلى دولتين: يهودية وأخرى عربية.

وتظهر السيرة صعوبة وصول الصحف[4] بأعداد قليلة إلى القرى العربية، بسبب الأخطار المحدقة بالطرق والتنقل، كما أن السلطات البريطانية عمدت إلى تعطيل صحيفة الاتحاد، التي تفضح مؤامرات تلك السلطات وسياساتها. لقد كان حزب الدفاع معبراً عن مصالح البرجوازية الفلسطينية، التي تعمل لتحقيق مصالحها الخاصة، ولا تهتم بمصلحة الشعب، وليس غريباً أن تلتقي مصالح بريطانيا مع مصلحة البرجوازية الفلسطينية، في محاربة طبقات المجتمع الفلسطيني من عمال وفلاحين، ولذلك فإن الإنجليز يسمحون لجريدة "فلسطين" بالانتشار، "التي كانت حينذاك قد أصبحت الجريدة الناطقة باسم الحزب"[5].

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ذكريات شاب لم يتغرب، ط ثانية، الأسوار، عكا، 1996، ص 52.

[2] المصدر السابق، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص 60-61.

[4] المصدر نفسه، ص 70.

[5] عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 10، 1990، ص 279. انظر أيضاً، عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين، ص 247، "وكان أول حزب يظهر إلى الوجود بعد المعركة الانتخابية لبلدية القدس هو حزب الدفاع الوطني الذي تألف في كانون الأول 1934 برئاسة راغب النشاشيبي". انظر أيضاً المرجع نفسه ص 283: "فقد غدا من المعروف حينذاك أن حزب الدفاع الوطني – حزب النشاشيبي– يعتزم بالتعاون مع الأمير عبد الله الموافقة على مشروع التقسيم، وضم الدولة العربية الجديدة إلى شرقي الأردن وتنصيب عبد الله ملكاً عليهما. وكان حزب الدفاع الوطني يأمل بأن يتمكن بمساعدة الحكومة البريطانية من تولي القيادة السياسية بعد أن تقرر الحكومة إقصاء الحاج أمين الحسيني عن المسرح".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تعرض السيرة الحديث عن جيش الإنقاذ، الذي تم تشكيله من عـــدة دول عربيـــة، وقد خضع للقيادة العربية الرسمية، وقد كان هذا الجيش غير قادر على القيام بالأعباء الموكلـــة إليه، فلم يمنع عصابات اليهود من احتلال المدن والقرى العربية، كما أنه لا يحتفـظ بأســراره العسكرية التي تفيده في أعماله وخططه، فهو يعطي ناطور القرية[1] البلاغات العسكرية ليقـــوم بقراءتها بصوت عال في شوارع القرية.

وتأتي السيرة على أوامر القيادة الرسمية لجيش الإنقاذ التي تدعو إلـــى الانســحاب، كمـــا تعرض لطبيعة الأسلحة والذخيرة التي كان يتسلح بها هذا الجيش، فهي ذخائر فاسدة لا تصلـــح للمعارك، حيث أن الكاتب قد التقى في سيارته مع أحد جنود جيش الإنقاذ[2]، والذي نقـــل إلـــى صاحب السيرة حقيقة ما يجري.

"واقع العرب في فلسطين عند إقامة دولة إسرائيل عام 1948 "

تعرض السيرة لانسحاب جيش الإنقاذ دون معارك، وترك أهل فلسطين كالقشـــة فـــي مهب الريح، بينما الأنظمة العربية تكابر وتزايد وتدعي أن جيوشها[3] تتقدم إلى فلسطين، وتقـــوم بواجبها خير قيام، فالإذاعات العربية تعلو وتيرة أصواتها المزمجرة، لكـــن أســلحتها بقيـــت خرساء.

إن الضعف العربي والفلسطيني، جلبا كثيراً من الكوارث الإنسانية للشعب الفلســطيني، فإسرائيل الدولة الناشئة استطاعت أن تهزم بعصاباتها المسلحة جيوش أنظمة عربيـــة عديـــدة. وبسبب هذا الضعف، وجد أهل فلسطين الطريق مفتوحاً للهجرة واللجوء، غير مقدرين المعانـــاة التي سيعانونها في أرض الغربة بعيداً عن أرضهم وبيوتهم.

لقد كان اليهود مهتمين بتدعيم أركان دولتهم الجديدة وزيادة عدد سكانها، وذلك بجلـــب المزيد من المهاجرين اليهود الجدد من أنحاء العالم المختلفة.

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 86.

[2] المصدر السابق، ص 76.

[3] المصدر نفسه، ص 72-73.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من المجازر التي قام بها اليهود، لترحيل أكبر عدد ممكن من العرب الفلسطينيين، إلا أن قسماً كبيراً منهم بقي في وطنه، ولم ترهبه المجازر، بل أن عدداً كبيراً من الذين خرجوا إلى البلاد العربية المجاورة، بدأ بالعودة إلى الوطن، بعد أن عرف معاناة العيش في الشتات. وقد وثّقت السيرة قضية الإحصاء والتسجيل، وكذلك الحملات العسكرية التي قام بها الجنود الإسرائيليون في القرى العربية في فلسطين عام 1948 ، بحثاً عن متسللين[1]، وكانوا في معظمهم من النساء أو المتقدمين في السن.

يبرز حنا إبراهيم في سيرته ما تعرض له الشعب الفلسطيني على أرضه،ويصور مداهمة جنود السلطات الإسرائيلية القرى العربية، وقيام الجنود بحملات إرهاب وقتل، وبارتكاب المجازر البشعة ضد السكان. من ذلك ما أتى عليه حين صور قتل الجنود الإسرائيليين أربعة مواطنين من قرية البعنة، يوم سقطت هذه عام 1948 ، وكان حنا شاهداً على هذه الأحداث.

وتأتي السيرة على وصف المضايقات التي تعرض لها عرب فلسطين المتبقون، وهذه المضايقات تتمثل في قيام الحكام العسكريين بمنح تصاريح السفر والتنقل لمن يريدون، ولم يكن الحصول على التصريح ليتم دون مشقة، كما ان المدة الزمنية للتصريح قصيرة[2]، مما يفرض على العربي أن يبقى في عملية بحث مستمرة عن التصريح لينجز أعماله، وقد قام الحاكم العسكري بتمزيق التصريح[3] المحدد بأسبوع لصاحب السيرة، وأعطاه تصريحاً ينتهي مفعوله في اليوم ذاته.

" واقع العرب الفلسطينيين الذين صمدوا في فلسطين بعد عام 1948 "

تأتي السيرة على ظروف الاعتقال التي تعرض لها المواطنون العرب في فلسطين، بعد دخول اليهود إليها، حيث أن أغلب شباب القرى معتقلون، وحنا إبراهيم لمس معاناة أهل

---

[1] المصدر نفسه، ص 132.

[2] حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة،دون ط، دون مكان للنشر، دون ت، ص 88.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتقلين، حيث كان أخوه يعقوب من بين المعتقلين. كما أنه كتب رسائل إلى المعتقلين[1]، حيث يملي أهلهم عليه ما يريدون لأبنائهم، كما أنه يقوم بقراءة ما يرسله المعتقلون إلى أهلهم.

وبعد أن تم للحركة الصهيونية إقامة دولتها على أرض فلسطين، كان في مقدمة مخططاتها تهويد الأرض ومصادرتها لإنشاء المستوطنات على أنقاض البيوت الفلسطينية وجلب المزيد من المهاجرين اليهود، لتصبح هذه الدولة، ذات صبغة يهودية[2].

إن هذه السياسة قد حوّلت صاحب الأرض إلى عامل، فالمستعمر الذي جاء من أقصى بقاع الأرض أصبح مالكا للأرض، وبسبب هذا الواقع الصعب اضطر العربي الفلسطيني أن يعمل أجيرا في حقل آبائه وأجداده الذين أعطوه حياتهم كاملة .وقد تحدث صاحب السيرة عن شجار[3] جرى بين امرأة عربية فلسطينية مع مأمور العمل، الذي اتهمها بالسرقة، وأوضحت له أن الأرض بما عليها من أشجار زيتون ملك لها . وفي حادثة أخرى مع رجل فلسطيني كبير، طلب من حنا إبراهيم العامل في قطف الزيتون، أن يخفف الضرب بالعصا على الأشجار، لأنها ملك له. وأوضح له أنه عاملها كامرأة حرة عندما كانت بحوزته، فلم يرفع عليها عصا. وقد دفعت هذه الحادثة حنا إبراهيم إلى أن يخجل من الرجل ويعتذر له، ولم يعد بعدها للعمل في ذلك الحقل .

وتعرض السيرة لصورة الإنسان الفلسطيني الذي يتعلق بأرضه إلى أقصى درجات العشق، ليس لهدف اقتصادي، بل للحب الموروث[4] بين الأجيال المتعاقبة وأرضهم، وقد كان هذا بالبساطة التي تحدث بها صديق الكاتب، ناصر فواز، عن أهمية الأرض والحفاظ عليها .

"دور الحزب الشيوعي في التصدي للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة"

أبرزت السيرة صورة إيجابية للحزب وأفراده، وهي صورة بدت في الخمسينات والستينات على الرغم من قسوة السلطات الحاكمة، إلا أن الواقع الصعب فرض على العربي الفلسطيني في فلسطين المحتلة 1948، أن يقف على رجليه، فيتحدى القمع والاضطهاد، إلا أن الظروف الذاتية والموضوعية، أعطت الحزب الشيوعي صدارة سياسية في الكشف عن

---

[1] المصدر السابق، ص 110.

[2] حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة، ص 88.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 105.

[4] المصدر السابق، ص 201.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جرائم السلطات ضد المواطنين العرب، حيث بقي الحزب التنظيم الجدي الوحيد الـــذي حمـــل لواء المعارضة لسياسات الحكومات الإسرائيلية، كما انه يعد المنفذ الوحيـــد[1] لنشـــاط العـــرب السياسي، وقد كسر الشيوعيون حاجز الخوف الذي كان يعاني منه الناس في القرى العربيـــة، حيث قام خطيب الاجتماع الشيوعي في قرية البقيعة بمخاطبـــة شـــجرة التوت[2] القائمـــة فـــي المكان، مما أغرى الناس بالتقدم والجلوس على المقاعد التي كانت خالية ، لخوف الناس مـــن بطش السلطات .

أبرزت السيرة واقع العمل السري في الحزب الشيوعي ،فالعضوية الحزبية لـــم تكـــن نزهة ، بل عملا شاقا يحتاج من الشيوعي المخاطرة بنفسه[3]، فيخرج ليلا لحضـــور الاجتمـــاع الحزبي تحت شجرة في أحراج الكرمل . وتأتي على عدد المجتمعين الذين كانوا نحو خمســـين عضوا.

وتبين السيرة النشاطات السياسية المتعددة التي قام بها الشيوعيون، لتحسين الظـــروف المعيشية للعمال ، حيث قاد هؤلاء المظاهرات من أجل توفير العمل والخبز لعائلاتهم ، وقـلموا بمظاهرة عمالية[4] أمام دار الحكومة في عكا في صيف 1949، كما أنهم قادوا العمال العـــاطلين عن العمل لاحتلال الكسارات في دائرة الأشغال العامة في البعنة.

وعرضت السيرة للنجاح الكبير الذي حققه الشيوعيين في قضيـــة الـــهويات الحمراء[5] التي قامت السلطات بتوزيعها على أهل قرى منطقة الشـــاغور بعـــد أحـــداث عـــام 1948. فالشيوعيون يحرضون الناس على رفض استلام الهويات ذات اللون الأحمر ، ويعملون علـــى متابعة هذه القضية فيرفعون دعوى إلى محكمة العدل العليا، بوساطة المحامي الشيوعي حنـــا نقارة.

---

[1] حسن أمون، وأوري ديفيس، ونصر دخل الله، العرب الفلسطينيين في إسرائيل، منشورات شمس، باقة الغربية، ط 2، 1993، ص 18.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 206.

[3] المصدر السابق، ص 29.

[4] المصدر نفسه، ص 147.

[5] المصدر نفسه، ص 135.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوضح السيرة أن الشيوعيين قد شاركوا في كل نشاط سياسي وفي أي موقع كـــان ، غير عابئين بما يلحقهم من أذى ، فعند خروج المعتقلين من السجن ، قام الشـــيوعيون بصنـــع علم أحمر[1] ليرفعوه في طريق عودتهم إلى بيوتهم ، كما أنهم يتحدون السجانين ولا يهابونهم.

وتأتي السيرة على مشاركة الشيوعيين بعضهم بعضا في القضايا الاجتماعيـــة ، مـــن زواج وأعياد دينية للمسلمين والمسيحيين، والأعياد الأخرى مثل أول أيار وعيد ثورة أكتوبـــر الاشتراكية ويوم المرأة العالمي ،وليس غريبا أن تفوق العلاقات الحزبية العلاقـــات العائليـــة، فالشيوعيون يحضرون الاجتماعـــات العائليـــة[2]، ويشـــاركون أعيـــاد الطـــائفتين الإســـلامية والمسيحية.وأتت السيرة على الخلافات بين أجنحة الحزب ، وبذلك أعطت تصور حنا إبراهيم، باعتباره عضوا، للانشقاقات داخل الحزب. وقد عرضت السيرة لحال الحزب الشـــيوعي فـــي حالة انقسامه إلى فريق ميكونس وسنيه[3]، اللذين استوليا على اسم الحزب ومقدراته وممتلكاتـــه، بينما شكل بعض الرفاق اليهود مع الرفاق العرب القائمة الشيوعية الجديدة .

وأوضحت السيرة المنافسة الحزبية ، بين الأحزاب المختلفة في منطقة 1948 ، فقـــادة الحزب الشيوعي يريدون السيادة والتفوق على الآخرين ، فالمكتب السياســـي للحزب[4] يخشـــى من تدخل الشيخ جبر معدي لحل مشكلة قتل لأهداف انتخابية، ولذلك حاول المكتب السياســـي منعه من إجراء الصلح العشائري .

"الواقع الاقتصادي في فلسطين أثناء الانتداب"

تبرز سيرة حنا إبراهيم صورة للحياة الاقتصادية لعرب فلسطين ، حيث أن الاقتصـــاد الفلسطيني ، يعتمد إلى حد كبير على الزراعة، وليس غريبا أن يلتصـــق الفـــلاح الفلســـطيني غريزيا بالأرض وزراعتها ، ولا يتنازل عنها لضعف إنتاجـــها، أو لصغـــر المســـاحة التـــي يمتلكها. وقد كان صغار الفلاحين يسمون "بالشكرجية"[5]، وكان هذا اللقب ينطبق علـــى والـــد صاحب السيرة، حيث كان يزرع أرضه القليلة لتسد حاجته الذاتية، كما تبين الســـيرة نوعيـــة

---

[1] المصدر نفسه، ص 122.

[2] المصدر نفسه، ص 231.

[3] المصدر نفسه، ص 249.

[4] المصدر نفسه، ص 312.

[5] المصدر نفسه، ص 155.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوى المنتجة في الريف الفلسطيني، فهي تتألف من حمير وأبقار، وكذلك جهود الفلاحين وجهود أبنائهم الصغار، فحنا إبراهيم الذي لم يبلغ الثامنة من عمره[1]، يرافق جدته في موسم الحصاد، ليساعدها في قلع الأرض المزروعة بحبوب الكرسنة.

لقد دفعت ظروف الحياة الصعبة في الريف بعض الناس للعمل في أعمال بسيطة لها علاقة بالزراعة، وخاصة لمن لا يملك الأرض، وسيلة الإنتاج الأولى، وقد أبرزت سيرة الكاتب من هذه الأعمال مهنة "المخضر"[2]، الذي يقوم بمتابعة أرض الفلاحين المزروعة وحمايتها من اعتداءات الرعيان واللصوص.

وتظهر سيرة الكاتب الظروف المعيشية القاسية في الريف الفلسطيني، في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، فاتساع حجم العائلة الريفية شجع عدداً من الشباب الصغار، للانتقال إلى المدن طلباً لكسب لقمة العيش. كما أن "عملية شراء اليهود للأراضي تخلق باستمرار طبقة متزايدة الاتساع من الفلاحين العرب المعدمين، الذين كانوا يتحولون إلى عمال زراعيين موسميين، أو كانوا ينزحون إلى المدن في الغالب، ليصبحوا يداً عاملة غير ماهرة ورخيصة"[3]. إن خليل عيسى خوري الشيوعي القديم، يضطر لترك قريته، وينتقل إلى مدينة حيفا طلباً للرزق، حيث يعمل في فرن للخبز يملكه رجل ألماني، وبأجرة بسيطة تصل سبعة قروش يومياً[4]، ورغيف خبز.

وأبرزت السيرة نوعاً من الأعمال الريفية، وهو المزارعة؛ حيث يأخذ شخص ريفي أرضاً من مالك لها، فيقوم بزراعتها وحراثتها، ويعتني بها زمناً طويلاً، وفي أغلب الأحيان، حتى تبدأ الأشجار التي زرعها بالإثمار، ويحصل مقابل جهده على حصة، يكون طرفا المزارعة[5] قد اتفقا على نسبتها، كأن تكون الربع أو الخمس للمزارع، أما صاحب الأرض فيأخذ الباقي. وكثيراً ما يرفض صاحب الأرض قسمة الأرض المزروعة، إن بقي قسم من الأشجار دون إثمار، بل يصر المالك أن تثمر الأشجار جميعها حتى يوافق على القسمة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 202.

[2] المصدر نفسه، ص 126.

[3] كامل محمود خله، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط 2، 1982، ص 601.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 27-28.

[5] المصدر السابق، ص 28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأتي السيرة على اجتماع عناصر متنوعة من العمال في المدن، وغياب التنظيم النقابي الذي يدافع عنهم، فالعمال المصريون[1] يعملون اثنتي عشرة ساعة يومياً في مخابز الجيش البريطاني في حيفا، كما أن البريطانيين لا يعطون العمال فترة زمنية قصيرة لتناول طعامهم. وقد حاول خليل عيسى خوري العامل الفلسطيني، والعضو في عصبة التحرر الوطني، أن يقدم استقالته من العمل، عندما وجد صعوبة في التفاهم مع أولئك العمال، بشأن القيام باحتجاجات للمطالبة بحقوقهم، إلا أن مسؤول العصبة إميل توما، أخبره أنه إذا فعل ذلك، فعليه أن يقدم استقالته من العصبة، وأصر على أن يجد نوعاً من التآلف بين العمال مختلفي الاتجاهات.

ورصدت السيرة قضية البطالة التي عاشها العرب في فلسطين، بُعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث أن عدداً كبيراً من العمال، الذين كانوا يعملون في المشاغل البريطانية قبيل الحرب، عادوا بمعظمهم من المدن إلى القرى، ليجدوا أنفسهم دون عمل محدد يسد رمقهم. وقد عانى حنا إبراهيم من البطالة[2] ومن البحث المستمر عن عمل، حيث قضى نهاره باحثاً عن عمل.

ولعل قضية البطالة كانت السبب المباشر، الذي دفع حنا إبراهيم للالتحاق بالشرطة الفلسطينية أيام الانتداب. فالفشل المتلاحق[3] الذي رافقه لإيجاد عمل، فرض عليه أن يقدم طلب التحاق بهذا الجهاز الذي كانت سلطات الانتداب تشرف عليه. فالحاجة المادية لتأمين العيش، تجبر الإنسان على العمل في مكان، لا يتمنى أن يعمل فيه، وهذا كان حال صاحب السيرة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 9.

[3] المصدر نفسه، ص 48.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"واقع عرب فلسطين الاقتصادي بعد قيام إسرائيل"

تظهر سيرة حنا إبراهيم صورة لحياة العرب الاقتصادية في فلسطين المحتلة، بعد قيام إسرائيل، فهي تأتي على علاقتهم بالأرض وتحول قسم من أبناء الريف إلى العمل لدى الشركات الإسرائيلية. ونظراً لأن الأرض كانت مصدر رزق الفلسطيني فقد عبر عن ارتباطه بها ودفاعه عنها، غير أن الصراع بين العرب واليهود كان صراعاً يقوم على رغبة الأخيرين في السيطرة عليها وامتلاكها وتجريد العرب من ملكيتها. وهذا عامل آخر مهم جداً لا يقل عن العامل الأول.

وقد أتى حنا إبراهيم في سيرته على مواطن كثيرة توضح ما أسلفت، فالفلسطيني لم يتوقف عن البحث عن مصدر رزق له ولعائلته، فيقوم بالأعمال القاسية في المحاجر التي كانت موجودة في الأرض الوعرة، بهدف الثبات والبقاء فوق تراب الآباء والأجداد. وقد قلمت السلطات الحاكمة بشتى أشكال الاضطهاد للعمال في المحاجر، فتعطل العمال عن عملهم وضعف إنتاجهم، ثم كبرت مأساة هؤلاء العمال، عندما بدأت الشرطة بمداهمة المحاجر، بحجة أن العمال الذين عملوا فيها، لم يكن بحوزتهم تصاريح. وكثيراً ما كان رجال الشرطة يعتقلون العمال، ويقوم الحاكم العسكري بفرض أحكام قاسية ضدهم، وقد تعرض صاحب السيرة للاعتقال في إحدى غارات رجال الشرطة على تلك المحاجر[1]. ولم تتوقف السلطات عن سياسة التضييق الاقتصادي على العمال الذين عملوا في المحاجر دون ترخيص، بل قامت بخطوة قمعية أقسى، وذلك بمصادرة الأراضي التي تقع فيها المحاجر، حيث "استمرت المصادرة لعدد آخر من المقالع العربية، وهي المعروفة بإنتاجها، لأفضل أنواع الرخام في البلاد، وما ترتب على ذلك من إيقافها عن العمل"[2].

إن الحالة الصحية التي وصل إليها حنا إبراهيم، بسبب عمله الشاق في المحاجر، دفعته للبحث عن أعمال أقل صعوبة ليريح جسمه وينتقل إلى مهنة ثانية، حيث عمل في دكان لبيع الملابس[3]، وقد أسهم ذلك العمل الذي استمر سنتين، بنيل حنا قسطاً من الراحة، إلا أنه عاد إلى المهن الشاقة في البناء، ليشارك العمال كدحهم، وليثبت انحيازاً عملياً للطبقة

---

[1] المصدر نفسه، ص 170.

[2] حسن أمون وأوري ديفيس ونصر دخل الله، "العرب الفلسطينيون في إسرائيل"، ص 25.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 227.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاد إلى المهن الشاقة في البناء، ليشارك العمال كدحهم، وليثبت انحيازاً عملياً للطبقة البروليتارية التي تأكل بعرقها، ولا تسرق الآخرين ولا تفكر باستغلالهم.

"الواقع الاجتماعي للعرب الفلسطينيين في فلسطين أيام الانتداب"

تبرز السيرة صورة لحياة عرب فلسطين الاجتماعية، وتمكن قارئها من معرفة ما مرّ به هؤلاء منذ عام 1936، العام الذي انطلقت فيه الثورة. وقد تركت هذه، كما تقول السيرة، أثراً على حياة السكان وطريقة معيشتهم، فبدلاً من أن تنفق الأموال على تحسين الظروف المعيشية، أصبح الفلسطيني يشتري بها السلاح لمواجهة الإنجليز واليهود معاً.

ويأتي كاتب السيرة على ما ألمّ به شخصياً، كما يأتي على ما ألمّ بغيره في هذا المجال. فوالده اشترى بكل ما يملك بندقية، ولم يشتر لحنا الزي المدرسي الرسمي مما اضطره إلى ارتداء أي زي لديه، وهذا ما حدا بالمدرسة إلى التساهل في الأمر[1].

وكان الدخل الزهيد يدفع بالطلاب إلى المشي من القرية التي يقيمون فيها إلى القرية التي يتعلمون فيها، وهذا حدا بحنا وزملائه إلى تقدير ظروف أهلهم المادية، مما فتق الذهن عن تصرفات تبدو مضحكة. ومن ذلك مثلاً أن حنا نفسه، لكي يحافظ على حذائه، كان يخلعه ويسير حافياً[2] حتى إذا ما وصل إلى البعنة، غسل رجليه في عين ماء الصرار أو عين ماء الحضين، حسب الطريق الذي يسلكه إلى قريته.

ولم يكن الإنسان الفلسطيني -أيام الانتداب البريطاني- ليخرج حذاءه من الخدمة سريعاً، لعدم توفر المال الكافي لشراء حذاء جديد، بل إن عمليات الإصلاح والترميم تستمر، ليطول زمن خدمته. وليس عجيباً أن ترسل العائلة حذاء الابن المثقوب إلى الإسكافي لتجديده[3]، وغالباً ما كانت عملية الترميم تتم دون دفع، حتى يتوفر المال مستقبلاً. فالشاب لا يملك إلا حذاء واحداً، وفي حالة السفر إلى خارج القرية لتقديم طلب عمل، لا بد أن يتم إصلاح الحذاء، ليظهر الشاب بمظهر لائق أمام صاحب العمل ولجنة المقابلة والتعيين في المؤسسة.

---

[1] المصدر السابق، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] المصدر نفسه، ص 12-13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعرض السيرة لظاهرة انتشار القمل في رؤوس الأطفال الصغار في الريف الفلسطيني، حيث أن ضعف الإمكانيات المادية، لا يمكّن الأهل من شراء المواد المنظفة، مما يجعل الجدة تقوم بمهمة التفتيش عن القمل في رؤوس الأطفال. كما ان هذه المرأة الكبيرة تعمل وتكد، لتعيل أطفالها، وحنا يكتب عن جدته –التي كانت تفتش في رأسه[1]–، بأنها عصامية تعمل لإعالة صغارها بعد وفاة والدهم.

وتأتي السيرة على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين قبل قيام إسرائيل، حيث اشترك وفد من الرجال المسلمين والمسيحيين، لمقابلة البطريرك، وتسليمه عريضة من أهل قرية البروة، بخصوص تعيين خوري لها[2]، بعد أن أصبح هذا المنصب شاغراً بعد وفاة الخوري الأول. وقد بدا الانفعال على البطريرك عندما وجد تواقيع مسلمي القرية إلى جانب مسيحييها وكاد أن يبكي.

كما أن سيرة حنا إبراهيم، أظهرت الترابط والتكافل الاجتماعيين في فلسطين، قبل إنشاء دولة إسرائيل، فأهل القرية يسهمون في زواج أحد الشباب الفقراء[3]، حيث قدّم كل شخص شيئاً لإتمام مشروع الزواج، فأعطوا بذلك صورة واضحة عن طبيعة الحياة التي عاشوها.

وعرضت السيرة إلى العقلية العربية الساذجة، التي عمدت إلى تخويف عدد من العمال اليهود، الذين كانوا يصلحون عطباً كهربائياً بالقرب من مدخل مدينة عكا، حيث قام عدد من الرجال العرب في المدينة، بنقل مدفع رمضان[4]، أمام العمال اليهود، وتمريره عدة مرات. ويذكر صاحب السيرة أنه كان يعمل حارساً على أولئك العمال.

---

[1] المصدر نفسه، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3] المصدر نفسه، ص 25–26.

[4] المصدر نفسه، ص 68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الواقع الاجتماعي لعرب فلسطين بعد العام 1948"

تعرض سيرة حنا إبراهيم للظروف الحياتية القاسية، التي مر بها الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة بعد العام 1948، حيث أن الكاتب لم يمتنع عن النشاط السياسي في الحزب الشيوعي على الرغم من أن الحذاء الذي كان يلبسه، تظهر منه أصابع قدميه[1]، كما أن الغبار كان يصبغ يديه ووجهه غير الحليق، وبنطاله المرقع لم يشفع له عند رفيقه في الحزب، الذي أصر على مرافقته إلى اجتماع انتخابي عام في قرية نحف. وهناك بقي حنا إبراهيم جالساً بطريقة صعبة حتى لا يكشف أمر البنطال الذي فتق في أكثر الأماكن إثارة للحرج.

كما تأتي السيرة على أكثر الأمور خصوصية لدى الإنسان، حيث الحديث عن اللباس وظروف العيش في غرفة واحدة ومطبخ صغير، على الرغم من حجم العائلة الكبير[2]. وقد كان لهذا الواقع أن يتغير في حال تغير الواقع المادي. فالظروف الاقتصادية الصعبة تفرض على الكاتب واقعاً اجتماعياً قاسياً.

وتحضر في السيرة، أجواء القرية والريف في الظروف المختلفة، فالكاتب الذي ينغمس في الواقع وهمومه، يحمل عريضة ليجمع عليها تواقيع أهل القرية، الذين كانوا يجلسون على حجارة كبيرة ملساء في حارتها[3]، لأن الكراسي لم تكن قد استخدمت للجلوس عند هؤلاء البسطاء من الناس. وقد بدا من ردود فعل أهل القرية بشأن التوقيع على العريضة، عدم رضاهم، خوفاً من السلطات وانتقامها ممن يوقع.

كما أن السيرة أظهرت قابلية العربي الفلسطيني الريفي، إلى التعلم والتعليم والسفر من أجل ذلك، حيث بدأ الشباب الذين نالوا قسطاً من التعليم في منطقة 1948، يخرجون إلى الدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتي، حيث كانت هذه الدول المتنفس الوحيد للطلبة المؤيدين للحزب الشيوعي وسياسته. وقد أسهمت هذه الدول، في تمكين الطلاب العرب من تحطيم القيود المفروضة عليهم، فأصبح خروجهم أمراً ممكناً، كما أن التعليم يفيدهم ويفيد مجتمعهم، لمواجهة السياسة الحكومية التي تخطط لتجهيلهم، وتهدف إلى السيطرة عليهم وإخضاعهم، وقد

---

[1] المصدر نفسه، ص 157.

[2] المصدر نفسه، ص 261.

[3] المصدر نفسه، ص 125.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أهمية سيرة حنا إبراهيم لدراسة ثقافته"

يستطيع دارس سيرة حنا إبراهيم أن يكتشف مصادر ثقافته ومكوناتها، وهذه المصادر والمكونات عديدة ومتنوعة، منها ما اكتسبه حنا من البيئة الريفية التي نما فيها وترعرع بين سكانها ، كونه، كما نعرف ، ريفيا، ومنها ما تعلمه في المدارس التي ذهب إليها ودرس فيها الأدب العربي القديم ، ومنها ما تعلمه من أدبيات الحزب الشيوعي .

"المثل الشعبي "

أما المكونات الثقافية التي اكتسبها من البيئة، فتبرز من خلال إكثاره من الأمثال الشعبية والقصص والحكايات الريفية، فما من حدث يأتي عليه ويقص ما جرى معه فيه إلا واستعان بالمثل الشعبي ليلخصه.ومن ذلك "صحيح إن المنافس على الخنافس"[1] فهذا المثل ورد على لسان أحد جنود حرس الحدود الذين كانوا مسافرين في حافلة،وطلبوا من حنا الذي كان فتى صغيرا أن يرشدهم إلى مكان، لينالوا فيه متعتهم الجنسية، وكانت نظرتهم إليه لا توحي بالاحترام حيث كان حافيا ومظهره لا يدل على ذكاء، ورفض أن يدل أولئك الجنود .

وحينما أصر قادة الحزب الشيوعي على تجاهل الكاتب وقضيته، وجد المثل الشعبي سلاحا، يدعم به موقفه، والمثل يبين أهمية الصراحة وعدم التردد والخوف، فـ "من يبصق في يدك امسحها بلحيته"[2] وقد كان المثل الشعبي معبرا عن اللحظات المتأزمة في حياة الكاتب، وخاصة عندما لم يجد لغة مشتركة مع قادة الحزب الشيوعي، حيث تأكد له "أن الذي يدلل على بضاعته يرخصها"[3] كما عبر المثل الشعبي عن الظروف الاقتصادية السيئة التي تسببها الحكومات الإسرائيلية ، حيث تجعل القرى العربية وسكانها في حالة شديدة من الضيق ، إلا أن حب الإنسان العربي لأرضه، يجعله يتمسك بها ، ولا يفرط بها ويدفعه أن يعيش "كالبزاق الذي يلحس الصخر"[4] فلا يتركه لصلادته .

---

[1] المصدر نفسه، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص 330.

[3] المصدر نفسه، ص 316.

[4] المصدر نفسه، ص 290.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما عزل قادة الحزب الشيوعي مدير المطبعة لأنه لم يكن شيوعيا، وأرادوا أن يسندوا إدارة المطبعة لرفيق حزبي، هو حنا إبراهيم،على الرغم من عدم معرفته الكافية في هذا العمل، وجد حنا مثلا شعبيا ريفيا يناسب هذا الموقف،فقناعته كانت بأن لا يعين مديرا "من الباب إلى الطاقة"[1].

وقد قام حنا إبراهيم بتعديل بعض الأمثال الشعبية، ليعبر عن معنى خاص يريده،فبدا مختلفا عن المعنى الأصلي للمثل، ومن ذلك عودته إلى البيت وقد تهرأ حذاؤه، لبحثه الطويل عن عمل ، أما أصل المثل فهو "عاد بخفي حنين"، فالعربي القديم عاد بخفي حنين، بينما حنا إبراهيم عاد دونهما، ليكشف عن المعاناة الطويلة في البحث، والفقر الشديد الذي فرض على صاحبه الاستمرار في البحث عن مصدر رزقه، فحنا عاد إلى البيت "بدون خفي حنين"[2].

"الأغاني الشعبية والنشيد"

تأتي سيرة الكاتب على النشيد والأغاني الشعبية التي يغنيها الريفيون الفلسطينيون في المناسبات الاجتماعية المختلفة. فحياتهم القاسية والمليئة بالكد والعمل، تجعلهم ينتصرون عليها بطريقتهم الخاصة، فلا يسمحون للظروف أن تنال من شممهم وكرامتهم، بل إن عزتهم تتعمد وتتصلب في أجواء القهر والمواجهة. فجدة حنا التي يرافقها -وهو صغير- إلى أرض مزروعة بحبوب الكرسنة، ويبدو عليه عدم قدرة على تحمل أعباء العمل، مما يدفعه إلى أن يترك جدته وحيدة في الحقل، فلم يكن من الجدة إلا أن تعبّر عن هذا الموقف بأغنية شعبية، فراحت تدندن:

"يا مفلّس روّح عَ الدار بتلاقي الطبخة عَ النار"[3]

والأرض التي يعشقها الفلسطيني، بقيت حاضرة في الأغنية الشعبية الوطنية، وعندما تصادر الأرض، ويمنع أهلها من دخولها والاستفادة من خيراتها، تتصدر هموم العربي وتفكيره. وبذلك تكون الأغاني الشعبية والنشيد الجماعي ملكاً جماعياً على ألسنة أصحاب الأرض، فعندما يدافعون عنها ويقفون بوجه شرطة الاحتلال، يهتفون:

---

[1] المصدر نفسه، ص 262.

[2] المصدر نفسه، ص 9.

[3] المصدر نفسه، ص 202.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"نادى المنادي في الجليل أرض العروبة للعـرب
وشاغورنا مالك مثيـــل وترابك أغلى من الذهب
ما نرتضي عيش الذليـل لو صرنا لجهنم حطـب"[1]

وقد استمر حضور الأغنية الشعبية الوطنية، التي تمجد الأرض في الأعراس، حيـث أصبحت الأعراس أعراساً للأرض، قبل أن تصبح للأشخاص الذين يتزوجون. وبذلك ظـهرت الأعراس في صورة واحدة، حيث بقي الهم الجماعي مسيطراً، وليس مستهجناً أن ينشـد أهـل القرية في أعراسهم"

"لو هبطت سابع سما عن أرضنا ما ننـزل
وأرواحنا لهـا فـدا ما نرضى تبقى مقفله
والشعب اللي يريد السلام رب الكرم والمرجله"[2]

وأظهرت السيرة الأغنية الشعبية المستخدمة في معارك الوجود العربي الفلسطيني منـذ بداية الاحتلال في العام 1948، ومنها معركة الهويات الحمراء، التي أفشلها الشيوعيون، حيـث استطاعوا حشد الجماهير من حولهم وبذلك انتصروا فيها، وقد أظهرت قوى الصـراع مـن صهيونية وشيوعية في أوضح صورة. وقد ترددت هذه الأغاني في دبكات الأعراس، وكـانت فتاة من البعنة تغنيها:

يـا أبـو خضـر يلـلا ودّينـا الزرقـا والحمـرا عَ صرامينـا
هـذا وطنـا وعَ ترابـه ربينـا ومن كل الحكومة ماني مـهموما
يقطع نصيب الـ قطع نصيبـي لو أنه حـاكم فـي تـل أبيـب
توفيق الطوبي وإميـل حبيبـي والحزب الشيوعي بهزو الكونـا"[3]

"الشعر العربي القديم والمعاصر في السيرة"

لقد كان لتعلم حنا إبراهيم في المدارس أثر كبير في تعرفه على عدد كبير من الشعراء العرب وأشعارهم. وقد برز في سيرته عدد غير قليل من الأبيات الشعرية القديمة والحديثـة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 173.

[2] المصدر نفسه، ص 173.

[3] المصدر نفسه، ص 141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان لتعلم حنا إبراهيم في المدارس أثر كبير في تعرفه على عدد كبير من الشعراء العرب وأشعارهم. وقد برز في سيرته عدد غير قليل من الأبيات الشعرية القديمة والحديثة. كما أن الحصار الثقافي لعرب فلسطين في منطقة 1948 بعد قيام إسرائيل، جعلهم معزولين عن العالم العربي، مما فرض عليهم أن يتشبثوا بسفينة النجاة. وكان التراث العربي الشعري ملجأ يأوي إليه المثقفون الفلسطينيون، ليجدوا فيه الدفء والأمان أمام حملات التهويد ومحو الوجود. وقد قام جنود الاحتلال بالقتل والتشريد ونسف البيوت، والتدمير لقرى عربية كاملة، لكنهم لم يتمكنوا من محو الذاكرة الفلسطينية، التي تتشبث بتراثها الإنساني.

وتشهد سيرة الكاتب على نوعية الثقافة التي ينهل من ينابيعها، فأشعار الجاهليين –من أمثال: عنترة وطرفة والشنفرى وعروة بن الورد– حاضرة ومستخدمة في الموقف المناسب، فالشيوعيون الذين وزعوا المنشور المتعلق بتقسيم فلسطين في العام 1947، تحت جنح الظلام، ولم يتعرف أحد من الناس على الأشخاص الذين قاموا بذلك العمل، جعل الناس في حيرة من أمرهم، حتى "يجيء كل امرئ بالأخبار من لم يزود"[1]، وهذا العجز من بيت طرفة بن العبد:

"ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود"[2]

وعندما أراد صاحب السيرة أن يمدح الحزب الشيوعي ليعتبره أفضل الموجود على الساحة، في الدفاع عن العرب وقضاياهم، وجد ضالته في بيت الحطيئة:

"من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس"[3]

فقد ورد في السيرة على لسان المحامي حنا نقارة، عندما استطاع أن يكسب قضية مجموعة من الذين كانوا يسمون متسللين، وذلك باستصدار بطاقات هوية لهم، إلا أن أحدهم شتم الحزب الشيوعي، ليظهر بموقف غير مؤيد للحزب الذي تضمر السلطة الحاكمة لأعضائه وأصدقائه العداء.

وتظهر في السيرة ثقافة الكاتب الشعرية، عندما عجز عن تقديم هدية لزوجته في يوم المرأة العالمي، فظروفه المادية الصعبة، جعلته يستعيض عن هدية محسوسة بهدية معنوية، تمثلت ببيت المتنبي:

---

[1] المصدر نفسه، ص 81.

[2] الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 97.

[3] الحطيئة، الديوان، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ط، دون ت، ص 109.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن الشعر العربي القديم الشاهد الوحيد على ثقافة الكاتب في سيرته، بل تتعـــزز هذه الثقافة عند استخدامه أشعاراً للرصافي والجواهري وإبراهيم طوقان، فهو يوظـــف بيـت طوقان، الذي يهاجم فيه الزعماء العرب من الفلسطينيين ممن أضاعوا الأرض:

"في يدينا بقية من بلاد فاستريحوا كي لا تطير البقية"[1]

وقد أورد حنا هذا البيت عندما وضعت منظمة (الهاجناه) خطـــة عســكرية لاحتــلال فلسطين، بينما اكتفى العرب بعقد الندوات الاحتجاجية، وصاغوا رفضهم للمشروع الصـــهيوني أوراقاً مكتوبة، لا تثني اليهود عن تنفيذ مخططاتهم لتهويد فلسطين[2].

"ثقافة حنا إبراهيم الإسلامية"

ظهرت ثقافة حنا إبراهيم الدينية الإسلامية في أكثر من مكان في السيرة، فخلافه مـــع جمال موسى القائد في الحزب الشيوعي، جعل الكاتب يبعث الرسائل إلى قادة الحزب، ليوضـح موقفه، وقد دعم هذا الموقف[3] بمضمون الآية: ﴿ قل أعوذ برب الناس* ملك النـــاس* إلـــه الناس* من شر الوسواس الخنّاس* الذي يوسوس في صدور الناس* من الجنة والناس ﴾[4].

وتبدو ثقافته الإسلامية واضحة في سيرته، حينما أراد المسؤول الإنجليزي، أن يختـــار مجموعة من عمال المخابز المسلمين المتدينين، ليقسموا يميناً على القرآن، ليثبتوا براءتهم مـــن تخريب الطعام الذي قاموا بتجهيزه، وليتهموا ذلك المسؤول بتحطيم طـــاولات الطعـــام ومـــا عليها. فالعمال المصريون كانوا يحتفظون بنسخة من القـــرآن، ولا يجـــرؤون علـــى القســـم الباطل[5]، خصوصاً وأنهم يقيمون على العبادة وخاصة الصلاة خمس مرات يومياً.

---

[1] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1993، ص 219.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 60-61.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 319.

[4] القرآن الكريم، سورة الناس، آية 1-6.

[5] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ثقافة الكاتب المسيحية"

استخدم حنا إبراهيم في سيرته ثقافته الدينية المسيحية، حيث أن الأصل الديني الذي نشأ فيه، والبيئة الاجتماعية المحيطة به، تفرض عليه استخدام آثارها، فعندما كان يذهب إلى مدرسة الرامة، كانت الظروف المحيطة تفرض على التلاميذ، أن يتوجهوا أيام الأحد إلى الكنيسة، حيث يفرض المعلمون على التلاميذ الانتظام في صفوف داخل الكنيسة[1]، فلا يتحركون لقداسة المكان وطبيعة الموقف.

وحينما اشتدت الظروف المعيشية على حنا إبراهيم، وطال بحثه عن عمل يجد فيه رزقاً، كانت ثقافته المسيحية مساعدة لحل قضية البطالة، حيث دفع رشوة بمبلغ عشر جنيهات، لتعينه بإيجاد عمل، حيث أن أحد الرجال سأله عند عودته دون عمل: "هل بخرت الكنيسة؟"[2].

إن هذا السؤال الذي وجهه الرجل إلى حنا، كشف عن جوانب نفسية لدى الإنسان الفلسطيني، فعملية التبخير التي يقوم بها المسيحيون في الكنيسة، تقدم الرائحة الطيبة، وهكذا فإن المال الذي يقدم لمسؤول هو بمثابة ما يجري في الكنيسة، حيث يقدم زوارها البخور، كأحد الطقوس الدينية.

"إلمامه باللغات"

تبرز السيرة مدى معرفة كاتبها بلغات أخرى غير العربية، فهو يلم بالإنجليزية نتيجة دخوله المدارس وتعلمه فيها، كما أن الظروف الموضوعية التي تمثلت بوجود الانتداب البريطاني في فلسطين، فرضت على الفلسطينيين عامة والمثقفين خاصة أن يعرفوا قدراً من لغة الإنجليز. فعندما ذهب صاحب السيرة إلى مقابلة شخصية، مع لجنة من الضباط الإنجليز، لاختياره قبل الدخول إلى مدرسة الشرطة الفلسطينية، سارع لإلقاء التحية بالإنجليزية: "غود إيفننج سير"[3] أي مساء الخير يا سيدي.

---

[1] المصدر السابق، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 49.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تظهر السيرة معرفة كاتبها بالعبرية، وليس غريباً على حنا إبراهيم إتقانها، حيث أنه عاش وما زال في دولة يتحدث معظم أفرادها العبرية، كما أن نشاطه السياسي ومشاركته في مؤتمرات الحزب الشيوعي تفرض عليه أن يقيم علاقات حزبية مع غير العرب، فالحزب كان مفتوحاً للعرب ولليهود وما زال، ولذلك فلا بد أن يفهم كل من الطرفين الآخر. ومن ذلك أن حنا إبراهيم وستين عاملاً عربياً، توجهوا في شاحنتين إلى عكا، ليقوموا بمظاهرة أمام مقر الحاكم العسكري، ليطالبوا بتوفير أماكن عمل لهم. وقد هتف حشد العمال المتظاهرين بشعار "ليخم عفودا"[1] أي خبز وعمل.

وتظهر سيرة حنا إبراهيم معرفته الواسعة بالعبرية، حيث يقوم بترجمة كتاب الرفيقة الشيوعية (روت لوبتش)[2] الذي يحمل العنوان "اخترت حياة الكفاح" إلى العربية.

"ثقافته الماركسية"

لقد أسهمت الفلسفة المادية في تشكيل الوعي لدى الشيوعيين، حيث تعد المادية الجدلية مصدراً أساسياً ترتكز عليه الأحزاب الشيوعية، فالمنتسب إليها لا يعد عضواً كاملاً، إن لم يؤمن بهذه الفلسفة. وقد أفاد الكاتب من هذه العقيدة في معالجة شؤون الحياة المختلفة، التي أتى عليها في سيرته. فقانون الديالكتيك الماركسي، وحدة الأضداد وصراعها، يبرز "أن الحياة مستمرة وصراع الأضداد المتحدة لا ينتهي، وانهيار الأنظمة الاشتراكية لا يعني انهيار أفكار العدالة الاجتماعية"[3].

كما ويظهر في سيرته القانون الآخر للفلسفة المادية، وهو التراكم الكمي وتحوله إلى تراكم نوعي[4]، فالحياة وموجوداتها لا تأتي على شكل قفزات لا سابق لها، بل هناك أشياء بسيطة، تكبر وتنمو حتى تشكل ظاهرة جديدة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 143.

[2] المصدر نفسه، ص 329.

[3] المصدر نفسه، ص 196.

[4] المصدر نفسه، ص 274.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشيوعيون، ومنهم كاتب السيرة، يتميزون بنظرة موضوعية نحو الواقع الذي يعيشونه، فالأحكام القطعية والنهائية، غير موجودة في سياستهم وفلسفتهم، فالأشياء الموجودة سواء كانت صحيحة أم خاطئة –نسبية في هذا التناقض الموضوعي، فهو يعرف أن "الصحيح والخطأ هما من الأمور النسبية المتناقضة والمتحركة في آن، في هذه الحياة، وأنهما ليسا كعلم الحساب"[1].

ولأن الحزب الشيوعي يدافع عن الطبقة العاملة، فلا بد أن يعبر صاحب السيرة عن هذه الثقافة الحزبية المنحازة إلى طبقتها حيث "أن العمال يجدون دوما لغة طبقية مشتركة"[2] كما أن الحزب الشيوعي لا يؤمن بأن التاريخ من صنع الأبطال والملوك، بل من صنع الطبقة العاملة، صانعة الأحداث ومحققة المعجزات، "فزمن الأنبياء والبطل الفرد قد ولى، وأن عصرنا، هو عصر الإنسان العامل العارف قدر نفسه"[3].

وتعززت ثقافة الكاتب الماركسية في سفره إلى موسكو، ليدرس في معهدها الفلسفي مدة ستة أشهر[4].

"أهمية السيرة لدراسة دور حنا إبراهيم في الحركة السياسية"

تبرز السيرة دور صاحبها في الحركة السياسية في فلسطين منذ أيام الانتداب حتى اللحظة التي فرغ فيها من كتابة السيرة. ويستطيع القارئ أن يميز بين أدوار عديدة . فالفترة الزمنية التي عاش فيها صاحب السيرة تميزت بالأحداث الكبيرة، من ثورة العام 1936، إلى الوجود البريطاني فوق أرض فلسطين ، إلى الحرب العالمية الثانية، وكذلك أحداث العام 1948وسقوط فلسطين بأيدي اليهود.

---

[1] المصدر نفسه، ص 340.

[2] المصدر نفسه، ص 33.

[3] المصدر نفسه، ص 22.

[4] المصدر نفسه، ص 249.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"نشاطه السياسي قبل عام 1948"

إن الواقع السياسي في فلسطين قبل عام 1948 ، كان يتمثل بوجود الاحتلال البريطاني وبنفوذ الحركة الصهيونية التي تعمل بكل نشاط لجلب المزيد من المهاجرين اليهود . وقد ساعد الاحتلال البريطاني الحركة الصهيونية سياسيا وعسكريا، لتصبح قادرة على إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين. وبعد أن تأكدت الدول العربية من قرب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في منتصف أيار 1948، قامت هذه الدول بإرسال جيش الإنقاذ بقرار من "مجلس جامعة الدول العربية في تشرين الأول 1947، للحيلولة دون تشكيل حكومة يهودية في فلسطين وإرغام اليهود على الرضوخ للمطالب العربية"[1]. إلا أن الظروف السياسية والعسكرية التي أحاطت بجيش الإنقاذ لم تمكنه من القيام بمهمة تحرير فلسطين من الحركة الصهيونية وأطماعها، وهذا يعود إلى طبيعة الأنظمة القائمة التي لم تكن جادة كما لم تكن طبيعتها الاجتماعية وتكوينها وإرادتها، مع ارتباطاتها الخارجية"[2].

إن تشكيل جيش الإنقاذ وإرساله إلى فلسطين ، لم يدخل الطمأنينة إلى قلوب الفلسطينيين ، وهؤلاء كان لهم تجربة مع الزعماء العرب في إضراب العام 1936، فلم يقدموا للفلسطينيين شيئا، بل أسهموا في إنهائه، لأن لهم ارتباطات وثيقة ببريطانيا.

لم يقم جيش الإنقاذ بمعارك عسكرية ضد الوجود البريطاني وضد الحركة الصهيونية، بل اكتفى بمراقبة ما يجري ، وقد كان تأثيره سلبيا على أهل فلسطين ، حيث أصبح هذا الجيش يعتقل الشيوعيين، ويصدر أحكام الإعدام عليهم[3]. وبسبب سياسة القمع التي انتهجها هذا الجيش مع الفلسطينيين، اضطر الشيوعيون إلى العمل السري ، وقد كان حنا إبراهيم مع رفاقه في عصبة التحرر الوطني يداومون على الاجتماعات السرية لينظموا نشاطهم السياسي، وقد دفعتهم ظروف القمع إلى التمويه على نشاطهم، وذلك بأن جعلوا خال حنا إبراهيم يمتهن التجارة ، ليكون صلة وصل بين خلاياهم.

---

[1] هاني الهندي، جيش الإنقاذ، منشورات شمس، ط 2، 1992، ص 31.

[2] المرجع السابق، ص 32.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 82.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعات الحزبية، وكان جيش الإنقاذ يقوم بمطاردته لأنه مع الشيوعيين كانوا يوزعون المنشور السري، الذي أصدروه بعد قرار تقسيم فلسطين في العام 1947. فالوشاية التي وصلت إلى قيادة فوج جيش الإنقاذ، تبين أسماء أربعة من الشيوعيين الذين وزعوا المنشور، وهم: رمزي خوري وجمال موسى ونديم موسى وحنا إبراهيم[1].

وتعرض حنا للاعتقال على يد جيش الإنقاذ، بسبب نشاطه السياسي في عصبة التحرر الوطني، وكاد الحاكم العسكري يصدر عليه حكما بالإعدام، إلا أنه خفف لتدخل الوجهاء والوسطاء، بحكم الإقامة الجبرية[2] وإثبات للوجود في مركز شرطة مجد الكروم.

"نشاطه السياسي أثناء وجوده في الحزب الشيوعي"

تظهر سيرة الكاتب انتماءه للحزب الشيوعي، فهو لا يخشى مسؤول المهمات الخاصة في مركز الشرطة، والذي يعد عدوا قوميا لما يمثله من قمع الاحتلال وبطشه. وقد كان المسؤول تلميذا لحنا إبراهيم الذي عمل معلما في مدرسة الشرطة الفلسطينية في بيت لحم في فترة الانتداب. فالمسؤول اليهودي يحاول إقناع صاحب السيرة بترك الحزب الشيوعي[3]، إلا أن حنا إبراهيم يرفض طلب ذلك المسؤول. ويظهر حنا إبراهيم حريصا على تزويد رفاقه في القرية بصحيفة الاتحاد، التي تعد مصدرا مهما للثقافة الحزبية عند الشيوعيين.فهو يخرج إلى كفر ياسيف ، ليحضر منها خمسة أعداد من الصحيفة، ليكون الرفاق على علم بما يحدث وبرأي الحزب به. ويقوم صاحب السيرة بنشاطه السياسي في أثناء العطل، فهو لا ينام إلى وقت متأخر من يوم العطلة، بل يقضي ذلك اليوم في بيع مطبوعات الحزب، والقيام بالنشاط الحزبي حتى يأخذ منه التعب كل مأخذ[4].

ولم يكن الكاتب ليشعر بالسعادة، إلا عندما يجد نفسه مشغولا في شؤون الحزب، والاهتمام بزيادة الأصدقاء والمناصرين له، حيث يرى نفسه بذلك منتجا وفاعلا. فالنوم ليس من صفات الشيوعي، وكان حنا ينفق الليالي ويضحي من أجل الآخرين، بل كان العمل

[1] المصدر السابق، ص 83.

[2] المصدر نفسه، ص 84.

[3] المصدر نفسه، ص 63.

[4] المصدر نفسه، ص 203.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من صفات الشيوعي، وكان حنا ينفق الليالي ويضحي من أجل الآخرين، بل كان العمل والمزيد من العمل ديدنه، حتى أن عوزي بورشطاين سكرتير اتحاد الشبيبة الشيوعية[1]، امتدح ما قام به حنا من نشاط حزبي في البعنة.

واعتنى حنا إبراهيم بنشاطه السياسي في الحزب الشيوعي أشد العناية، وحدث مرة أن كان يحضر اجتماعاً ففتق سرواله ولم يتأثر حنا لذلك[2]، وحدث هذا عندما كان ذاهباً مع رفيق له إلى قرية نحف، للإعداد لاجتماع شعبي لدعم الحزب الشيوعي وتأييده. فالواقع المادي السيئ، حيث الفقراء لا يملكون الملابس العادية ليلبسوها، دفعه للتوحد في حياة الحزب.

ومن مظاهر نشاط الكاتب السياسي، اشتراكه في لجنة تجري مفاوضات مع الملاكين[3]، الذين يعمل عندهم العمال في قطف الزيتون. حيث أن استغلال الملاكين للعمال، دفعهم لإنشاء هذه اللجنة، لتدافع عن حقوقهم، فتطالب بتحسين أجورهم، وهذا الشكل من النشاط السياسي للكاتب، ينسجم مع الشكل النضالي السلمي، الذي يتميز به الحزب الشيوعي، الذي "ينطلق في نضاله من أجل الأهداف التي وضعها في دستوره من العمل الجماهيري العلني القائم على الشرعية القانونية، ويتركز هذا العمل ضمن العمل البرلماني والنقابي والاتحادات المهنية الأخرى، وهم بذلك يعتمدون على هذا العمل العلني في إزالة إسرائيل الصهيونية الطبقية من أجل إسرائيل الاشتراكية"[4].

كما أن حنا يشترك في العرائض، التي كان الشيوعيون يقدمونها إلى الحكام العسكريين، لتحقيق إنجازات مطلبية حياتية، للعرب الفلسطينيين في منطقة 1948 .

حيث أن الجنود يقومون بعد احتلال القرية، باعتقال عدد كبير من الشباب. وقد أسهمت ظروف الحكم العسكرية المفروضة، بمنع أغلب الناس، ممن لهم أبناء معتقلون، من التوقيع على العرائض التي حملها الشيوعيون، ومنهم الكاتب الذي يتحدث عن تجربته مع الفلاحين في القرية، حيث أظهروا تردداً وخوفاً من التوقيع على العريضة[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 167.

[2] المصدر نفسه، ص 158.

[3] المصدر نفسه، ص 148.

[4] جبريل محمد وزميلاه، فلسطينيو 48 نضال مستمر 1948-1988، ط 1، 1990، ص 203.

[5] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 127.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يتخل كاتب السيرة عن الاشتراك في المهمات الصعبة، حيث يعد إنجازها، انتصاراً لإرادته، الفولاذية، التي لا تعرف الكلل، على الرغم من صعوبة الظروف المحيطة والمخاطر الكبيرة على حياته. فعندما قرر مختار البعنة وأهلها[1]، أن يوسطوا أحد وجهاء الدروز لدى الحكام العسكريين، وكتبوا رسالة إليه، كلفوا حنا إبراهيم بحملها، ليلاً، إلى قرية يركا الدرزية.

وقد كان لنشاطه السياسي في الحزب الشيوعي، آثار سيئة على حياته الخاصة، حيث أن الحكام العسكريين بقوانينهم، يمنعونه من السفر والتنقل، فهم يحرمونه من التصريح الذي يمنحه الحرية في السفر. إلا أن عسف الحكام، لم ينل من صلابته. فالبطالة واتساع حجم العائلة انتصر عليهما بفلسفة خاصة به، حيث زاد من نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي وفي لجنة الدفاع عن أراضي الشاغور[2].

كما أن شركة البناء الإسرائيلي التي عمل فيها قامت بفصله، لموقفه السياسي، على الرغم من القدرة المهنية التي امتاز بها. فجهاز الأمن في إسرائيل، يضغط على المسؤولين في الشركة لطرده من العمل، ليجبره على تغيير مواقفه. إلا أن هذه الإجراءات التعسفية، فشلت ولم تتمكن من إجباره على ترك الحزب، الذي يكشف الممارسات الصهيونية التي تهدف إلى تجويع عائلته وملاحقته[3].

ويبوح كاتب السيرة بمحاولة والده إقناعه بعدم جدوى عمله السياسي[4]، حيث طلب إليه أن يعمل في مهنة تعود عليه بالفائدة، إلا أنه رفض نصيحة والده، وبقي متشبثاً بالحزب والنشاط السياسي، وحاول أن يقنع والده بجدوى عمله، وذكّره بما قام به الوالد من نشاط في ثورة 1936.

ولم يتخل الكاتب عن المجتمع العربي الذي يعيش فيه، فالمشاكل الاجتماعية التي تحدث، تقض مضجعه، وتجعله يبذل كل ما لديه من جهد، لتحقيق المصالحة الاجتماعية في القرى العربية، وخاصة عندما تكون المشكلة قاسية، ويكون لها تأثيرات سلبية كبيرة، إن

---

[1] المصدر نفسه، ص 101.

[2] المصدر نفسه، ص 215.

[3] المصدر نفسه، ص 256.

[4] المصدر نفسه، ص 225.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرى العربية، وخاصة عندما تكون المشكلة قاسية، ويكون لها تـــأثيرات ســلبية كبــيرة، إن تركت دون حل، وهذا يتفق وطبيعة الفكر الشيوعي، الذي يواجه المشـــكلات، ويعمـــل علـــى استئصالها من جذورها. ولا يتم هذا إلا بتوجيه جاهة من شخصيات عربية لها تأثيرهـــا، فقـــد كان الكاتب أحد من تم استدعاؤهم عندما قتل شاب من جولس في ملعب كرة القدم فـــي كفـــر ياسيف[1].

وتبرز سيرة الكاتب، طبيعة النضال السياسي والبرلماني، التي تميز الحزب الشـــيوعي الإسرائيلي، حيث أن الظروف الموضوعية والذاتية للحزب، تفرض عليه هـــذا الشـــكل مـــن النضال، لينسجم موقف الحزب مع نضال الشيوعيين، الذين يطمحون إلى تحقيـــق إنجـــازات مطلبية، للطبقة التي يدافعون عنها. لذلك لم يكن في برنامجهم السياسي أن يصلوا إلى الســـلطة والحكم، بل يقبلون تقاسمها مع الأحزاب الصهيونية الحاكمة. لكن طبيعة الحياة السياسية فـــي إسرائيل لم تمكن الشيوعيين، من الوصول إلى هذا الإنجاز. فحنا إبراهيم، يتعـــب ويكـــد فـــي الإعداد للانتخابات البرلمانية، من أجل وصول الحزب، إلى أكبر عـــدد مـــن الأعضـــاء فـــي الكنيست. وقد كان لذلك النشاط تأثير سلبي على صحة الكاتب حيث هزل جسمه وأصبح يشعر بخفقان القلب[2].

وكان حنا يشترك في المظاهرات العمالية التي طالبت بتوفير العمل والخـــبز للعمـــال وعائلاتهم. وقد حدث ذلك عندما كانت البطالة منتشرة في صفوف العمال[3]، ووجد الشيوعيون، ومنهم حنا، فرصتهم، ليطالبوا بتحقيق إنجازات مطلبية. كما أن حنـــا إبراهيـــم يشـــارك فـــي المظاهرات العمالية بمناسبة الأول من أيار، حيث إن الأحزاب الشيوعية وأعضاءها، يعـــدون هذا اليوم من أفضل أيامهم، فيحرصون فيه على إجراء المظاهرات التقليدية، التي كان يقيمـــها الحزب في حيفا وعكا[4]. وقد كان الأطفال والنساء يشتركون فيها. وقد كان للحزب الشـــيوعي تأثيره على صاحب السيرة، حيث أصبح يقدم مصلحة الآخرين على مصلحته الخاصـــة. وقـــد حدث هذا عندما أخبر إبراهيم، ابن صاحب السيرة، والـــده بقبولـــه للدراســـة فـــي الاتحـــاد السوفييتي، حيث لم يتلق الخبر بالفرح الكبير، لأن هناك شاباً آخر من رفاق الحزب، لم يقبـــل، على الرغم من تقديمه طلب التحاق بشأن الدراسة قبل عام. ولذلك فإن حنا إبراهيم حـــاول أن

---

[1] المصدر نفسه، ص 307.

[2] المصدر نفسه، ص 267.

[3] المصدر نفسه، ص 143.

[4] المصدر نفسه، ص 166.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقدم الشاب الآخر على ابنه، حتى لا يتهم بالتحيز، ولا يتهمه الناس بأنه يدير النار إلى قرصه[1].

"اختلاف حنا إبراهيم مع الحزب"

على الرغم من الزمن الحزبي الطويل الذي قضاه حنا إبراهيم في الحزب الشيوعي، وقد زاد عن أربعين عاماً، في ظروف بالغة الصعوبة، وكان لها تأثير كبير على حياته الشخصية. إلا أن التضحيات التي قدمها لم تجد لها صدى، لدى قادة الحزب. فقد تعامل هؤلاء القادة معه بطريقة سلبية، وبمزيد من قمع الحرية، فعندما يسأل عن عدد المحترفين في الحزب، لم يحظ بجواب، ولم يرحب بسؤاله، على الرغم من أن الأمر مفضوح لدائرة الضريبة[2].

وينقد الكاتب في سيرته أساليب عمل القيادة الحزبية في المؤتمرات، حيث إن القادة، لهم كامل الوقت في الحديث، بينما لا يعطى الأعضاء غير القياديين، إلا زمنا محددا وقصيرا، ولم يعجب هذا الأسلوب صاحب السيرة ولم يسكت عليه، وظل يصرخ في وجوه القادة، الذين لا يستمعون إلى ما يقوله، مما اضطره إلى أن يقاطع مؤتمرات حزبية لاحقة[3].

وتظهر السيرة قادة الحزب بصورة من يتقنون القمع الفكري، ولا يسمحون بحرية التعبير الصحفي، وقد ظهر هذا عندما عمل حنا محرراً في صحيفة الاتحاد، حيث أن المطلوب هو تلبية رغبات القادة[4].

وقد خبت حماسته في تأييد الأحزاب الشيوعية، بعد عودته من الاتحاد السوفيتي، حيث إن نظرته السياسية قد نضجت، ولم يعد كل ما هو موجود في ذلك البلد إيجابياً، بل إن الناس الذين استمعوا إليه عند زيارته الأولى لذلك البلد، وجدوا تغيرا في نظرته، فأصبح ينتقد النواقص والعيوب، مما جعل الشيوعيين يغيرون نظرتهم إليه، ويشطبون اسمه من قائمة

---

[1] المصدر نفسه، ص 258.

[2] المصدر نفسه، ص 282.

[3] المصدر نفسه، ص 284.

[4] المصدر نفسه، ص 274.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أهمية السيرة لدراسة الحركة الأدبية في فلسطين المحتلة"

تبرز لنا السيرة صورة عن الحركة الأدبية في المناطق المحتلة عام 1948 ، وتتمثل هذه في عدة مظاهر منها: تشكيل الحركة الثقافية ورموزها وأبرز أشكالها. كما تبرز لنا دور حنا إبراهيم نفسه فيها، باعتباره شاعرا وكاتب قصة.

وتركز السيرة على دور الشيوعيين في الحركة الثقافية، وذلك من خلال صحيفة الاتحاد ومجلتي الجديد والغد . لقد شجع الشيوعيون الأدباء الشباب وتبنوا مواهبهم الأدبية ، فهم في اجتماعاتهم كانوا يبرزون الأقلام الشابة التي غدا لها، فيما بعد، حضور بارز ومن أبرز الأسماء محمود درويش وسميح القاسم[1].

"دور الحزب في الثقافة"

تبرز السيرة الجنس الأدبي الذي يحظى بالاهتمام لدى العرب في منطقة 1948 بعد قيام إسرائيل. فالشعر الذي يتميز به العرب منذ العصر الجاهلي ، ما زال ضروريا في حياتهم في النصف الثاني من القرن العشرين، ولذلك فإن الحزب الشيوعي يسهم في الثقافة ، حيث يعدها مجالا من مجالات عمله، فهو يستقطب الشباب من المثقفين العرب ، وينمي لديهم المواهب الأدبية، ليتمكن هؤلاء من الصمود أمام التحديات الثقافية التي يمثلها المجتمع اليهودي. ولعل خير دليل لتشجيع الحزب للأدباء، قيامه بعقد المهرجانات الشعرية التي كان يحضرها المثقفون وغيرهم من الناس، ويشارك فيها الشعراء ، ليتواصلوا مع جمهورهم في المناسبات الوطنية التي تهم العرب وكذلك في المناسبات الحزبية الشيوعية مثل ثورة أكتوبر الاشتراكية.

غير أن الحزب الذي رعى الثقافة وشجع المواهب وفتح أبواب صحفه ومجلاته للكتاب، كان يمارس رقابة ذاتية تعزز ما يكون لصالح الشيوعيين، وتوقف ما يحسب لغيرهم من الأدباء. ولما كان حنا شيوعيا فقد أخضع الحزب كتاباته للرقابة، وحين كان يكتب عن مجموعات قصصية لأدباء ليسوا شيوعيين ولم يمدحوا في نصوصهم الشيوعيين، كانت كتابته

---

[1] المصدر نفسه، ص 203-204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمنع من النشر. من ذلك مثلا ما كتبه عن الأديب محمد علي طه ومجموعته "جسر على النهر الحزين"[1]، يوم لم يكن محمد علي طه قريباً من الشيوعيين، واللافت للنظر أن حنا إبراهيم ، بعد أن ترك الحزب، عاد وأعاد النظر في مواقفه من الكتاب الذين هاجمهم يوم كان شيوعيا، وهذا أمر طبيعي، بعد أن أصبح يكتب بتجرد وموضوعية، وبعيدا عن الالتزامات الحزبية التي كانت تفرضها الحياة الحزبية.

"مؤسسات أخرى غير الحزب"

شاركت في الحياة الثقافية في فلسطين 1948 مؤسسات ثقافية ذات أهداف اجتماعية، فهي تعرف الظروف الصعبة المحيطة بها، ولا تريد مواجهة مع السلطات الحاكمة، لأن أهدافها لا تتعدى القيام بالمهرجانات الثقافية التي تهدف إلى رفع مستوى الجمهور العربي ثقافياً واجتماعياً، ولا تقيم المهرجانات لخدمة أهداف سياسية، ولهذا فإن هذه المؤسسات وأعمالها لا تتصف بالانحياز إلى حزب، بل أن ما يهمها هو تقديم الخدمة الثقافية الاجتماعية لكل من يريد الانتساب إليها أو العمل من خلالها، ومن هذه المؤسسات نادي الأخوة العكي[2] الذي كان يستقطب الشعراء إلى المهرجانات التي كان يقيمها، كما أن جمعية الشبان المسيحية في الناصرة قامت بدور ثقافي واجتماعي، بعيد عن السياسة. ومن المؤسسات التي برز دورها في عقد الندوات والاجتماعات وتكريم الشعراء، مؤسسة الأسوار في عكا، والتي عمل صاحب السيرة فيها مدة من الزمن، ونشر على صفحات مجلتها" الأسوار" عدداً من أعماله الأدبية، كما أن سيرته الذاتية صدرت في طبعتها الأولى والثانية عن هذه المؤسسة.

وعلى الرغم من الدور الثقافي الذي قامت به المؤسسات غير الحزبية، إلا أنها كانت تعيق الثقافة أحياناً، خوفاً من السلطة الحاكمة التي كانت تريد لهذه المؤسسات العمل في الأمور الثقافية والاجتماعية، وتبتعد عن الثقافة الملتزمة بقضايا الإنسان العربي وهمومه، وقد حدث مثل هذا مع الشاعر عندما أراد أن يشارك في قصيدته "تحية يا أردن"[3] في المهرجان

---

[1] المصدر نفسه، ص 277.

[2] المصدر نفسه، ص 203-204.

[3] المصدر نفسه، ص 189.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقافي الذي أقامته جمعية الشبان المسيحية في الناصرة، حيث رفض المسؤول في الجمعية أن يلقي صاحب السيرة قصيدته لأنها تتحدث عن قضايا سياسية.

"أهمية السيرة لدراسة قصصه"

تفيد سيرة حنا إبراهيم دارس قصصه كثيراً، ذلك أنها تحيلنا إلى شخوص قصصه وموضوعاتها، وهي شخوص وموضوعات مستمدة من واقع الكاتب وبيئته، وهذا يضفي عليها سمة الواقعية، أي أن الكاتب يكتب عما هو موجود فعلاً، وانه لا يخترع ولا يشتط. ونستطيع، بعد قراءة السيرة، أن نربط بين ما ورد فيها وكثير من قصصه القصيرة.

يأتي حنا في السيرة على ما حدث معه يوم ذهب وزوجته، إلى مهرجان كبير، ليلقي قصيدة، غير أن عريف الحفل لم يستدعه لإلقائها، إلا عندما كان الناس يغادرون المكان عند منتصف الليل، مما أحدث إرباكاً له، وقفل راجعاً إلى البيت مع زوجته وهما حانقان على العريف جوزيف ذيب[1]، وهذا الحادث يتكرر في قصة "المطاردة"[2] حيث يذهب أسعد غانم ومريم مع مجموعة من الشباب والفتيات في شاحنة إلى المدينة لحضور احتفال جماهيري. ويخبر عريف الحفل الشاب أسعد، بأن دوره في إلقاء قصيدته، سيكون بعد أن ينتهي أطفال من مسرحية يقدمونها. وقد دفع هذا أسعد إلى أن يترك مريم، ويقف قريباً من عريف الحفل، ليسهل عليه الوصول إلى منطقة عرافة الحفل. وفي أثناء انتظار أسعد لإلقاء قصيدته، يقترب منه شاب أنيق الهندام ويطلب من أسعد أن يسمح له أن يتقدم عليه في إلقاء قصيدة له، ويوافق أسعد على طلب ذلك الشاب، ولكن عريف الحفل لم يدع أسعد إلى إلقاء قصيدته، إلا بعد أن صار الناس يغادرون مكان الحفل عند منتصف الليل، مما جعل أسعد حانقاً، وعاد مع مريم إلى القرية غاضباً لأنه لم يلق قصيدته من ناحية، ولم يجلس إلى جانب مريم من ناحية ثانية.

ومما ورد في السيرة ونجد شبيهاً له في القصص، قصة الإنسان الفلسطيني الذي أجبر على الخروج من قريته، ليعيش لاجئاً لا مال لديه، فيضطر للعمل عند يهودي، سيطر على

---

[1] المصدر نفسه، ص 224.

[2] حنا إبراهيم، الأعمال القصصية الكاملة، دار النشر العربي، بيت بيرل، ص 420.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرض آبائه وأجداده في قريته المهجورة، فتنهال عليه الذكريات[1]، فيبدو حزيناً بائساً لهول ما رأى، فبدلاً من أن يكون صاحب الحقل، يصبح عاملاً فيه بأجر.

لقد كتب حنا هذا في قصصه السابقة، وتحديداً في قصة "أخل بالأمن"[2] حيث أن الشخصية تعمل هنا في حقل والدها في القرية المهجورة، فتبدأ ذكريات الزمن الماضي تنهال عليها، فناظر العمل يأخذ هذه الشخصية مع عدد من العمال، للعمل في حقل زيتونهم الذي أفنى فيه والدها عمره، فاعتنى به عناية كبيرة، ولم يسمح لأبنائه أن يتعاملوا مع الأشجار بقسوة.

إن التشابه بين السيرة والقصة لم يكن تشابها تاماً، فثمة خروج عن السيرة، ففي السيرة كان الرجل الكبير، يعمل في حقل والده، وطلب من العامل الشاب أن يخفف من ضربه للزيتونة، بينما نجد أن العامل الشاب في "أخل بالأمن" يعمل في حقل والده وجده، وهذا يبين أن الكاتب لا ينقل الواقع حرفياً إلى أدبه القصصي، بل يجري تعديلات صغيرة عليه، ولا تتعارض هذه التعديلات مع جوهر أفكاره التي يريد الانتصار لها، ويدافع عنها، هذا عدا أن هناك فارقاً زمنياً بين كتابة القصة وكتابة السيرة وهذا الفارق ليس بالقليل، وربما يكون التغيير راجعاً إلى هذا السبب.

وقد كان لتبني الكاتب الفكر الشيوعي أثره في انحيازه للشيوعيين، ومن هنا فقد أصبغ عليهم صفة الجرأة والشجاعة. يأتي حنا في سيرته على نشاطات الشيوعيين ومنها توزيع المنشورات[3] عام 1948، وكانت هذه الجرأة قد أصبحت حديث الناس.

وقد انعكس هذا أيضاً في قصة " الوثيقة" التي نشرها الكاتب قبل كتابة سيرته. نقرأ في القصة الحوار التالي:

-"وهل قرأت المنشور؟

-أي منشور؟

-أنا ما قرأته. لكن يقولون أن الشيوعيين وزعوه بليلة واحدة في كل البلاد"[4].

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 105.

[2] حنا إبراهيم، أخل بالأمن، الجديد، العدد 3، شباط 1955، ص 21.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 81.

[4] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كان الكاتب شيوعياً فقد كان منحازاً لقضايا الشعب. يأتي في السيرة على ما يقوم به جيش الاحتلال من إغلاق منطقة يمتلكها الفلاحون العرب، لإجراء مناورات عسكرية عليها[1]، وما ينجم عنها من أضرار جسيمة عليهم وعلى ممتلكاتهم من المواشي والمزروعات، وذلك لفرض عملية تهجيرهم من الأرض.

وقد بدا هذا في قصة "أبناء العم: الجزء الأول" والاختلاف عما ورد في السيرة يبدو في ظهور شخصية أكرم الذي يحب وضحا ابنة علي دياب[2]، الذي وقع فوق منزل والدها قنبلة، أدت إلى إصابتها بجراح خطيرة، ولم تنجح محاولة أكرم في نقلها إلى الطبيب وتموت.

وتكشف السيرة عن حالة الفقر التي عاشها صاحبها وهو صغير، فتظهر لنا نوعية الحلوى التي كانت متوفرة لمن هم في مثل عمره، كما أنها تبين حرص الأهل على وضعها في مكان آمن، بعيد عن أيدي صغارهم، فالسكر[3] هو الحلوى التي تذوقها الكاتب صغيراً وبعيداً عن أعين الرقباء من الأهل. وقد تشابه منصور في قصة "رجل محظوظ" مع حنا إبراهيم، الذي كان يبحث عن السكر في صندوق أمه[4]، حيث وجده والده وهو يحاول الحصول على الحلوى المستورة، بعيداً عن يديه وعينيه. لم يحصل التطابق بين السيرة والقصة، بل هناك اقتراب لم يبلغ التساوي المطلق، فمنصور في القصة، كان يفكر في سرقة قرش ونصف ليذهب إلى نجار القرية، الذي كان يصنع بنادق خشبية للأولاد، ليستعرضوا بها أمام قائد الثورة في العام 1936، ولا يتناقض هذا مع واقع حنا إبراهيم، الذي كان والده أحد الثوار في تلك الثورة.

لقد كان لظروف الاحتلال الصعبة أثرها العميق في سيرة الكاتب، فالخوف الذي دفع الكثيرين للرحيل عن الوطن، لم يقل من عزم حنا الذي التزم بقضية شعبه، أن يبذل كل ما لديه من طاقة، لمنع الهجرة، فزوجة عمه سالم[5]، التي كانت تحزم أمتعة بيتها على جمل، رفض أن يقدم لها المساعدة، لتبقى في الوطن. وينسجم هذا مع أحداث قصته "الوثيقة" وشخصياتها، حيث تطلب امرأة من شاب، أن يساعدها في تحميل أمتعتها على جمل، لكنه

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 234-235.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 358-359.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 12.

[4] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 216-217.

[5] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 90.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وورد مثل هذا في قصة "الإسكاف"، حيث تظهر فيها شخصية لا تختلف عن رفيقه في عصبة التحرر الوطني[1]، جمال موسى. كذلك الحديث عن إقامة دولة يهودية في فلسطين، وضم القسم الباقي إلى الملك عبد الله، ليكون سهلاً على الاستعمار البريطاني، تنفيذ سياسته. وترد في السيرة شخصية الناطور[2]، التي كانت تقوم بدور إبلاغ أهل القرية، ما يطلبه منهم جيش الإنقاذ، حيث يؤمرون بالبقاء في منازلهم وإطفائها ليلاً، لأن في نية الجيش القيام بهجوم ضد المستعمرات اليهودية، إلا أن الهجوم لا يتحقق، بسبب خروج جيش الإنقاذ ليلاً دون قتال. وتتكرر شخصية الناطور[3] الذي ينادي ببيان عسكري على الفلاحين، في قصة "سومارا"، وكأن الكاتب حنا إبراهيم يقوم بذلك لتأكيد ما حصل من أحداث.

وظهرت في السيرة أحداث اليوم الأول لاحتلال القرية، حيث يأمر الضابط اليهودي الناس الذين تجمعوا في ساحة القرية، بالرحيل إلى سوريا وما رافق تهديده من صراخ الأطفال والنساء، وقيام أحد الجنود بإطلاق صلية من الرصاص في الهواء، لإرهاب الناس وإخافتهم، فيصرخ بهم قائلاً "يللا روحوا عَ سوريا عند الكوكجي"[4].

وورد هذا الحدث في قصة "خانة السيد"، حيث يقوم الجنود بجمع الناس على البيادر، ويقومون باعتقال عدد من الشباب، وقتل عدد آخر، أما الذين تبقوا فيأمرونهم بالرحيل إلى سوريا[5].

ولم يكن الحديث عن يوم الاحتلال الأول، وما عانى فيه أهل القرية، ليقتصر على قصة واحدة من قصص الكاتب، بل تكرر ذلك في قصة "الوثيقة" حيث قام الجنود بأسر الرجال، وطلبوا من النساء والشيوخ والأطفال النزوح إلى سوريا[6].

ويتكرر الحديث عن هذا اليوم الصعب في قصة "آباء وبنون"، وفيها يأمر الجنود الناس بالرحيل إلى سوريا[7].

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 383.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 86.

[3] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 227.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 87.

[5] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 351.

[6] المصدر السابق، ص 71.

[7] المصدر نفسه، ص 368.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا التكرار للفكرة الواحدة في أكثر من قصة، يوضح أنها فكرة أشـــغلت الكـــاتب وألحت عليه كثيراً، فترددت في ذهنه طويلاً، ولم يتمكن من التخلص منها، من خـــلال قصـــة واحدة. وجاء هذا التكرار بهدف التأكيد لما ورد في السيرة عن الفكرة ذاتها.

وتأتي سيرة الكاتب على معاناة أعداد كبيرة من الشعب الفلســـطيني، وخاصـــة ممـــن خرجوا في أيام الاحتلال الأولى إلى البلدان العربية المجاورة، أو ممن انقطعت بهم السبل قبـــل الاحتلال، ووجدوا أنفسهم مجبرين على العودة إلى بيوتهم وبلدانهم تسللاً، غير عـــابئين بمـــا يتهددهم من أخطار. ولم تكن معاناتهم لتنتهي بوصولهم إلى بيوتهم في فلســـطين، بـــل تبـــدأ مشاكلهم مع جنود الاحتلال، الذين يطاردونهم ويعتقلونهم، ويعيدونهم من حيـــث جـــاءوا، ثـــم يكررون عودتهم، فيعتقلون، وهكذا يعيشون ظروفاً قاسية إلى أبعد الحدود. وقد كـــان لقضيـــة التسلل والمتسللين[1]، نصيب كبير في أدب حنا إبراهيم.

ولم يختلف ما ورد في السيرة حول قضية التسلل مع ما ورد في قصة "متسللون"[2]، إلا في بعض الأمور الصغيرة، فالمرأة وطفلها ووالدها الشيخ الكبير يعتقلون، ويعتقل زوجها الـذي يقيم في القرية بتهمة إيواء متسللين، ثم تبعد المرأة وطفلها ووالدها ليلاً، فـــي جـــو عـــاصف وماطر، وتجد هذه المجموعة ذاتها، أمام بيت ســـارة اليهوديـــة، فـــي إحـــدى المســـتوطنات الحدودية، وتقوم صاحبة المنزل بإدخال المتسللين إلى بيتها، وتبدل ملابـــس الطفـــل المبتلـــة، وتساعد المرأة ووالدها على تجفيف ملابسهما، وتقدم لهم بعض الطعام، ثم يخرجان ويقتـــلان عند طرف المستوطنة.

لقد كان الفرق بين السيرة والقصة، في عدم وجود شيخ كبير في السيرة، بينما وجـــدت هذه الشخصية في القصة، كما أن السيرة تبين أن أحد الرفاق الشيوعيين، منع الجنود من إبعـــاد المرأة وأطفالها. وهذا يوضح أن الكاتب لم ينسخ ما ورد في السيرة من أحداث، ليعيده حرفيـــاً في قصصه، بل كان يطوّره ويحوّره باستخدام طاقاته الإبداعية الأدبية.

وتعرض السيرة لمجموعة من الشيوعيين تقوم بتوزيع صحيفة الاتحـــاد، فـــي إحـــدى القرى العربية في الجليل، حيث اعترض عمل المجموعة عدد من الأشخاص غـــير المؤيديـــن

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 116.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 74.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للحزب الشيوعي، وقد حاول هؤلاء الأشخاص، أن يعتدوا على موزعي الصحيفة، إلا أن رباطة جأشهم، حالت دون حدوث صدام بين المجموعتين. وبرز هذا من خلال الحوار الذي جرى بينهما:

- "أين الجريدة؟
- بعناها كلها.
- ثاني مرة ممنوع تبيعوا الجريدة في مجد الكروم"[1].

ويتفق هذا مع ما ورد في قصة "قصيدة لليوبيل الفضي"، حيث تقوم مجموعة من الشباب باستفزاز مجموعة من الشيوعيين، الذين كانوا يوزعون أعداداً من صحيفة حزبهم[2]. وتتفق سيرة الكاتب مع قصته "ريبورتاج متأخر" حيث يتم فيها ذكر قصة الأحكام والقوانين العسكرية[3]، التي تعمد إلى إغلاق مناطق من الأرض الزراعية، التي يمتلكها العرب، بقصد إجراء تدريبات عسكرية، ولا يسمح لأصحابها بدخولها إلا بتصريح.

وتعرض السيرة لمجموعة من الشيوعيين، كانت متوجهة إلى الناصرة، للاحتفال بذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية، إلا أن السيارة التي كانوا يستقلونها، تصاب بعطب[4]، مما أجبرهم على العودة إلى قريتهم سيراً على الأقدام، فحرموا من المشاركة في المهرجان، مما جعل مسؤولهم الحزبي في منطقة الناصرة، يصب عليهم جام غضبه، في لقائه الأول معهم، ولم تقنعه حجتهم. ولم يختلف ما جاء في قصة "المطاردة" مع ما ورد في السيرة، إلا بمشاركة بعض الفتيات والنساء في السفر بشاحنة[5]، بينما كان المشتركون في السفر –حسب ما جاء في السيرة– من أعضاء اللجنة المحلية في الحزب.

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 208.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 107.

[3] المصدر السابق، ص 204.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 219–220.

[5] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية، ص 418.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"السرد في السيرة"

إن أي نص سردي سيبقى ميتاً، إن لم يجد تأثيراً ومشاركة من الآخرين، ولن يكـــون هذا التأثير قائماً دون سارد. وتختلف صورة السارد في السيرة الذاتية عن صورته في غيرهـــا من النصوص السردية. فالسارد في الرواية والقصة كائن ورقي، يصنعه المبدع الروائـــي أو القاص، بينما السارد في السيرة، كائن حي لم يصنعه الكاتب، لأنه مخلوق من لحم ودم. وليس غريباً أن يقوم كاتب السيرة بأدوار متعددة، فهو السارد للأحداث والوقائع، كما أنه الشـــخصية الأساسية التي تتفاعل مع غيرها من شخصيات وأحداث، "فالمؤلف في هـــذه الحـــال، يكـــون الراوي والشخصية المركزية، مدار تفاعل الوقائع والعلاقات وتحولات الأفكار"[1].

ولا يغير من واقعية السيرة، لجوء صاحبها إلى اختيار لحظات زمنية وأحداث معينـــة، ليكتب عنها دون غيرها، فعمل الكاتب هنا ليس آلياً، تترتب فيه الوقائع والأحداث كما حصلـــت عند حدوثها، بل إن صاحبها يهدف إلى "الاختيار والتركيز والتصنيف، ومتابعة خط ذي دلالـــة معينة، في حياة الإنسان"[2]. ولا نستغرب قيام صاحب السيرة، بتغليف أحداث الواقـــع بخيالـــه المحلق، ليضفي الصفة الأدبية على كتابته، التي لا ينقص من قيمتها مـــزج بعـــض وقائعـــها بالخيال، حيث "إن ما يصرح به الفنان ، ربما لم يكن مما حدث له، بل مما يحلم به ويتمنـــاه"[3]. وقد لجأ الكاتب إلى استخدام الخيال في سيرته، عندما يسرد لحادث إنقاذه فتـــاة مـــن شـــاب[4]، حاول الاعتداء عليها، مما أفسح له المجال لزيارة أهلها، إلا أنه أفاق، في نهاية حديثه، علـــى شمس الواقع التي بددت أحلامه.

لقد كان صاحب السيرة يحمل وجهة نظر فلسفية شكلت وعيه السياسي، حيـــث وجـــد تعبيراً لهذا الوعي في الانتماء للحزب الشيوعي. وكانت الأحـــزاب الشـــيوعية تعـــد مبادئـــها وآراءها في الحياة بأنها غير قابلة للدحض، وليس عجيباً، أن يرى الشيوعي في آرائه صلاحـــاً للمجتمع الإنساني بأكمله، فهو يعرف أسباب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وغيرهـــا، وأن حلها موجود لديه. فالسارد في السيرة الذاتية هنا شيوعي، وهو الكاتب والشخصية المحوريـــة

---

[1] صدوق نور الدين، سير المفكرين الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 15.

[2] نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، ص 137.

[3] إحسان عباس، فن السيرة، ص 81.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 51.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تدور من حولها الشخصيات الأخرى، فهو كلي المعرفة، ولا تغيب عن وعيه كبيرة ولا صغيرة، وهو يبدي آراءه في القضايا المختلفة، فيبدو منها موافقاً أو معارضاً أو معدلاً، وهو يهدف "لفرض ما يريد التوصل إليه"[1].

وتكثر تدخلات صاحب السيرة وتعليقاته على الأحداث، ومنها قوله "فراحوا ينشدون الأممية ونشيد الأنصار –وكانوا تعلموا ذلك في المعتقل، على يد جمال موسى، وإن يكن ليس بالطريقة المثلى–، وتقدم منهم جندي وهم ينشدون"[2]. ويظهر سارد السيرة معرفته الكلية بالأحداث والتعليق عليها، وعدم غياب حدث دون معرفة تامة به، وقد حدث هذا عندما عجز العمال عن إدخال المطبعة الكبيرة إلى مخزن، مما جعل المقاول يطلب مبلغاً "لا تتحمله ميزانية المطبعة (وذكر رقم 7 آلاف ليرة) هذا إذا قبلوا بالعمل على الإطلاق"[3].

ويتصف سارد السيرة بالانحياز إلى وجهة نظره الفلسفية والسياسية، فالشيوعيون – قبل اختلافه معهم– يتسمون بالسمات الإيجابية، التي تفرقهم عن غيرهم، ولا يشاركهم فيها الآخرون. فالمحامي الشيوعي الذي دافع عن المتسللين والمعتقلين وأصحاب الأراضي التي تغلقها السلطات وتصادرها، يختلف عن غيره من المحامين، فهو طيب الذكر[4].

كما ويظهر انحياز الكاتب، حينما يتحدث عن النقيض لفكره وآرائه، فينعت معارضه صفة جديدة زيادة على اسمه، الذي يعرف به، فالأردن يصبح المملكة الهاشمية العميلة[5].

ويستمر موقفه المنحاز، عندما تحدث عن الشرطي الذي حضر إلى حفل زواج أحد الشيوعيين لاعتقال أحدهم، حيث وصفه بكلب الأثر الذي يستخدم عادة في المتابعة والتفتيش عن شيء مفقود[6]. لقد كان صاحب السيرة كبيراً في السن عند كتابتها، فقدم فيها عصارة جهده الحياتي، وهذا يعد إنجازاً إيجابياً، ليتمكن به من إشراك الآخرين في تجربته، إلا أن كثيراً من الأمور تبدو غير واضحة في ذهنه بعد مرور زمن طويل على حدوثها. وعندما أراد صاحب

---

[1] صدوق نور الدين، سير المفكرين، ص 106.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 119.

[3] المصدر السابق، ص 268.

[4] المصدر السابق، ص 150.

[5] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 73.

[6] المصدر السابق، ص 61.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيرة، ان يستعيدها، وجدها باهتة في ذهنه، وكأنها حلم بعيد يصعب جمعه. وبسبب أهميتها وإعادة كتابتها في سطور، ونتيجة للبعد الزمني بين زمني الأحداث والكتابة، لم يجد حنا إبراهيم إلا الذاكرة ملجأ، يستخرج منه ما هو ضروري لعملـه الكتـابي. إن كـاتب السـيرة يستطيع أن يحمي عمله الكتابي من الذاكرة الخدّاعة، لو كان يقوم بتسجيل الأحداث والوقـائع اليومية. إلا أن حنا إبراهيم لم يسمح للذاكرة الخدّاعة بالتغلب عليه، وذلك بعودته إلـى رجـل شيوعي كبير، هو خليل خوري، حيث قام الأخير بسرد فصلين من سيرة حنـا الذاتيـة، ممـا أنعش الذاكرة لدى الكاتب، وجعلها تستعيد نشاطها. أما الفصلان اللذان سردهما خليل خـوري فهما: "حكاية خوري البروة" من صفحة 21-38 و "فتوى" من صفحة 39-46، وأسهم ذيـب زريق، وهو من الشيوعيين، في سرد غالبية الفصل "وغيرنا لم يكن أوفر حظاً" مـن صفحـة 95-98. إن وجود مراجع لكاتب السيرة ستعود عليه وعلى كتابته بالفوائد الجمـة، فيتخلـص من التناقض الذي تسببه الذاكرة الخدّاعة، حينما يواجه معضلة في ترتيب الوقـائع والأحـداث "فكاتب السيرة لا بد له من مذكرات ورسائل وشهادات من الأحياء -أحياناً- يعتمد عليها فـي كل خطوة، وكثيراً ما تعوزه الشواهد في أدق المواقف"[1]. ومن مواقف الذاكرة الخدّاعـة فـي السيرة، موقف أهل البعنة، الذين اجتمع رأيهم على إرسال رسالة إلى شيخ الطائفة الدرزية فـي يركا، ليطالبوه بالتوسط بينهم وبين الحاكم العسكري، ليقوم الأخير بتعديـل معاملتـه القاسـية ضدهم. فاستخدام الكاتب لجملة "ولا أذكر جيداً"[2] وجملة "أو أننـي تطوعـت لـها"، يتنـاقض والسارد الكلي المعرفة، الذي لا يخفى عليه شيء، حتى وإن كان ذلك في قلـوب الأشـخاص الذين يتحدث عنهم. وعلى الرغم من طبيعة السارد، إلا أن الذاكرة لم تسعفه، في التحقق مـن زمن فرصة غير عادية[3]، أتيحت له عندما كان عضواً في الحزب السيوعي، حيث شارك فـي سفر إلى الخارج، لحضور أحد المؤتمرات.

وصاحب السيرة يعترف أنه أخطأ، عندما ذكر أن انتسـاب سـميح القاسـم للحـزب الشيوعي، يعود إلى العام 1958، بينما كان هذا الانتساب للقاسم في الخـامس مـن حزيـران 1967، ولذلك فصاحب السيرة يشكر نبيه القاسم[4]، الذي اكتشف هذا الخطأ، في الجـزء الأول من سيرته.

---

[1] إحسان عباس، فن السيرة، ص 71.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 101.

[3] المصدر السابق، ص 246.

[4] المصدر نفسه، ص 194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يخجل حنا إبراهيم من قول الحقيقة، حينما أراد أن يكتب سيرته، فيعترف أن الذاكرة لم تسعفه في تفاصيل كثيرة ، ودفعه ذلك إلى أن يعتمد على ما تخزنه ذاكرات الآخرين من رفاقه الشيوعيين، من أمثال خليل خوري[1].

وقد كان صاحب السيرة موضوعيا في قضية الذاكرة الخداعة، والتي تعد صفة يشترك فيها الناس جميعا، فالنسيان صفة إنسانية في الأزمنة المختلفة، وتظهر موضوعيته في استهلال سيرته ببيت أبي نواس:

وقل لمن يدعي في العلم فلسفة علمت شيئا وغابت عنك أشياء

وقد استخدم كاتب السيرة "تقنية الأرجاء"[2] في سرده لبعض الأحداث والوقائع، وقد قام بهذه الوسيلة ليتمكن من شد انتباه القارئ ليبقى يقظا، وذلك لأن نهاية السرد عن الحدث المقصود لم تأت بعد. كما أنه بهذه الطريقة السردية، يهدف إلى تشويق القارئ غير الناضج وكبح فضوله. ومن ذلك قصة إضراب عمال المخابز في حيفا، أيام الانتداب البريطاني، حيث أن أحد العمال الذين كانوا يقومون بإضراب لتحسين ظروف عملهم -كان لبنانيا- لم يشارك زملاءه نضالهم المطلبي. لكنه بعد مضي زمن، يلتقي السارد، خليل خوري، مع العامل اللبناني، والذي أصبح يخدم في مركز حدودي في جيش الإنقاذ، فيقدم العامل المساعدة لزميله خليل، ثم لم يحدث أن ورد ذكر للقائهما، فأصبح خليل خوري جزءا منفصلا من الشعب الفلسطيني، ليحمل الهوية الإسرائيلية، وأصبح لذلك قصة معقدة[3]، فهذه القصة ستكون جزءا من حياة الشعب الفلسطيني مستقبلا.

كما يظهر السرد المؤجل في السيرة، بعد أن تمكن عمال المخابز الانتصار في قضيتهم العادلة، وتمكنوا من تحقيق إنجاز كبير بتقليص ساعات العمل من اثنتي عشرة ساعة في اليوم إلى ثماني ساعات، فزاد عدد الفرق العاملة في اليوم إلى ثلاث. لكن نضالهم لم يتوقف،بل زاد نضالهم وصراعهم مع إدارة المخابز، لتحقيق إنجازات أخرى، وقد ظهر الإرجاء في قوله "ولكن الصراع لم ينته وللقصة بقية"[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 20.

[2] صدوق نور الدين، سير المفكرين الذاتية، ص 56.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 46.

[4] المصدر السابق، ص 40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقوم كاتب السيرة "بكسر الترتيب المتنامي بإعلان استباقات"[1]، حيث يسرد بشكل ومضات سريعة، ثم يأتي السرد عن الأسباب مفصلاً، كما في حديثه عن أبيه الذي ضبطه وهو يدخن، حيث يعود إلى تفسير وتوضيح خلو البيت من أهله[2]، وبحثه عن السكر، الحلوى الوحيدة آنذاك، لكنه وجد تبغاً، مما دفعه إلى أن يجرب التدخين.

ولم تخل السيرة، من مظاهر الحذف السردي، حيث أن هناك أحداثاً جرت، ولا يوجد سرد لها. فعندما كان يسرد لأحداث العام 1973، حيث تمكن شارون من عبور قناة السويس، قام الكاتب بكتابة جملة "وكان ما يعرفه كل إنسان"[3] والتي قد تعني حذفاً سردياً لأحداث وقعت آنذاك، وقد تكون مدخلاً لمناقشة القارئ المفترض، فحنا إبراهيم يفترض في قراء سيرته المعرفة التامة لأحداث المعركة والحروب بين العرب واليهود. وبالتالي فإن الكاتب يكتب لقارئ يعرف ما يدور حوله.

أما السرد في السيرة، فيختلف من فصل لآخر، فهنا نجد فصلاً لا يزيد عن صفحة واحدة، وفصلاً يطول إلى صفحات عديدة. وهذا التمايز في سرد الفصول يعود إلى قضية الاختصار من ناحية، وامتلاء لحظات زمنية بأحداث كثيرة، وفقر لحظات أخرى من الأحداث، ففصل "حكاية خوري البروة" يمتد سرده من صفحة 21-38 في الجزء الأول ، و "الفصل السادس عشر" يمتد السرد فيه من صفحة 313-336، وفصل "الحركة التعاونية" في الجزء الأول يمتد على صفحة 153 وحدها، بينما "الفصل الأخير" في الجزء الثاني، يمتد من صفحة 346-348.

وقد استخدم الكاتب تقنية التكرار "ليخدم النص السريع ويوسع آفاقه"[4]، وقد لجأ إلى هذا الشكل في السرد، عندما تحدث عن مدير الشرطة البريطانية، الذي دعا رجال الشرطة من العرب، في مركز مدينة عكا، قبيل منتصف أيار عام 1948، ليعطي كل واحد منهم بندقية ومائتي طلقة[5]. وقد تكررت "ليعطي كل واحد منهم بندقية ومائتي طلقة" في مكانين من السيرة.

---

[1] صدوق نور الدين، سيرالمفكرين، ص 74.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 11.

[3] المصدر السابق، ص 272.

[4] صدوق نور الدين، سير المفكرين، ص 144.

[5] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 68،70.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لجأ حنا إبراهيم إلى استخدام الرسالة أسلوبا في سرد الفصل السادس عشر من الجزء الثاني من سيرته.وقد جاء استخدام هذا الأسلوب موفقا،بسبب القطيعة بين صاحب السيرة وقادة الحزب الشيوعي، حيث أن عدم الثقة كان سائدا بينه وبينهم، وذلك بسبب ما كتبه جمال موسى عضو قيادة الحزب في صحيفة الاتحاد، ضد صاحب السيرة. وقد تبادل حنا إبراهيم الرسائل مع مراتب الحزب وهيئاته المختلفة،كما أن هناك هيئات حزبية تبادلت الرسائل بشأن قضية حنا.

ولم يستخدم الكاتب الرسالة في السرد وحسب، بل استخدم البرقية مخاطبا فيها وزير الدفاع ورئيس الحكومة في إسرائيل[1]، عند اعتقال رفيقيه، رمزي خوري ونديم موسى.

"اللغة في سيرة حنا إبراهيم الذاتية"

تبرز شخصية كاتب السيرة في سرد الأحداث والتعليق عليها، والعلاقة التي يقيمها مع الشخصيات الأخرى. وهذا لا يتم إلا باللغة، حيث إنها الواجهة الإعلامية للسيرة. وتجعل القراء يلتفون من حول السيرة أو أن تنفرهم فتحرم السيرة بتجاربها الإنسانية من القراء . فالقارئ يعلم أن ما يقرأه، هو حصيلة كائن إنساني، وليس من شخصية ورقية، صنعها المبدع الأدبي. وتظهر في سيرة حنا إبراهيم مستويات لغوية متنوعة، حيث نجد لغة السارد الكاتب الذي يحاول أن يبدي اهتماما بلغة سيرته، لتكون مفهومة عند فئة المثقفين من القراء، وقد ظهرت اللغة السردية في السيرة، على قدر معين من الفصاحة في المواقف الإنسانية الصعبة،حيث إن الموقف يفرض على الكاتب أن يعبر بلغة رفيعة، ومن ذلك سرده حياة عائلة ريفية، حيث تعتقل السلطات ولدين من أولاد تلك العائلة، متهمين بالتسلل، كما يسرد وضع تلك العائلة ذاتها زمن الانتداب، حيث انفجرت قنبلة من مخلفات الجيش البريطاني بولدين من أولادها، فيصف حال الوالدين اللذين كادا يفقدان عقليهما، بسبب هذا الواقع الصعب، حيث" لم يكن مر وقت طويل على إلمام كارثة فادحة بذلك البيت، حين جمع الوالدان أشلاء ولديهما الآخرين في كيس، بعد أن مزقتهما إربا إربا، قنبلة من مخلفات الجيش البريطاني"[2].

---

[1] المصدر السابق، ص 131.

[2] المصدر نفسه، ص 113.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر لغة السرد في السيرة خارجة عن دلالتها المعجمية، ومتضمنة معنى انزياحيا، حيث إن الجاهلية، كما يفهمها العرب، لها دلالة تاريخية ، تعود إلى الفترة الزمنية التي سبقت الاسلام، يمارس فيها العرب سلوكا شاذا في شؤونهم المختلفة . فعبادة الأصنام تميز بها القوم في تلك الفترة، كما أن التعصب القبلي كان يجمعهم، والحروب والغزوات تدور رحاها سنوات طويلة. ولقد عبر أحد الجاهليين عن ذلك شعرا فقال:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[1]

إن ثقافة حنا إبراهيم التاريخية والأدبية، جعلته يفيد من مفهوم "الجاهلية" الأول، ليصبح هذا المفهوم قادرا على استيعاب موقف الكاتب الذي انحاز بشكل أعمى إلى موقف الحزب الذي يدافع عنه، ويرى الابتعاد عن مواقفه ومبادئه جريمة لا تغتفر. إلا أن الكاتب تغير موقفه، بعد أن ترك الحزب وأصبح ينظر إلى الأمور بصورة مختلفة، مما جعله يطلق اسم "الجاهلية" على الفترة التي كان فيها تحيزه مطلقا للفكر الشيوعي، أي أن الكاتب يعترف فيقول:"وأنا بالذات كتبت في أيام –الجاهلية– متهجما على الكاتب الروسي سو لجنيتسين"[2] وتظهر في لغة السرد ألفاظ الريفيين ، وليس غريبا على كاتب السيرة الذي يعيش في الريف، فيسمع الألفاظ والتعابير التي تجري على ألسنة البسطاء، فتبدو هذه الألفاظ مختزنة لتجاربهم وحكمتهم، مما جعلهم يسمون الشمس، عباءة الفقير[3]. فالعباءة التي حرم منها الريفي، تمنحه إياها الشمس التي تشعره بالدفء.

لكن حنا إبراهيم الكاتب الملتزم بقضايا شعبه، يبدي اهتمامه لإبراز الفكرة أكثر من اهتمامه بلغتها. لقد كان لعناية الكاتب بفكرته–أحيانا– تأثير سلبي على لغة السيرة، فبدت فيها ألفاظ ضعيفة في مستواها، إلا أنها هفوات تناثرت في مواقع متعددة ، ولم تتمكن من تحطيم مستوى لغة السيرة السردي، ومن ذلك قوله "وأصريت على زيارة الساحة الحمراء قبل النوم"[4]. ومن مظاهر الضعف اللغوي في السرد قوله :"وأريته التصريح، تناوله ومزقه وكتب تصريحا آخر"[5].

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ج 10، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1992، انظر دريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله، ص 11.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 232.

[3] المصدر نفسه، ص 199.

[4] المصدر نفسه، ص 250.

[5] المصدر نفسه، ص 216.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكونه أديباً يسارياً ينتمي إلى الحزب الشيوعي ويعمل في صحافته، فقد أخذ يكتب تقارير صحفية عن قضايا المواطنين، وهذا انعكس بدوره على لغة السيرة وطريقة كتابتها، فقد جاءت بعض فصولها أقرب إلى التقرير الصحفي. فالانتخابات المحلية، التي تشغل بال المواطنين العرب في القرى، تجعل هيئة التحرير في الاتحاد، تبعثه ليكتب تقريراً صحفياً عن معركة الانتخابات المحلية في سخنين[1].

ووردت في لغة السيرة ألفاظ إنجليزية وعبرية، لأن فلسطين عرفت الوجودين الإنجليزي واليهودي. وبسبب الاختلاط بهؤلاء، فقد كان من الطبيعي أن يستخدم العرب في أحاديثهم مفردات إنجليزية وعبرية، هذا إذا غضضنا الطرف عن بروز شخصيات إنجليزية ويهودية تستخدم أيضاً مفردات لغتها. ومن ذلك اعتذار المسؤول البريطاني الذي ضرب أحد عمال المخابز العرب، والذي سمع الجميع منه كلمة "باردون"[2] التي تعني الاعتراف بالذنب وطلب العفو.

ومن ألفاظ العبرية ظهر تعبير"رخوش نتوش"[3] الذي يبين الحصار الاقتصادي الذي يفرضه الاحتلال على أصحاب الأراضي، فيفرض عليهم الضرائب الباهظة بخصوص الزيتون والزيت.

أما المستوى الثاني للغة السيرة فهو الحوار، الذي يكون ضرورياً في حالات إبداء الرأي والرأي الآخر في قضية خلافية. فالشخصيات التي تحضر في السيرة، هي شخصيات إنسانية حقيقية، وأمر طبيعي أن تبلور هذه الشخصيات مواقفها، وتحاول أن تعبر عما تعانيه.

وحوار الشخصيات يساعد الكاتب في التخلص من مواقفه التي يؤمن بها، فيجعلها تتحدث بحرية اكبر، مما يجعلها تشعر باستقلالها، فتخرج من قيود الكاتب. كما أن الحوار يطور الحدث فينمو ويتقدم بشكل طبيعي، مما يجعل القارئ يقتنع بالشخصيات المتحاورة والأحداث التي تجري. فالشخصية في الحوار تصبح أكثر إقناعاً، لأن الكاتب منحها الفرصة لتقول ما تريد، فتظهر على حقيقتها. حيث أن مستوى الشخصية الثقافي يبرز في الحوار الذي يتم دون تدخل. ولذلك فإن الألفاظ العامية تكون أكثر وضوحاً في الحوار منها في السرد، لأن السارد أحياناً يتدخل في لغة شخصياته فيؤسلبها. ومن الحوار في السيرة، ما جرى بين

---

[1] المصدر نفسه، ص 275.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

[3] المصدر نفسه، ص 104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخص من قرية نحف وصاحب السيرة، عندما كان الكاتب يدعو المصلين الذين يخرجون من المسجد، ليحضروا اجتماعاً للشيوعيين.

-عف عنا يا رجل، ما بدنا نصوت للشيوعية.

-لكن أنا أدعوك لتسمع أولاً، ثم صوّت مثل ما بدك.

-بتمزعوا القرآن وبدكو نسمعكو؟"[1].

فالألفاظ التي نطق بها الرجل الذي خرج من المسجد، جاءت ملائمة لمستواه الثقافي.

ولم تكن الألفاظ العامية المستخدمة في الحوار فلسطينية وحسب، وإنما نجد أيضاً اللهجة المصرية، ويعود استخدامها في الحوار لوجود عمال مصريين في فلسطين. وقد وردت الألفاظ العامية باللهجة المصرية، عندما كان خليل خوري يحاول إقناع العمال المصريين، بضرورة مواجهة إدارة المخابز البريطانية، لتحسين شروط عملهم وهذا يظهر في:" وكان جوابهم المعتاد: يسترها ربنا يا سي خليل.ونعمل ايه؟ قلت: هناك أشياء كثيرة تستطيعون أن تعملوها، قالوا: زي ايه؟"[2]. وتظهر في لغة الحوار في السيرة ألفاظ إنجليزية ، حيث إن الوجود البريطاني في فلسطين، يفرض على الناس أن يستخدموا ألفاظ المحتلين، وخاصة عندما يجري حوار بين شخصية إنجليزية وأخرى عربية نالت قدرا من التعليم في المدارس، التي كانت الإنجليزية إحدى اللغات التي تدرس فيها ، وقد جرى حوار بين صاحب السيرة ولجنة القبول الإنجليزية ، في مدرسة الشرطة الفلسطينية أيام الانتداب، حيث ألقى التحية بالإنجليزية "غود ايفننج سير"[3] أي مساء الخير يا سيدي.

---

[1] المصدر نفسه، ص 206.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

حنا إبراهيم روائياً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب حنا إبراهيم روايتين هما: " أوجاع البلاد المقدسة" التي صدرت في العـــام 1997 و "موسى الفلسطيني" وصدرت في العام 1998.

ويعود السبب في كتابته للرواية، إلى رغبته في المساهمة في هذا الجنس الأدبي، الـذي يمكنه أن يتسع لأفكاره وآرائه، التي تعد حصيلة أزمنة متعاقبة ومليئة بـــالأحداث الاجتماعيـــة والسياسية. وبهذا فإن الكتابة الروائية عند الكاتب تعد تحديا، استطاع بها أن يلج إلى عباب هذا البحر، المتلاطم الذي لا شواطئ له.

لقد أراد حنا إبراهيم أن يكون خلاصة تجاربه الحياتية متراصة ومتتابعة ويشد بعضـها بعضا، ولذلك فإن الكتابة لديه عمل نضالي في سلسلة طويلة من النضال الشاق، الذي اكتـــوى بناره دفاعا عن حق شعبه في أرضه ووطنه. فالنضال بالكلمة يبقى أثرا مكتوبا، تعـــود إليـــه الأجيال المتعاقبة، لمعرفة ماضيها واستشراف مستقبلها. كما أن انتماء الكـــاتب للفقـــراء مـــن الفلاحين والكادحين من العمال، أعطى الكتابة عنده بعدا طبقيا، حيث أصبحت شكلا من أشـكال الصراع الطبقي، فكتابته وليدة معاناة، وليست عملية ترفيهية، كما الكتابة لدى جماعـــة الفـــن للفن، الذين يهربون من الواقع، لعدم قدرتهم على توحيد أهدافهم وأهداف مجتمعـــهم، بســـبب الفجوة العميقة بينهم وبين الناس، الذين يعيشون معهم.

وقد عاش حنا إبراهيم في فترة تاريخية هامة في حياة الأرض والإنسان، ودفـــع ثمنـــا باهظا في سبيلهما، وعانى أشد المعاناة. إلا أن هذه الأحداث القاسية، أسهمت في كشف الطاقـــة التعبيرية المتعددة عنده، وعملت على بلورة شخصيته الوطنية والإنسانية، فرفد الأدب العربـــي، وفي فلسطين خاصة، بكل ما لديه من فنون وأجناس أدبية.

لقد ربط الروائي مصيره بمصير الكادحين من شعبه، فأصبح ملكا لهذا الشعب وطبقتـــه المسحوقة، في زمن تاريخي حافل بالصراع القومي الإجتماعي، مما جعله يعيـــش الصـــراع ونتائجه، فلم ينسلخ عن طبقته ولم يبتعد جانبا، بل كان يؤمن أن "الصراع الطبقي هو محـــرك التاريخ"[1]، كما أن الإنسان وموقعه الاجتماعي أمران موضوعيان، لا يختارهما ، بل يجد نفســـه يصطف طبقيا وسياسيا، ليدافع عن حقه وحق الطبقة التي ينتمي إليها.

[1] فيصل دراج، دلالات العلاقة الروائية، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 1993، ص 51.

الرواية من نسج الخيال، وكذلك أسماء الشخصيات الواردة فيها. وإذا طابق شيء من أحداثـــها أو مسمياتها الواقع، فذلك بمحض الصدفة،دون أن يكون أحد بذاته أو حدث بعينه مقصـــودا"[4]، وقد كتب هذا ليرد على أي اتهام، بأنه يسجل أحداثا تاريخية.ولم يكتف بتوضيحه وتنبيهه، بـــل

[1] شعيب حليفي، النص الموازي للرواية، الكرمل، 1992 ص 82.

[2] المرجع السابق، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

[4] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، مؤسسة الأسوار، عكا، 1997، ص 5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة تلبي ضرورة موضوعية لقسوة ما صادفه موسى الفلسطيني في حياته الطويلة، التي قضى قسماً منها في فلسطين وآخر خارجها.

وقد صدرت الرواية عن دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر في شفا عمرو عام1998، وأظهرت دار النشر اسم الرواية واسم كاتبها باللغة الإنجليزية.

وقد قدّم الكاتب الإهداء في هذه الرواية إلى زوجته، فيقول: " إلى أم إبراهيم التي طالما استعاضت عن الذهب بكلامي الذي قلما بلغ قيمة الفضة" . وقامت دار المشرق التي أسهمت في نشر الرواية، بكتابة صفحة على الغلاف، تتحدث فيها عن المهن المختلفة التي عمل بها حنا إبراهيم. ثم تحدثت عن حرفة الأدب التي أدركها الكاتب، فسببت له الكثير من المشاكل مع الحكام. كما تحدثت عن ظروف الشعب الفلسطيني الذي تهمه لقمة العيش أكثر من القراءة.

وقد أحسنت دار النشر صنعاً حينما أفردت صفحة على الغلاف للحديث عن المؤلف وصاحبه ولم تقتبس شيئاً من المحكي، حتى لا يفسر ذلك إبرازاً لأهمية الشيء المقتبس، ولذلك فإن القارئ يقف وجهاً لوجه أمام عنوان الكتاب والصورة المصاحبة على الغلاف والإهداء ودار النشر وسنة النشر، وبعض المعلومات عن الكاتب وكتابه.وقد رتب الكاتب روايته في اثنين وعشرين فصلاً في تسلسل رقمي.

إن النص المحيط للكتاب، لا يكشف كل شئ للقارئ، بل هناك إثارة يبرزها، تدفع بمن يصل إلى يديه، أن يدخل إلى عبابه المتلاطم، ليغرق في أحداثه وشخصياته وأمكنته وأزمنته.

يكشف العنوان الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الكتاب، لكن النص المحيط بما يتضمنه من عنوان ودار نشر وفصول، لن يكون بديلاً لقراءة الكتاب، فكل صفحة تقرأ ، تكشف شيئاً جديداً يوضح ما عجز النص المحيط عن كشفه.

إن قراءة فصل من فصول الرواية، لن تعطي تصوراً عن هذا العمل، بل إن كل فصل يقرأ، يكشف شيئاً جديداً، ويزيد العمل المكتوب وضوحاً، ولن يكون الانطباع كاملاً، إلا بعد أن ينتهي القارئ من قراءة آخر سطر في الرواية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقوم العنوان في الكتاب بوظيفة تعيينية، تشير إلى الجنس الأدبي وهو الرواية، ووظيفة إغرائية تخلق عند القارئ تحدياً لقراءة الكتاب والتعرف على مضمونه.

يتكون العنوان من " مكون فاعل أو شخصي"[1] حيث يحمل اسم البطل والضحية" موسى" ، وهو شخصية مبأرة ورئيسة، تشكل محورا ترتبط به الشخوص الأخرى أما كلمة "الفلسطيني"فجاءت صفة لتوضيح الكلمة الأولى من العنوان.

"السرد في رواية "أوجاع البلاد المقدسة"

ما يزال السرد أو فن القص، العمود الفقري في الجسم الروائي، فهو الذي يبث في جسم الرواية الحياة، فتبدو لنا جميلة في شكلها ومعبرة في مضمونها، وبهذا فإن السرد ليس اختياريا ، ولا يمكن للكاتب الروائي أن يتخلى عنه لحظة، بل هو ضرورة تفرضه طبيعة العمل الروائي الذي يتميز "بطبيعة استعراضية، والمتمثلة في نقل وقائع متتة، وتقديمها في قالب لغوي-شفاهي أو كتابي- من قبل شخصية أو مجموعة من الشخصيات محددة بعينها"[2]. ولذلك فإن العمل الروائي سيبقى عاجزاً عن تبليغ ما يحمله المضمون من شكل- إلى المتلقي، دون وجود سارد، يقوم بقص الحكاية، وترتيب أحداثها، والتعليق عليها، وتقديم شخصياتها التي لا تمتلك جرأة الشخصيات في المسرحية التي تعبر عن ذاتها مباشرة، دون حاجة إلى وسيط يقدمها إلى الجمهور.

إن السارد يقدم شخصياته ، ويجعلها مرتبة بطريقته، فلا تخرج عن طوعه، ولا تتمرد على ما يرسمه لها من أدوار ، فلا تنطق عندما يريد لها أن تصمت ، ولا تصمت عندما يطلب منها أن تتكلم، بل هي جاهزة لكل ما يطلبه منها. كما أن الأحداث لاتصل إلى غاياتها، دون السارد الذي يعمل على ترتيبها، وبهذا "فالراوي هو وسيلة أو أداة تقنية، يستخدمها الكاتب، ليكشف بها عن عالم قصته، أو ليبث القصة التي يروي"[3].

---

[1] شعيب حليفي، النص الموازي للرواية، ص 94.

[2] عبد العالي بو طيب، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، فصول، ج 1، عدد 4، شتاء 1993، ص 68.

[3] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي، دار الفارابي، بيروت، ط 2، 1999، ص 89.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقوم السارد بوظائف عديدة لها علاقة بالعمل الروائي، فهو وسيط للقصة ومعلق على أحداثها وذو وظيفة بلاغية . فالحدث مهما كان عظيما وذا تأثير، سيبقى جثة هامدة دون راو، ولهذا فإن كتاب الرواية "يتفننون في استخدام مفهوم الراوي ، وارتبط هذا التفنن بعلاقتهم بما يروون، فجاءت كيفية ما يروون أو شكل ما يروون، دلالة على رؤيتهم لما يروون"[1].

إن السارد ليس واحدا عند الروائيين، بل يتعدد حسب وجهة النظر التي ينطلق منها كل منهم ومن الموقع الطبقي، الذي يفرض على سارده أن يعتنق أيديولوجيته وفكره، وينتمي حزبيا إلى حزب يدافع الروائي عن مبادئه وقيمه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن كتاب الرواية يعمدون إلى "تنويع الراوي في العمل الروائي الواحد، وفق ما يقتضيه سياق السرد، كأن يترك الراوي الذي يروي بضمير الأنا مكانه، في مفصل من مفاصل العمل الروائي، إلى الراوي الشاهد، أو كان يتحول هذا الراوي الذي يروي بضمير الأنا من راو حاضر، يعرف أمورا كثيرة إلى مجرد شاهد ينقل فقط ما يقع عليه نظره"[2].

لقد كان حنا إبراهيم منتمياً للحزب الشيوعي ، وكان فكر الحزب نقياً فلا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فيجعل العضو يمتلك الحقيقة التامة عن الحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. وقد كانت الأحزاب الشيوعية من خلال العلاقات الأممية التي تقيمها فيما بينها، تتداول المعلومات عن ذاتها وعن غيرها، فتجعل هذه الأحزاب ما لديها صوابا، وما عند الآخرين خطأ. وقد أثر هذا إلى حد كبير، في طبيعة السارد لدى حنا إبراهيم، فهو سارد موسوعي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، "ويعرف كل شيء عن شخصيات عالمه، بما في ذلك أعماقها النفسية، مخترقا جميع الحواجز كيفما كانت طبيعتها، كأن ينتقل في الزمان والمكان دون صعوبة، ويرفع أسقف المنازل ليرى ما بداخلها وما في خارجها، أو يشق قلوب الشخصيات ويغوص فيها ليتعرف على أخفى الدوافع وأعمق الخلجات . تستوي عنده في ذلك جميع الشخصيات على اختلاف مستوياتها، إنها بالنسبة له كتاب يطالعه كما يشاء، كل هذا كي يزودنا بتفاصيل عالم يهيمن عليه بشكل تام، وكأنه إله، ويفترض أن تحكي الروايات التي من هذا النوع بضمير الغائب ، والسارد هنا أكثر معرفة من الشخصية"[3]. فالسارد ينقل شخصياته من مكان لآخر، ويجمعها متى يشاء ويفرقها بإرادته، فالفتاة اليهودية ريتا[4]، التي تعرف عليها

---

[1] المرجع السابق، ص 89.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

[3] عبد العالي بو طيب، مفهوم الرؤية السردية، ص 73.

[4] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهر السارد ضعيف المعرفة عندما استخدم التشبيه في قوله "وأدار ظـــهره ومشـــى وكأنما هو واثق من أن طلبه سينفذ"[2]، فالتشبيه لا يعني الشيء في ذاته. وقد استخدم الروائـــي السرد العادي وأسلوب الرسالة في سرد أحداث الرواية ومن ذلك قوله: "عمي الحبيب زيـلد، لا أعرف هذه المرة كيف أبدأ الرسالة، هل أبدأ بالبشارة أم أترك المفاجأة لتأتي بشـــكل طبيعـــي متسلسل"[3].

كما أنه استخدم أسلوب المذكرات في سرد بعض أحداث الرواية ، وقد ظهر ذلك فـــي قوله: "ولم يلبث أن تناول القلم وقد خطرت له فكرة تسجيل أفكاره. كتب: بعد قليل يطل العـــام الجديد، معظم الناس يحتفلون في هذه الليلة على اعتقاد أن من يستقبل العـــام الجديـــد بـــالفرح والسرور يقضيه هكذا"[4].

وقد كان استخدامه لأسلوب الرسالة وأسلوب المذكرات موفقا حيث إن هذا يضفي على الرواية صفة الواقعية، فالناس في حياتهم العادية يرسلون الرسائل ويكتبون المذكرات اليومية.

السرد في رواية "موسى الفلسطيني"

ظهر السارد في "موسى الفلسطيني" عارفا بدقائق أحداث الرواية وحيـــاة شـــخوصها، فهو يظهر دائما خلفها، فيدفعها إلى الأمام بسبب ضعفها وعجزها، "وذلك لأنه كان قد تلقى هذا السرد قبل إفراغه على القرطاس، فهو هنا يزجي الأحداث وشخصياتها نحو الأمـــام، فيكـــون وضعه السردي قائما على اتخاذ موقع خلف الأحداث التي يسردها"[5].

ويبدو السارد في رواية "موسى الفلسطيني" سارداً كلي المعرفة لا تغيب عنه صغـــيرة ولا كبيرة، فيتابع شخصياته في أي مكان تكون فيه، وفي أي زمان تعيش فيه، فلا تغيب عنـــه في نومها وأحلامها المزعجة، فهي "صارت تحلم أحلاما مزعجـــة تحـــاول أن تنســـاها فـــي

---

[1] المصدر نفسه، ص 148.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

[3] المصدر نفسه، ص 233-234.

[4] المصدر نفسه، ص 269.

[5] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 178.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصباح. حلمت مرة أن صاحب الدار لم يمت، وعاد وحوله عصابة من الأشقياء ، وراح ينشر الرعب في الحي وفي المدينة، وراحت برعب مميت تتوقع أن يزورها"[1].

ويدخل السارد إلى بيت علياء في طرابلس، حيث كان باب الشقة مغلقا عليها وعلى طفلها الرضيع[2]، كما وتغلغل إلى عقلها، فعرف ما كانت تفكر به، حيث أن الانتحار كان يراودها، إلا أن الذي منعها من تنفيذ فكرة الانتحار، هو وجود طفلها الصغير الذي خرجت من أجله من شقتها لتحضر الطعام.

ولا يخفى على السارد معرفة تفاصيل حياة أهل القرية وأعمالهم الكثيرة من حصاد وجمع غلة وتبن عن البيادر. كما أنه يعرف أن الجمالين يبحثون عن أعمال أخرى لتمكنهم من إعالة أولادهم وإطعام الجمال من عملها، كما لا يخفى عليه المثل الشعبي الذي يستخدمه الفلاحون في هذا الموقف، حيث يبدو أن "كسوة الصغيرة وراحة البعير خسارة"[3].

كما أن السارد دخل إلى مخدع يسرى، وشاهدها وهي نائمة إلى جانب موسى ابن زوجها، الذي كان يرتعش بردا، بسبب إصابته بالزكام، كما عرف عن إحساس موسى بالدفء والتصاقه بجسم زوجة أبيه[4]، وتعرف على اللذة التي سرت في أوصاله، عندما شعر بضغط ثدييها على ظهره وهي تطوقه بذراعها، وشاهد موسى وهو يتململ في فراشه، كما أنه سمعه وهو يهمس ليسرى، بأن تدير وجهها إلى الناحية الثانية.

كما يبدو السارد قويا شجاعا لا يخاف من الدخول إلى الزنزانة المعتمة، ليعرف ما تتعرض له شخصياته من قمع واضطهاد، بعيدا عن النور، وعلى الرغم من هذه الأجواء إلا أن الكاتب تمكن من التسلل وإخبارنا عن رفض عوض وغسان الاعتراف بشيء[5] .

وقد أكثر السارد في الرواية من التعليق على الأحداث، ليثبت للقارئ أنه على دراية كاملة بها وبشخصياتها. فهو لم يكتف بفرصة الاختيار المتاحة لموسى، بين العودة إلى الجليل

---

[1] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، دار المشرق، شفا عمرو، 1998، ص 177.

[2] المصدر السابق، ص 176.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

[4] المصدر نفسه، ص 126-127.

[5] المصدر نفسه، ص 101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو مرافقة المتوجهين إلى الضفة، بل زاد عليها الحديث عن المصاعب التي قـــد تصادفـــه إذا تسلل إلى لبنان[1] .

ويبدو أن لسارد موسى الفلسطيني وظيفة تفسيرية، حيث يعرف قيمة العملـــة الماليـــة، فالجنيه يعادل ليرة ذهبية[2].

كما أن السارد لم يقف عاجزا عن إعطاء التفسير لكلمة "قرامـــي"[3] بالمفـــهوم الريفـــي فوضحها بالجذور.

وتستمر وظيفة سارد حنا إبراهيم البلاغية، بتوضيح وتفسير ما يعده صعبا على الفـــهم لدى بعض الناس، لاختلاف بيئاتهم المحلية، فالشيخ الكبير الذي يهتف أثناء تقديم طعام العـــرس للضيوف بتعبير "العادة يا شباب"[4] يعني أن يتناول الشخص لقمة أو لقمتين حتى يتمكن العريـــس من إطعام الحاضرين جميعا.

وقد استخدم حنا إبراهيم ضمير الغائب في سرد أحداث روايته وشخصياتها "ولعل هـــذا الضمير الغائب أن يكون سيد الضمائر السردية الثلاثة، وأكثرها تداولا بين السراد ، وأيســـرها استقبالا لدى المتلقين، وأدناها إلى الفهم لدى القراء، فهو الأشيع إذن استعمالا"[5] .

إلا أن حنا إبراهيم ، أراد أن ينوع في سرده، حيث كان ينتقل-أحيانـــاً- مـــن الســـرد بضمير الغائب إلى السرد بضمير المتكلم،ليحقق تنوعا في السرد ، ومن ذلك قوله: "قال لـــهم لا يخجلوا إن كان أحدهم يشعر بالخوف. فالخوف شيء طبيعي ،ولكن الأهم هو التغلـــب علـــى الخوف. ثم إن العدو هو الذي يجب أن يشعر بالخوف. نحن نحارب دفاعا عن أرضنا ووطننـــا وهم معتدون، ثانيا لنظل قريبين الواحد من الآخر بحيث يسمعني كل واحد منكم "[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص 168.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3] المصدر نفسه، ص 5.

[4] المصدر نفسه، ص 21-22.

[5] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 177.

[6] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 80.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الرغم من أن سارد حنا إبراهيم كلي المعرفة، إلا أن هناك بعض المواقف التي يبدو فيها متنازلا عن طبيعته الموسوعية، فظهر ضعيف المعرفة، وقد كان ذلك بأن وردت على لسانه كلمات تبين هذا الضعف، فاستخدام كلمة"ربما" كما هو معروف، تبين أن من ينطق بها غير متأكد من الكلام الذي يقوله، وبرز ذلك في قوله:"وهاهو يرى الوطن بأم عينيه ربما أفضل مما رأى النبي موسى الأرض التي قيل إن الرب وعده بها"[1].

كما ويظهر سارد موسى الفلسطيني ضعيف المعرفة فهو غير متأكد من عدد السنين التي مرت في الغربة، وقد كان سبب الضعف استخدام كلمة"نحو"، فالشخصية التي يتحدث عنها هاجرت في شبابها إلى أمريكا وعادت بعد " نحو عشرين سنة من الغربة"[2].

ويظهر سارد رواية "موسى الفلسطيني" منحازا إلى الشيوعيين، ويرفض أن يبدو محايداً أو موضوعياً أو أن يكون سارداً فوتوغرافياً. وقد كان لحنا إبراهيم تأثير على انحياز سارده للفكر الشيوعي. ويبدو انحياز السارد واضحاً عندما أعلن المعتقلون الشيوعيون إضراباً عن الطعام دون غيرهم من المعتقلين، وهذا يظهر في قوله: "قيل له أن هناك إضراباً عن الطعام، أعلنه السجناء الشيوعيون. سأل مستغرباً:من أين جاء الشيوعيون؟ قالوا له: من حيفا وعكا والجليل"[3] .

كما ويظهر انحيازه للفكر اليساري عندما قال: "هناك شبه تنظيم موازٍ"[4] فهذه الجملة توضح أنه ضد هذا التنظيم الضعيف. فالتنظيم غير اليساري في نظره ليس تنظيماً حقيقياً، ولن يحقق الأهداف التي يسعى إليها المعتقلون.

وقد اختلف انحياز السارد في نهاية الرواية، فبعد أن كان منحازاً للشيوعيين أخذ ينحاز للفلسطينيين، أكثر من انحيازه للقضايا المبدئية والحزبية، كما كان في بداية الرواية، فالسارد معجب بزي أبي عمار العسكري وكوفيته ونقنه غير الحليقة. كما أن أبا عمار مقاتل صارم[5].

---

[1] المصدر السابق، ص 201.

[2] المصدر نفسه، ص 32-33.

[3] المصدر نفسه، ص 163.

[4] المصدر نفسه، ص 164.

[5] المصدر نفسه، ص 195.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تعددت أساليب السرد في الرواية، حيث ظهر الأسلوب المباشر العادي، كما ظهر في بعض المواقف استخدام الرسالة أسلوباً في السرد ومن ذلك، الرسالة التي كتبها (موشي مزراحي)، اليهودي إلى موسى عوض، عندما علم باعتقاله، وقام (مزراحي) بتسليم الرسالة إلى مدير المعتقل ليسلمها إلى موسى عند عودته، حيث كان خارج المعتقل مع مجموعة من المعتقلين ويرافقهم ضباط من المعتقل، وقد كانت الرسالة مبدوءة بصورة تقليدية: " عزيزي موسى، عرفت أنك موقوف أو سجين في البلاد، وهذا أمر مؤسف جداً.....أرجو أن تقبل هدية متواضعة، لا بد أنك في المعتقل بحاجة إلى ثياب وسجائر وبعض الحلوى، فاقبلها مني مع الاعتذار"[1] إلى اللقاء، (موشي مزراحي).

اللغة في روايتي حنا إبراهيم
"أوجاع البلاد المقدسة" و "موسى الفلسطيني"

تعد اللغة قضية جوهرية في العمل الأدبي، فهي الواجهة التي تمنحه مزيدا من اهتمام القراء. إننا لا نعرف شيئا عن تجربة الكاتب، دون أثر لغوي، يعطينا إذنا للولوج إلى أعماق تلك التجربة. ولهذا فإن كل شيء في حياتنا، يبدو مجبولا بماء اللغة وطينها ، ويكاد لا "يوجد شيء من دون لغة، فباللغة بلغت الرسالات السماوية، وباللغة أديت المبادئ على الأرض ، وباللغة أعلنت الحرب العالمية الثانية، وباللغة نعبد الله وبها نحب، وبها نبني الحضارة، وبها نكرس القيم، وبها ندافع عن الحقوق"[2]. فاللغة مكون أساسي من مكونات العمل السردي، وبدونه لن نرى تجربة الأديب، ولن نعرف شيئاً من تفاصيلها. واللغة في الرواية لها مستويات ثلاث هي: السرد والحوار والمونولوج.

إن دعاة العامية من الكتاب[3]، يعتقدون أن الأدب، لا ينتشر ، ولا يصل إلى الجماهير، إلا إذا كانت لغته تراعي مستوى القراء ، وهذا الاعتقاد غير صحيح، بدليل أن قراء الرواية، غالباً، من الجامعيين ومن صفوة الصفوة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 167.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 299.

[3] المصدر السابق، ص 132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن أية رواية من الروايات الحديثة، لا تخلو من ارتفاع وانخفاض في مستواها اللغوي، فالروائي مهما أوتي من علم وثقافة، لا "يمكنه أن يكتب بلغة عالية رفيعة تشبه لغة أهل الجاهلية الأولى"[1]، لأن الحياة التي يعيشها الروائي في الزمن الحاضر، تختلف اختلافا كليا عن حياة الشاعر الجاهلي. فالوجود الموضوعي يفرض على كل كاتب، أن يعبر بلغته وطريقته بشكل مختلف. فالكاتب الحديث يعيش في حياة سريعة في إيقاعها، فيتأثر بالمخترعات الحديثة، ووسائل الإعلام المتنوعة، مما يجعل لغته قريبة من لغة الصحافة والإعلام .

يتداخل السرد والحوار ويتعايشان ليصنعا شكل الرواية ومضمونها، ولا يمكن لأي منها أن ينفرد بعمل روائي من بدايته إلى نهايته، فهما وجودان في وجود واحد، وهما الرئتان اللتان يتنفس بهما العمل الروائي. لكن هذا لا يعني التساوي في داخل النص، بل هناك مقاطع تزداد فيها مساحات السرد، وتقل مساحات الحوار، لكن في المحصلة النهائية، ينبغي أن تكون لغة السرد مسيطرة وسائدة، ليحتفظ العمل الروائي بطبيعته السردية، ولأن زيادة حجم الحوار، تحول الرواية إلى مسرحية.

يتفق الروائيون بأن تكون لغة السرد فصيحة، بينما لم يتفقوا كثيراً في مسألة لغة الحوار، التي يفضل دعاة العامية أن تكون عامية لتعبر عن واقع الشخصيات ومستوياتها الثقافية، "وكأن هذه الشخصية مسجلة في الحالة المدنية، وكأن الأحداث التي تنهض بها أو تقع عليها، هي أحداث تاريخية بالفعل"[2].

إن لغة السرد هي أساس العمل الروائي ، وتحظى بقدر واسع في هذا البناء، ولهذا فإن للسرد أهمية كبيرة "في تقديم الشخصيات، ووصف المناظر والأحياز والأهواء والعواطف، فهو شكل مركزي، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل روائي"[3].

أما لغة الحوار في الرواية فينبغي أن تكون قليلة، لتحتفظ الرواية بطابعها السردي، أما "الإكثار من الحوار في أي عمل روائي فيعود إلى أحد أمرين أو إليهما جميعا: إما إلى أن الكاتب يتملص من موقف صعب في التحليل والوصف والكشف، فيعمد إلى إلقاء المؤونة على

---

[1] المصدر نفسه، ص 132.

[2] المصدر نفسه، ص 135.

[3] المصدر نفسه، ص 134.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصيات لينطقها بأي كلام، وإما أنه مبتدئ محروم فيعمد إلى كتابة هـذه المحـاورات دون وعي فني كبير فيصول فيها ويجول، ولكنه لدى نهاية الأمر، يفسـد علـى الشـكل اللغـوي الأساسي أمره، فتطغى لغة الحوار على لغة السرد"[1].

إن الواقع يفرض على الكاتب اللغة التي يستعملها في كتابته، فحنا إبراهيم في روايـة "أوجاع البلاد المقدسة"، يوازن بين السرد والحوار، إلا أن الحوار ينبغي أن يبقى أقل مسـاحة، ليبقى السرد مسيطراً على مساحات واسعة من الرواية.

وقد كان مستوى لغة السرد يرتفع أحيانا وينخفض حينا، وذلك لطبيعة الموقف الـذي يسرد عنه. ومن لغة السرد قوله " ولعل الناس وجدوا ذلك أمراً طبيعياً،فلم يجشم أحـد نفسـه عناء الرد على سؤال: أو لسنا شعبا واحدا ؟ وزياد نفسه لم يكن يملك جوابـاً شـافياً"[2] فـهذا المقطع بما تضمنه من عبارات وأساليب يوضح طبيعة مستوى لغة السرد ، فيفهمه أي قـارئ للعربية، ولن يجد فيه ما يشوش الفهم.كما أن مستوى لغة السرد جاء عاليا وفصيحا في قولـه "ود لو ضمخ وجهه بقليل من العطر، ولكنه خشي أن يلفت الانتباه فأحجم"[3]. فاستخدام الكلمـات "ود، ضمخ، أحجم" رفع من مستوى لغة السرد، وقد امتنع الكاتب عن استخدام مرادفات لـهذه الألفاظ أقل قيمة في المعنى وفي الجرس وفي التأثير.

وعلى الرغم من أن الكاتب يتحدث في روايته عن أجواء الريف والقرية، إلا أنه حافظ على مستوى لغته السردية الفصيح، ويظهر ذلك في قوله :" كان الكلب أول من انتبه للداخـل، فانطلق من بين الماعز مكشرا عن أنيابه، وليقوم بالواجب الملقى على عاتقه كما على عـاتق أسلافه من قديم الدهور"[4].

إن حنا إبراهيم الكاتب الذي عاش في الريف، وعرف ألفاظه المحلية، جعله يسـتخدم هذه الألفاظ في كتابته، ومن ذلك قوله :"وفعلا حبيت وحدة مليحة. وهي أحبتني، حكيت فيـها، رفضوا أهلها . ليه؟ قالوا: إنها على حساب ابن عمها. وابن عمها شـاب تقـدر تقـول مـش

---

[1] المصدر نفسه، ص 135.

[2] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 23.

[3] المصدر السابق، ص 35.

[4] المصدر نفسه، ص 50.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بطال"[1]، فالعبارتان: "حبيت وحدة" و"تقدر تقول مش بطال" ريفيتان وعاميتان، كما أن عبارة "رفضوا أهلها " وليه" لا تتفق والنحو العربي. كما أن الكاتب عرف الأزمنة الريفية الخاصة، حيث يطلق الريفيون اسم "سعد الذابح"[2] على الإثنى عشر يوما ونصف اليوم من بداية شهر شباط ، وبعد مرور أربعين يوما على بدء فصل الشتاء.

إن هذه العبارات الريفية تعود إلى إحدى الشخصيات الريفية، التي أعطاها الكاتب فرصة لتعبر عن ذاتها، ودون أن يحدد ما تقول، فبقيت أقوالها كما نطقتها، ولم يؤسلبها الكاتب.

واستخدم الكاتب أقوال الريفيين، التي اكتسبها من بيئتهم المحلية، وخرجت من معناها الحرفي إلى معنى جديد، لتأخذ صفة المثل الشعبي. فعندما احتل الجنود اليهود القرية، وجمعوا أهلها، قاموا بقتل جميع الشباب، حتى انطبق عليهم القول "فلم يخرج من العجال عجل"[3].

يستمر السرد والحوار في الرواية، ليشكلا قانونا موضوعيا يحكم العمل الروائي ، الذي "يتم إنجازه في وهج الانفعال الفني"[4] ، حيث يظهر الانتقال السريع دون مقدمات، كأن ينتقل بالزمن من الحاضر إلى الماضي بشكل ومضات، كما يظهر من خلال استعمال اللغة الفصيحة ثم الارتداد بسرعة فائقة إلى العامية أو العكس، وكذلك الانتقال السريع من السرد إلى الحوار أو العكس .

إن الحركة المطلقة في الرواية والتي تتمثل باستخدام لغة السرد ولغة الحوار، تعطي الرواية الحياة وديمومة مواكبة التغير، ففي هذه الحركة" امتلكت اللغة من حيث هي علاقة اجتماعية تحررها وأصبحت في تحررها، قادرة على كتابة جديد الواقع"[5].

والحوار في أوجاع البلاد المقدسة، جاء متوسطا، ولم تتحول الرواية إلى مسرحية، حيث إن "الكلمة في الحوار الروائي وجدت أصلا لكي تقرأ"[1]. ويهدف الحوار في المسرحية

---

[1] المصدر نفسه، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 73.

[3] المصدر نفسه، ص 115.

[4] فتوح أحمد، لغة الحوار الروائي، فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، كانون-آذار، 1982، ص 86.

[5] فيصل دراج، دلالات العلاقة الروائية، ص 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرواية إلى فضح مكنونات الشخصيات المتحاورة، ودفع الحدث وتطويره، لكن دون أن يضيع السرد والسارد. وقد جاء الحوار في الرواية معبرا عن مستوى الشخصيات المتحاورة، فالشخصية المثقفة والمتعلمة تتحدث بلغة تتناسب مع واقعها الثقافي. ومن أمثلة الحوار بلغة فصيحة، ما دار في الندوة الطلابية في الجامعة الأمريكية ببيروت ، عن قضية فلسطين[2]، فالشخصيات التي تتحاور متعلمة ومثقفة، وبالتالي ينبغي أن تنطق بكلمات فصيحة. كما ظهرت في لغة الحوار تعابير فصيحة خرج بها الكاتب عن معناها الأصلي، ليعطي معاني جديدة، ومن أمثلة ذلك قوله:

"-لا... ليست مفاجأة احتلال، جاءك ضيف من إسرائيل.

-عربي أو من أولاد العم؟"[3].

فتعبير "أولاد العم" لا يعني العلاقة الاجتماعية المعروفة، ولكن يقصد هنا اليهود.

لكن لغة الحوار تنخفض في الرواية عندما يجري الحوار بين شخصيتين غير متعلمتين ، ومن ذلك ما جرى من حوار بين والد فريد الشاعر وزياد حيث نجد:

- "على بينما يصلحوها الشباب بتكون مية امرأة تعثرت ساقطة. وايش عليه؟ أبوك بعده شاب.
- بل شيخ شباب. حيّد هيك"[4].

واستمرت لغة الحوار عامية بسبب أن الشخصية التي تتحدث العربية لا تتقنها، حيث تظهر شخصية يهودية لا تجيد العربية، مما جعل لغتها ركيكة منخفضة، حيث استخدمت تعبير "كيف خالك؟"[5] بدلا من " كيف حالك؟" مما يغير المعنى والدلالة.

إن الظروف السياسية المختلفة التي عاشتها فلسطين وأهلها ، جعلت الكاتب يستخدم ألفاظا غير عربية في لغة روايته، وهذا يعود إلى الفترة الطويلة من العمر التي عاشها حنا

---

[1] فتوح أحمد، لغة الحوار الروائي، ص 86.

[2] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 146.

[3] المصدر السابق، ص 226.

[4] المصدر نفسه، ص 79.

[5] المصدر نفسه، ص 47.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبراهيم في زمن الانتداب البريطاني والاحتلال الإسرائيلي ، كما أن وجوده في الحزب الشيوعي أكثر من واحد وأربعين عاماً واختلاطه في المؤتمرات الحزبية مع رفاق روس، وسفره إلى الاتحاد السوفييتي لدراسة الفلسفة في معهدها، جعله يعرف بعض المفردات الروسية، ومن ذلك قوله:" هنا ينادون يا رفيق يعني" تفاريش"[1].

إن التمييز الذي مارسه الانتداب البريطاني في فلسطين، وجد له تعبيراً في لغة الكاتب، فموقع الإنجليز المسيطر، جعل موقفهم من العرب عنصرياً، وقد رأى الكاتب لزاماً عليه أن يكتب هذه العبارة العنصرية بلغتها الإنجليزية وترجمتها إلى العربية، فهو يقول: أنظر إلى ما هو مكتوب على علبة البسكويت For British police only أي للبوليس البريطاني فقط"[2].

كما أن هذه الألفاظ غير العربية وردت في الرواية ، لتدل على المخترعات الحديثة التي دخلت معها ألفاظها إلى العربية، فهذه المخترعات تلبي حاجات أساسية في حياة العربي، وتظهر في مناسباته الاجتماعية ومن ذلك قوله: "الابتسامات توزع بحساب وكاميرا الفيديو مسلطة على الداخلين فتجعلهم يتخذون مواقف رسمية"[3].

لقد جاء الحوار في الرواية متناسبا وواقع الشخصيات، فيطول أحيانا ويقصر أحيانا أخرى، وجاءت لغة الحوار متوسطة في فصاحتها، ولم تستعص على فهم القارئ العربي في أي مكان، حيث لم تغرق كثيرا في محليتها.

أما لغة السرد في الرواية، فينبغي أن تأتي فصيحة رفيعة، لكن لن يتم هذا بصورة مطلقة، حيث إن الأشياء موجودة بشكل نسبي، وضمن معادلة الأضداد وصراعها الأزلي.

فنحن لا يمكننا أن نجد رواية قوية في لغتها من بدايتها إلى نهايتها، بل نجد أنها تسير في خط متعرج فيه ارتفاع من ناحية وانخفاض من ناحية أخرى.

---

[1] المصدر نفسه، ص 235.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

[3] المصدر نفسه، ص 251.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن لغة السرد السليمة والخالية من العيوب اللغوية والنحوية في الرواية قوله: "قـــال إنه بلغ من العمر عتياً، ولم يعد في مقدوره تقديم أي نفع للناس. أما ابنه فقد استشهد في ســبيل الوطن وغسان لا يزال طفلاً يحبو"[1].

وترتفع لغة السرد في الرواية عندما يعود موسى مع رفاقه، بعد أن ينجز العمل وهـــو يشعر بارتياح لا يدري سببه، حيث "كانت شمس الربيع تبعث دفئاً لطيفاً في الجـــو، والأرض تكتسي بثوب أخضر، ونسيم لطيف يهب من ناحية البحر، يذكر المرء بأيام حرية كانت"[2].

وترتفع لغة السرد في الرواية عندما تصبح الكلمات معبرة عن حكمة إنسان مجـــرب، عرف الحياة بدقائقها الصغيرة، فالإنسان يشيب عندما تتقدم به السنوات، فيهرم ويعجز ويبـــدو غير جميل، في حين أن الوطن لا يشيب ولا يموت[3].

إن حنا إبراهيم كاتب ريفي، عرف عادات الريف وألفاظه، وبسبب التزامه بالواقعيـــة الاشتراكية، فقد برزت التعابير الريفية في "موسى الفلسطيني"، التي تدل على قـــدرة الأديـــب وفهمه لطبيعة لغته، فيخرجها من معناها المعجمي اليتيم إلى معان متعددة، لتصبح لغة تأويليـة، "فابنة حلال" لا تعطي المعنى الحرفي الأحادي، بل يـــؤدي معنـــى جديـــداً فرضتـــه الحيـــاة الاجتماعية، وهو الزوجة المطيعة.

كما أن استخدامه للفظة "العمدة"[4]، جاء على غير ما يتبادر إلى الذهن، فـــالعمدة ليـــس رئيس البلدية أو مسؤول البلد، بل يعني في الريف الفلسطيني الحجر الكبير الذي يتبارى أهـــل العريس وأهل العروس لحمله يوم العرس، عندما يذهب أهل العريس إلى قرية أهل العروس.

وقد كان لاستخدام حنا إبراهيم ألفاظاً ريفية فلسطينية أثر على القارئ غـــير الريفـــي الفلسطيني، فيستعصي عليه فهمها، لأن هذه التعابير ذات صبغة محليـــة، فكلمـــة "الشـــكارة"[5]

---

[1] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 110.

[2] المصدر نفسه، ص 166.

[3] المصدر نفسه، ص 200.

[4] المصدر نفسه، ص 14.

[5] المصدر نفسه، ص 65.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستعصي على فهم الفلسطيني غير الريفي، حيث أنها تدل على كمية قليلة من الأرض المزروعة بالحبوب من القمح أو الشعير، فلا تسد حاجة الفلاح.

كما كان لاستخدام حنا إبراهيم ألفاظاً عامية أثر على ضعف مستوى لغة السرد في الرواية، فاستخدام الهاء مع "أل" التعريف أضعف الكلمة، وحولها إلى عامية، كما أن جمع الموت، أدى إلى ضعف مستوى السرد، "فمن يعلق هالعلقات بموت هالموتات"[1].

كما أن استخدام الكاتب لألفاظ غير عربية، وإن أدت وظيفة دلالية تاريخية، أثر في ضعف مستوى لغة الرواية السردي، فاستخدام لفظة "عسملية"[2] التركية الأصل، تعطي دلالة واضحة لتأثر اللغة العربية المحلية باللغة التركية، أثناء الوجود التركي في الوطن العربي.

وقد كان للوجود الاستعماري في البلاد العربية أثر لغوي، تمثل ببقاء ألفاظ من لغات الدول الاستعمارية في اللغة العربية، فالكلمات "جنيه" و "ليرة" ليستا عربيتين[3]، وإنما دخلتا مع الاستعمار، ولم تخرجا عندما خرج جنوده، بل بقيت هاتان الكلمتان مع غيرهما من الألفاظ الأجنبية دليلاً على التبعية الاقتصادية للدول الاستعمارية التي حلت محل الاحتلال العسكري.

إن لغة السرد في رواية موسى الفلسطيني، ترتفع أحياناً باستخدام الكاتب لألفاظ فصيحة، وتنخفض أحياناً باستخدامه لألفاظ عامية محلية وأخرى غير عربية. إلا أن لغتها السردية جاءت مفهومة، وحملت صفة صحفية، لعمل الكاتب الصحفي في مجلات الحزب الشيوعي وصحفه، ومن لغة السرد الصحفية قوله: "وتعثرت مساعي الصلح وطالت المفاوضات وتبرم الطرفان باستقبال جاهات الصلح وما يترتب على ذلك من إنفاق على الذبائح والطعام"[4].

أما الحوار ذلك الشكل اللغوي الذي يجمع بين الرواية والمسرحية، فلن يكون واحداً في الجنسين الأدبيين، فالكاتب الذي يكتب حواراً في روايته، فإنه يهدف إلى كشف طبيعة الشخصية وتطوير الحدث، ويكون هذا الحوار مقروءاً، بينما الكاتب المسرحي يجعل شخصياته تنطق بما يريد، ويكون الحوار منطوقاً. وفرق كبير آخر بين الحوار في الرواية

---

[1] المصدر نفسه، ص 66.

[2] المصدر نفسه، ص 78.

[3] المصدر نفسه، ص 25.

[4] المصدر نفسه، ص 67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمسرحية، يتمثل في أن الحوار الروائي يقرأ في أي مكـــان وأي وزمـــان، بينمـــا الحـــوار المسرحي، لا يتم إلا في قاعة مسرح أعدت خصيصاً لهذا الشأن. كما أن الحـــوار المســـرحي يستبد بالمسرحية.

فالرواية ليست صافية في لغتها، حيث تتعاقب عليها عملية ثنائية، هي السرد والحـوار، بينما المسرحية صافية ولا تنتظمها إلا حركة لغوية واحدة هي الحوار، لذلـــك فـــإن اشـــتهار الرواية بالسرد يحافظ على جنسها الأدبي، وتفرد المسرحية بـــالحوار يحـــافظ علـــى جنســـها الأدبي. أما إن طغى الحوار على لغة الرواية، فإنها تتحول إلى جنس أدبي هجين، ومع التقـــدم في عملية الكتابة سيتحول إلى جنس أدبي مستقل عن الرواية والمسرحية، ولهذا فإن الحـــوار في المسرحية يمنحها هويتها المستقلة، بينما الحوار في الرواية فيمنحها ازدواجية الهوية.

ويفضل دعاة العامية أن يكون الحوار في الرواية عاميـــاً، ليعـــبر عـــن الشـــخصيات المتحاورة، ولذلك فإن لغة الحوار لن تصل إلى مستوى لغة السرد في الرواية، ومـــن أمثلـــة الحوار في الرواية، ما دار بين عوض وابنة عمه نوره، حينما كانت تحاول اقناعـــه بالذهـــاب إلى سهرة العرس في القرية، ليعزف للفتيات على المزمار. وقد جاءت لغة الحوار متناسبة مـــع الشخصيتين المتحاورتين، فهما شخصيتان ريفيتان، وتتقنان لغة أهل الريف المحلية، وقد ظـــهر ذلك من خلال استخدام الألفاظ والتعابير الريفية المحلية، ومن ذلك:

-"يللا بلا كسل وين شبابتك.....لا وين الأرغول. اليوم يومك.

-شويه....على مهلك....ايش السيرة.

-بدنا ندبك.....وما في دقاق غيرك....يعني واللي في بالك؟

-في البلد عشرين دقاق.

-بدنا دقاق للدبكة مش للمعزى.

-غيري كثار يا بنت عمي.

-انشالله يكونو مية. بدنا اياك . ما بدنا دقاق سكحفي. يللا قوم بلا دلال"[1] .

وقد جعل حنا إبراهيم المرأة طرفاً في الحوار ، لأنه يريدها أن تكـــون نـــداً للرجـــل، فتحاوره وتحاول اقناعه والتقرب منه، وهذا ليس غريباً عن أديب يؤمن بوجـــود المـــرأة فـــي الحياة، ويرفض أن تعيش معزولة وراء جدران المنزل.

---

[1] المصدر نفسه، ص 16-17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر في لغة الحوار في الرواية ألفاظ عامية عراقية، وهذا يكشف عن طبيعة الظروف السياسية التي مرت بها فلسطين. فجيش الإنقاذ الذي تم تشكيله لمحاربة الحركة الصهيونية، تواجدت فيه عناصر عربية مختلفة، ولم يكن غريبا أن يجري حوار بين هذه العناصر، ومن ذلك:

" – زعماء يوك.

- زعماء موجود. لكن قيادة يوك" [1].

ولم تكن العربية لغة الحوار الوحيدة في الرواية، وإنما هناك حوار يجري بالعبرية مع ترجمة له إلى العربية. وقد جرى الحوار بين موسى وأحد الجنود الذين أخذوا المعتقلين، ومنهم موسى إلى قرية عربية هجرها سكانها لسلب محتويات بيوتها ونقلها إلى السجن.

وقد قام حنا إبراهيم باستخدام العبرية في الحوار، ليترك الشخصية اليهودية التي تتحدث، بعيدة عن تدخله، فتقول ما تريد بحريتها، فلا يؤسلب لغتها من ناحية، كما أن هذه الشخصية العسكرية التي حققت انتصارا على الجيوش العربية، تريد أن تظهر اعتزازها بلغة قومها، فلا تتنازل عن كبريائها، من ناحية ثانية لتتحدث بالعربية. أما استخدام موسى الحوار بالعبرية، فيعود إلى اتقان هذه الشخصية لها، حيث كان عاملا في مصانع التكرير بحيفا قبل العام 1948، ويظهر الحوار بالعبرية بين موسى والجندي في:

– أني لو زاز فلو عوفيد (لن أتحرك ولن أعمل).

- تهروج أوتي كمو هكلف(اقتلني كما قتلت الكلب).

- أني لو نازي (لست نازيا)

- لخن تعزوف أوتي(إذن اتركني)"[2].

وهكذا استمرت لغة الرواية بالانتقال من السرد إلى الحوار، فأحيانا كان السرد طويلا وصافيا في بعض فصول الرواية، فلا حوار فيه كما في الفصل الأول، الذي يمتد من ص 5–10، كما ان هناك فصولا تفتقر إلى السرد، وكأنها مشاهد مسرحية، كما في الفصلين: الرابع الذي يمتد من ص36–51، والحادي عشر ويمتد من ص 112–116.

---

[1] المصدر نفسه، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ص 154.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البناء في رواية "أوجاع البلاد المقدسة"

تتكون الرواية من عشرين فصلا، وتختلف الفصول في عدد صفحاتها، وهذا يعود إلى نوعية الأحداث والشخصيات التي يسرد عنها. ففي الرواية أحداث وشخصيات يطول السرد عنها، وأحداث وشخصيات أخرى يقصر السرد عنها.

إن فصول الرواية تختلف في عدد أحداثها وشخصياتها، لنرى أحداثا كثيرة في فصل وأحداثا قليلة في آخر.

فالفصل الأول في الرواية يمتد من ص 7–20 وفيه يقص السارد عن عمل زياد الغوري في بيسان، وحياته قبل أن يعمل في الشرطة، حيث يقوم الجيش البريطاني بنسف عدد من البيوت في القرية عام 1937، حيث كان زياد صغيراً، ثم يتابع السارد حديثه عن زياد وزملائه من العرب الذين يخدمون في مركز شرطة بيسان، ويلعبون الورق في أوقات فراغهم. ولا يعجب هذا السلوك زياداً، فينصح أبا رشيد زميله في المركز، بأن لا يلعب الورق والقمار. ثم يسرد أبو رشيد قصته التي أحب فيها "وحدة مليحة"[1]. ثم انتقل إلى سرد قصة زياد مع المرأة المتزوجة في القرية، والتي خرج بسببها من القرية منفياً، بعد أن انكشف أمره وأمرها. ثم تحدث عن عمل زياد في مركز الشرطة، وما عاناه من عنصرية الإنجليز، حيث حدث شجار بينه وبين جندي بريطاني، مما أسهم في إبعاده إلى مركز شرطة بيت لحم. وفي بيت لحم أقام زياد علاقة عاطفية مع الفتاة ياسمين التي أنقذها من اغتصاب في ليلة عيد الميلاد. ثم سرد زياد لياسمين قصته، حيث خرج من قريته منفياً لمدة سنتين، ثم تحدث عن وداع زياد لياسمين.

أما نهاية الفصل فجاءت تفاؤلية، حيث أكدت ياسمين لزياد رغبتها في أن تكون صديقة له وتمنت الزواج منه، وقبلته على خده وخرجت مسرعة، وكان زياد مرتاحاً.

أما الفصل الثاني الذي يمتد من ص 21–23، فيتحدث السارد فيه عن تأقلم زياد ببيت لحم، كما أن قربها من القدس، ساعده على قراءة الصحف والتعرف على الأحداث. ويسرد لنا عن حنين زياد لياسمين وشوقه لرؤيتها. ثم يقص عن الرجلين اللذين جاءا إلى المركز، ليطلب

[1] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهما من زياد ان يساعده في البحث عن ابنه المفقود، والذي قال إنه يريد الزواج من فتـــاة مسيحية من طائفة أخرى. ثم يعود السارد ليقص عن العلاقة بين المسلمين والمســـيحيين فـــي قريته، حيث لا تعصب ولا تفريق.

أما نهاية الفصل الثاني فجاءت تشاؤمية، حيث إن زياداً سأل نفسه سؤالاً لم يلـــق لـــه إجابة، بل بقي محتاراً.

إن العلاقة بين أحداث الفصل الأول والثاني، هي علاقة إتمام، حيث إن أحداث الفصـــل الثاني نتيجة طبيعية لتطور أحداث الفصل الأول. فأحداث الفصل الثاني تفسر ما حـــدث مـــن أحداث في الفصل الأول، فيبدو الثاني بما يحويه مقنعاً.

أما الفصل الثالث عشر فيمتد من ص 148-176، حيث يقص الســـارد عـــن عـــودة مجموعة من عشرين شخصاً فلسطينياً إلى الوطن، ولقائهم بقطاع طرق، إلا أنـــهم يتركونـــهم بسبب عددهم الكبير، ثم يسرد الدليل عبد كشوع للمجموعة قصة حقله المـــزروع قمحـــاً، ولا يسمح له اليهود بالإفادة منه. ويسرد عن لقاء المجموعة بدورية إسرائيلية واعتقالهم، ودخولـــهم إلى غرفة المحقق، الذي تعرف عليه زياد، وكان نايف بن حمدان. ويسرد عـــن لقـــاء زيـــاد بالكلب" بارود" الذي أعطاه والده لعلي حمدان، هدية لإنقاذه ابنه مصطفى. وتحدث عن الإفراج عن المجموعة، ومرافقة زياد لسعاد إلى بيت أهلها في قرية مجاورة. ويسرد عن زواج زيـــاد وسعاد، وما تعرضا له من مصاعب، حيث أبعدا إلى جنين، ومخاطرتهما بالعودة تســـللاً عـــن طريق طولكرم، وحصولهما على هويتهما عن طرق المحامي حنا عواد. ويسرد عن المشـــاكل التي واجهت أبو مصطفى، ومنها لقاؤه عند حاجز عسكري بقاتل ابنه أكرم. أما نهاية الفصـــل فجاءت تشاؤمية، حيث بكى أبو مصطفى وابنه زياد عند تذكرهما لأكرم الذي قتل فـــي يـــوم الاحتلال الأول.

أما العلاقة بين الفصل الثالث عشر والرابع عشر فتبدو علاقة توازٍ، حيـــث لـــم تكـــن أحداث الفصل الرابع عشر نتيجة للفصل الثالث عشر، فالسرد يدور في الرابـــع عشـــر عـــن الانتخابات البرلمانية والاجتماعات والمشاكل التي حصلت في القرية بين منـــاصري الحـــزب الحاكم والرفاق في الحزب الشيوعي، فحسن ابن أخي المختار يزعج المحامي حنا عواد أثنـــاء اجتماع للحزب الشيوعي في القرية، وتكاد أن تصل المنافسة إلى استخدام القوة بين الطرفين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما نهاية الفصل الرابع عشر فكانت تفاؤلية حيث ان المحامي حنا عـــواد، رفـــض أن يشتكي"حسن" الذي أزعج المحامي أثناء الاجتماع. وهذه النهاية التفاؤلية، تبين أن الكاتب الـــذي آمن بالفكر الماركسي، لا يريد ان يواجه الخصوم بطريقة الشكوى إلى محكمة الســـلطة، بـــل رفض أن يعامل حسن ابن أخ المختار بصورة جافة، على أمل أن يصل إلى الصواب بنفســـه، وهذا يعد إنجازاً للشيوعيين الذين يؤمنون أن الأشياء في الحياة موجودة بشـــكل نســـبي، وأن الشر لن يكون شراً إلى الأبد، بل يتغير إلى الخير، وهذا أملهم وطموحهم.

الفصل الأخير في الرواية امتد من ص 267-273، حيث يسرد فيه عـــن مصـــادرة الأراضي وبناء المستوطنات، وانشغال الناس بهمومهم الخاصة. ثم يســـرد لنـــا عـــن أزمنـــة متعاقبة ولها دلالة في حياة الشعب الفلسطيني، حيث تحدث عـــن ذكـــرى 1984/3/30 يـــوم الأرض، ويوم العمال العالمي 1984/5/1، والذكـــرى الســـابعة عشـــرة لحـــرب حزيـــران 1984/6/5، وذكرى مجازر صبرا وشاتيلا 1984/9/22، ثم يسرد لنا عن دعـــوة (موشـــي ليفي) صديق زياد وشريكه في العمل لإنشاء حركة سلام، ودعوة زيـــاد لإنشـــاء مثـــل هـــذه الحركة.

وقد كانت نهاية الفصل الأخير في الرواية تفاؤلية، وذلك بدعوة زياد إلى إقامة حركـــة للسلام الآن لتنهي القتل بين العرب واليهود. وقد جاءت هذه النهاية متطابقة مع توجه الكـــاتب حنا إبراهيم الفكري والسياسي، الذي يؤيد السلام ويرفض العنف، لإيمانه بالحياة والمستقبل.

لكن إن ألقينا نظرة على فصول الرواية جميعها، فإننا نجد أن هناك علاقة إتمام بينـــها، فما هو موجود في الفصل الأول يتمه الثاني، وهكذا، حتى تصل الرواية إلى نهايتها.

البناء في رواية "موسى الفلسطيني"

تتكون الرواية من اثنين وعشرين فصلاً، وتختلف الفصول في عدد صفحاتها، حيـــث هناك فصول طويلة وأخرى قصيرة، وذلك لامتلاء لحظات بالأحداث وافتقار أخرى بها.

فالفصل الأول الذي يُسرد فيه عن قرية تل همام بما فيها من عادات وتقاليد، ووصـــف لطبيعتها، كان تهيئة لما سيأتي من أحداث في الفصل الثاني. وقد كان عدد صفحـــات الفصـــل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناسباً لمضمونه. أما نهاية الفصل فجاءت تفاؤلية، لأن السرد فيها كان عن طبيعة القرية الهادئة.

أما العلاقة بين الفصل الأول والثاني فهي عكسية، حيث أن السارد يقص لنا عن موت زوجة عوض بأفعى، عندما كانت في بيت أهلها مرغمة، بسبب الخلافات الناشئة عن زواج البدل.ثم يسرد لنا عن نورة ابنة عم عوض، التي ألحّت عليه بالحضور إلى عرس في القرية، ثم تعرفه هناك على يسرى. ثم يذهب عوض إلى قرية العروس، ليشارك في موكب العرس إلى القرية. وقد جاءت نهاية الفصل تفاؤلية، حيث تمكن عوض من رفع الحجر الكبير الذي يسمى عمدة، لينال بذلك احترام أهل القرية وخاصة يسرى.

وقد استمرت الفصول من بداية الرواية إلى نهاية الفصل السادس في السرد لأحداث القرية وشخصياتها الخاصة.

أما في الفصول، من بداية الفصل السابع إلى نهاية الفصل العاشر، فقد عرضت لحياة أهل القرية الذين بدأوا يفكرون في قتال الإنجليز، ومن ثم شراء الأسلحة، وقيام عوض بقيادة فصيل القرية، والاشتباك مع جنود الإنجليز، واعتقال عوض وغسان فرهود، ثم الحكم عليهما بالإعدام.

وقد كانت الأحداث في الفصول تسير بشكل تطور تدريجي، فكانت أحداث الفصل السابق تتمم أحداث الفصل اللاحق. فالفصل الثالث عشر مثلاً يقص فيه السارد عن عودة موسى من المدرسة في المدينة، أثناء العطلة الشتوية، وهو مصاب بالزكام، فتستقبله يسرى وتعمل على تدفئته، وتنام إلى جانبه، فيمارسان الجنس، ثم تذهب يسرى في الصباح إلى ماضي السبع الذي يملك سيارة، لنقل موسى إلى الطبيب في المدينة، وأثناء سفرها مع ماضي تفاتحه بالزواج. ويتم زواجهما دون أن تتعرض يسرى للفضيحة. أما موسى فيعمل في شركة مصانع التكرير في حيفا، ومن بعد ذلك يتعرف على علياء ويتزوجها.

وقد جاءت نهاية الفصل تفاؤلية حيث تزوج موسى من علياء، وتزوجت يسرى من ماضي السبع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما العلاقة بين الفصلين الثالث عشر والرابع عشر فهي علاقة اتمـــام، حيـــث يندمـــج موسى بعمله في حيفا. إلا أنه يقرر الانتقال إلى فرع الشركة في لبنان عندما اشتدت الأحـــداث بين العمال العرب واليهود في مصانع التكرير. وتكون نهاية الفصل الرابع عشـــر تشـــاؤمية، حيث يترك موسى زوجته الحامل علياء عند يسرى زوجة أبيه، وينتقل إلـــى فـــرع الشـــركة بطرابلس.

أما نهاية الرواية فجاءت تفاؤلية، حيث عاد موسى وعائلته إلى فلسطين، ليمـــوت فـــي مستشفى المقاصد في القدس، بعد أن كحل عينيه برؤية وطنه الذي خرج منه في العـــام1948. وقد التقى في المستشفى بزميله القديم في نقابة العمال، (موشي مزراحي). وقد كانت النهايـــة متطابقة مع ما جرى إثر اتفاقات (أوسلو)، وذلك بعودة الفلسطيني اللاجئ إلى وطنه.

الزمن في رواية "أوجاع البلاد المقدسة"

إن أي كاتب روائي عاجز عن إنجاز عمل سردي خالٍ من الزمن وآثـــاره المختلفـــة، وإن حاول أن يأتي بعمل كهذا، فلا بد أن يفشل في مهمته وإبداعه. فالزمن موجود فينا، وفـــي الأشياء المحيطة بنا، " وهو وجودنا نفسه، وهو إثبات لهذا الوجود أولاً، ثم قهره رويداً رويـــداً بالإبلاء آخراً "[1].

فالزمن بحركته المطلقة يجعلنا نعرف الأشياء والأحداث والأحياء، فكل ما هو موجود، يخضع للزمن وتأثيره، ولا يمكن لشيء أو حدث أو كائن حي أن يشكل وجـــوده موضوعيـــاً، دون أن يشاركه الزمن هذا الوجود،فنحن " نراه في غيرنا مجسداً في شيب الإنسان، وتجـــاعيد وجهه، وفي سقوط شعره، وتساقط أسنانه، وفي تقوس ظهره، واتّباس جلده. كمـــا نـــرى أثـــر مرور الزمن وثقله وفعله ونشاطه في الإنسان حين يهرم، وفي البناء حين يبلى وفـــي الحديـــد حين يصدأ "[2].

عند قراءة عمل سردي، نجد أزمنة متعددة منها: زمن الحكاية أو المغامرة، وهو زمـــن الأحداث، والذي يعد " أول مستوى زمني يشد إليه اهتمام القارئ، باعتباره الخيط الرابط بيـــن

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 199.

[2] المرجع السابق، ص 201.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحداث المحكية في سيرورتها الدياكرونية، من ماضٍ لحاضرٍ فمستقبل"[1]، وقد يكون هذا الزمن صريحاً وقد لا يكون.

أما في رواية "أوجاع البلاد المقدسة" ، فإن هذا الزمن سهل الادراك، لان هذه المحكيات مؤرخة بشكل صريح. فالرواية تبدأ منذ العام 1947 [2]، أي أن نقطة الارتكاز الزمني فيها تعود إلى ذلك الزمن. ولم يتوقف زمن الحكاية صريحاً عند نقطة الانطلاق وحسب، بل استمر هذا الزمن واضحاً ومؤرخاً لكل المحكيات داخل الجسد الروائي، ومن ذلك " قضى زياد سحابة نهار نهاية الأسبوع الأخير من تشرين الأول من العام 1956 وشطراً من الليل يطالع مختلف الصحف"[3] ، فالزمن الذي يتحدث عنه، هو الذي حدث فيه اعتداء إسرائيلي وبريطاني وفرنسي على مصر. كما ان هذا الزمن قد جاء صريحاً في قوله "أما زيارة بيت لحم فأصبحت ممكنة بشكل لم يخطر على البال، وذلك بعد حرب الأيام الستة واحتلال الجيش الإسرائيلي ما تبقى من فلسطين إضافة إلى سيناء وهضبة الجولان"[4]. ولا يتوقف الروائي عن تقديم الأزمنة المتعاقبة للمحكي، حيث يذكر وفاة جمال عبد الناصر عام1970 [5] وحرب تشرين عام1973 ويوم الأرض عام 1976، وزيارة الرئيس المصري السادات إلى القدس عام1977 وغزو إسرائيل للبنان عام 1982 ، ومجازر صبرا وشاتيلا، إلى أن تصل الرواية في نهاية زمنها المحكي في 1984/9/22 ذكرى مجازر صبرا وشاتيلا.

تبقى الحوادث والوقائع بأزمنتها المحكية عاجزة عن تقديم ذاتها ولذلك لا بد أن يتولى زمن الكتابة تحويل هذا العجز إلى إمكانية وقدرة. وهذا المستوى من الزمن قد يأتي واضحاً وقد يكون غامضاً، إلا أن حنا إبراهيم، جعل هذا الزمن صريحاً، فتاريخ نشر الرواية- الذي هو زمن الكتابة- يعود إلى العام 1997، وبهذا فإن فرقاً وقدره ثلاث عشرة سنة بين انتهاء زمن المحكي وزمن الكتابة أو السرد، أي أن السرد عن زمن المحكي قد تم بعد أن كان السارد على علم تام بكل أحداث الرواية. وقد حدد الروائي النهار الربيعي من العام 1947 نقطة انطلاق لروايته " فيختار نقطة البداية التي تحدد حاضره، وتضع بقية الأحداث على خط الزمن من ماضٍ ومستقبل، وبعدها يستطرد النص في اتجاه واحد في الكتابة، غير أنه يتذبذب

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، فصول، مجلد 12، صيف 1993، ص 130.

[2] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 7.

[3] المصدر السابق، 191.

[4] المصدر نفسه، ص 219.

[5] المصدر نفسه، ص 240-273.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتأرجح في الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل "[1] . وقد انطلق الروائي في روايته عند لحظة " تأزم درامي قوي وسط المحكي، تتشعب بعدها مساراته واتجاهاته الزمنية هبوطاً وصعوداً وتوقفاً "[2]. فزياد الشخصية الأساسية في الرواية، ينفى من قريته مدة سنتين ، لعلاقة غرامية مع امرأة متزوجة، مما اضطره أن يخدم في شرطة الانتداب البريطاني في بيسان. ولم تجر الأحداث في الرواية متتالية وفق زمن حدوثها، بل هناك تحريفات زمنية، جعلت الأحداث متباعدة ومعزولة أحياناً، أي أن زمن الكتابة لم يتطابق كلياً مع زمن الحكاية أو الوقائع، كما يحدث هذا التطابق في حالة التوازن المثالي بين زمني الحكاية والكتابة في الروايات الكلاسيكية. وقد ظهرت التحريفات بين زمني الكتابة والحكاية من خلال "الاسترجاع الذي يتمثل في إيقاف السارد لمجرى تطور أحداثه، ليعود لاستحضار أو استذكار أحداث ماضية"[3] ، لكن ينبغي للأحداث المسترجعة أن لا تخرج عن زمن المحكي الأول، وقد ظهر هذا في " أن يبتسم بحرارة حين رأى نفسه في المرآة، يعتمر القلبق البوليسي الذي يرتبط في ذهنه بذكرى مؤلمة. كانوا رجالا يعتمرون القلابق ويرتدون بزات سوداء هم الذين أخرجوهم من البيت، كما أخرجوا كل أهالي القرية وجمعوهم على البيادر . وحين عادوا كان أكثر من ربع بيوت القرية قد نسفت أو أحرقت، وكان من بينها بيتهم، جرى ذلك في أحد أيام تشرين الثاني من العام 1937، كان زياد آنذاك صبيا صغيرا"[4].

ويستمر الاسترجاع في الرواية، عندما تذكر زياد " صورة والده يوم الاحتلال عاري الرأس كما لم يره من قبل، رأى وجه أمه المبلل بالدموع، وهي تنظر إلى جثة ابنها، دون أن يسمح لها بالاقتراب، رأى وجوه القتلى الأربعة وهو يحشرهم في قبر مشترك، وأحس برغبة في البكاء، لكن شريط تأملاته انقطع، قطعه هذه المرة حمار محمل بفراش"[5] ، فالاسترجاع حدث لزياد وهو يعود متسللا مع مجموعة من الفلسطينيين من لبنان، وقد كان هذا الاسترجاع للحديث عن مداهمة الجنود القرية وقتلهم أربعة من الشباب،وكان أكرم أخوه أحدهم.

كما أن الظروف الصعبة التي واجهها والد سعاد في المدينة، صدمته وجعلته لا يتعايش معها، فصار يتذكر أيام حياته في القرية حيث أن الضيوف يأتون إلى بيته، فيقدم لهم

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 132.

[2] المرجع السابق، ص 133.

[3] المرجع نفسه، ص 134.

[4] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 8.

[5] المصدر السابق، ص 151.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطعام والقهوة، إنه الماضي الجميل الذي يحن إليه والد سعاد. وقد فسرت سعاد "موقف أبيها بأنه ناجم عن الملل وعدم تأقلمه مع الحياة في المدينة. فبعد أن كان الناس يفدون يوميا تقريبا إلى داره يشربون القهوة، ويأكل الضيوف وغير الضيوف على مائدته وتكون كلمته فصل الخطاب، صار يذهب ليجلس في المقهى حيث يدفع المرء ثمن القهوة، الأمر الذي لا يمكن تصوره في القرية"[1] .

ولم يكن الاسترجاع الشكل الوحيد في التوقف عن سرد أحداث حاضرة، والعودة إلى زمن سابق، بل إن الرواية تتضمن شكلا آخر من أشكال السرد لأحداث ماضية، فيظهر التضمين الذي "يمكن اعتباره نوعا من أنواع السرد المتقطع، بحيث يتوقف فيه الزمن المتصاعد، من الحاضر للمستقبل، ويتوارى مفسحا المجال لاستعراض حكايات فرعية أخرى، ذات مسارات زمنية مخالفة، خالقا بذلك نوعا من التشويق، مبنيا على قهر نهم القارئ في الوصول إلى مآل الأحداث المتصارعة أمامه"[2] .

ومن التضمين في الرواية:" وتساءل زياد عن حكاية بنت الحلال، وراح محمود يرويها، فكانت كما يلي: كان بائع خضراوات في سوق المدينة التقليدي، يحاول إقناع فتاة جميلة"[3] .

إن القصة الفرعية في الرواية، وما تتضمنه من أحداث، تعد هزات ونبضات تجذب القارئ وتجعله يقظا، وقد ورد هذا عندما تحدث أحد الخطباء في الندوة السياسية في الجامعة الأمريكية ببيروت، عندما كان يرد على خطيب آخر، حيث ذكر قصة الفلاح الذي زار المدينة للمرة الأولى[4]، وعندما رأى القطار، اعتقد أن القطار حيوان يمكن إيقافه بالعصا، وقد نتج عن ذلك موته تحت عجلاته.

أما سرعة النص الروائي فليست واحدة، ولا يمكن لروائي أن يجعل نصه يسير وفق سرعة واحدة ثابتة، من بداية الرواية أو نقطة الانطلاق فيها إلى نهايتها، بل لا بد أن "تتراوح سرعة النص الروائي من مقطع لآخر بين لحظات، قد يغطي استعراضها عددا كبيرا من الصفحات، وبين عدة أيام قد تذكر في بضعة أسطر، فالنص الروائي أو السردي عامة، لا

---

[1] المصدر نفسه، ص 192.

[2] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 133-134.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 28.

[4] المصدر السابق، ص 145.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكنه أن ينطلق بدون إيقاع، يتراوح بين السرعة المفرطة، كتلك التي تحدث أثناء الحذف مثلا، والبطء المتناهي أو التوقف الزمني شبه التام المتمثل في الوقفات الوصفية"[1] .

وقد وجدت أن هذه الرواية، تسير وفق سرعات متعددة ، ففيها سير عادي من ناحية وسرعة كبيرة خاطفة من ناحية أخرى، حيث يظهر الحذف الذي يتمثل في "أقصى سرعة ممكنة يركبها السرد، وتتمثل في تخطيه للحظات حكائية بأكملها، دون الإشارة لما حدث فيها، وكأنها ليست جزءا من المتن الحكائي ، وينقسم إلى قسمين: حذف محدد، وحذف غير محدد، أو وحدة من زمن الحكاية، لا تقابلها أية وحدة من زمن الكتابة"[2].

ومن الحذف غير المحدد في الرواية قوله:" ولم يكن قد عرف بتفاصيل مأساة قرى تلك المنطقة"[3]. أما الحذف المحدد في الرواية فمنه قوله: "وانقضى يومان طويلان جدا قبل أن يعود الأسرى المحررون"[4] ، إلا أنه لا يوجد سرد عنهما بما فيهما من أحداث.

كما ويظهر الحذف المحدد في قوله: "ومر أسبوع وأخذت الحياة تعود إلى مجراها الطبيعي"[5] ، فعلى الرغم من أن الزمن الذي مر قد بلغ أسبوعا كاملا، إلا أن أحداثه لا تساوي شيئا، فلا نعرف عنها أي شيء.

ويظهر الحذف في قوله:"وبالمناسبة فهو يسكن في مخيم شاتيلا ومتزوج وله ولد وبنت، أسماهما على اسمي جدي وجدتي . وله عيادة في المخيم . وفي الصيف التالي، أي في أثناء عطلة المدارس ، التقى الجميع في نيقوسيا"[6] ، فالنص كان من رسالة بعثها عاصم بن أكرم إلى عمه زياد، ليخبره عن لقائه في موسكو بعمه الدكتور عادل . وهنا انتهت الرسالة، وبين انتهاء عاصم من رسالته إلى "وفي الصيف التالي"، لا نعرف شيئا عن الأحداث التي حصلت، لعدم وجود سرد عنها.

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 137.

[2] المرجع السابق، ص 138.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 110.

[4] المصدر السابق، ص 158.

[5] المصدر نفسه، ص 158.

[6] المصدر نفسه، ص 235-236.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتعدد السرعة في سرد أحداث الرواية، حيث توجد خلاصة والتي "هي شكل من أشكال السرد، يكمن في تلخيص حوادث عدة أيام أو عدة شهور أو سنوات في مقاطع معدودات أو في صفحات قليلة ، دون الخوض في ذكر تفاصيل الأشياء أو الأقوال، أو وحدة من زمن الحكاية، تقابلها وحدة أقل من زمن الكتابة"[1] ، ومن أمثلة الخلاصة في الرواية قوله: "وجاء محقق شاب أنيق الهندام، جلس في مقعد خلف الطاولة، وراح يوجه إليه بعض الأسئلة، دون أن يكتب شيئا على الورق. ذهب وما عتم أن جاء محقق غيره. وضع الكرسي عند طرف الطاولة وكان حديثه أشبه بدردشة منه بالتحقيق الجاد"[2]. ونحن لا نعرف تفاصيل الأسئلة التي وجهها المحقق، وكذلك إجابات زياد عليها. كما أن المحقق الثاني كان حديثه أشبه بالدردشة، التي لا نعرف تفاصيلها.

كما إن الخلاصة وإعطاء معلومات سريعة غير تفصيلية تظهر في قوله: "ولكن هذا لم يمنعه من اللقاء في قبرص بعد عامين. وكان عاصم يومها مترددا بين حب قضاء العطلة بين أهله أو العودة إلى موسكو، خشية أن يتعرض في المطار إلى ما تعرض له قبل عامين"[3]، فاعتقال عاصم عند عودته مع أهله إلى البلاد في المطار، لم يمنعه من الذهاب بعد عامين إلى قبرص، ليلتقي بعمه عادل، أي أن هذين السطرين لم يسردا عن تفاصيل أحداث سنتين، بل جاء السرد عنهما مختصرا إلى حد كبير.

أما الوقفة السردية التي "تقوم على الإبطاء المفرط في عرض الأحداث، لدرجة يبدو معها وكأن السرد قد توقف عن التنامي، مفسحا المجال أمام السارد لتقديم الكثير من التفاصيل الجزئية على مدى صفحات وصفحات، أو إذا قابلت وحدة من زمن الحكاية وحدة أكبر منها من زمن الكتابة"[4]، وقد ظهرت الوقفة في قوله: "وفي هذه اللحظة، اندفعت قطة إلى داخل البيت، يلاحقها قط أسود حشرها في زاوية في محاولة أزلية لتخليد النوع. ولم تكن القطط بحاجة إلى النظر إلى الروزنامة، لتعرف أن شهر شباط قد حل، لتستجيب لنداء الطبيعة. ويبدو أن القطة لم تكن راضية تماما، إذ ظلت تموء بشدة، وتحاول عض شريكها، الذي كان يبدو وكأنه واثق من استسلامها في نهاية الأمر"[5].

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 139.

[2] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 132.

[3] المصدر السابق، ص 239.

[4] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 140-141.

[5] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مسألة الاسقاطات ، أي تأثير زمن الكتابة على زمن الحكاية، فيبدو أن الكاتب لم يتمكن من التخلص منه، بل بقي تأثير زمن الكتابة على زمن الوقائع والأحداث واضحا في أكثر من مكان في الرواية، ومن ذلك قوله:"وماذا تفعل في بيت لحم. هل أنت طالب في مدرسة ما؟ يمكن قول ذلك. لكن ليس في جامعة، بل في مدرسة البوّليس"[1].

إن زمن الحكاية في هذا النص، يعود إلى ما قبل العام 1948، ولم تكن جامعة بيت لحم قد وجدت. كذلك فإن زمن الكتابة ترك أثره على زمن الحكاية في قوله: " قضى زياد ليلة في أحد فنادق القدس الشرقية، تناول الفطور بسرعة، واستقل سيارة أجرة أخذته إلى بير زيت، وفاته أن يوم الأحد يوم عطلة"[2]، فزمن الحكاية هنا بعد حرب 1967 مباشرة، حيث ذهب زياد إلى بيت لحم ومعه تصريح، ليتمكن من معرفة مصير ياسمين التي عرف أنها تزوجت من أستاذ جامعي في بير زيت، ولكن جامعة بير زيت لم تكن جامعة في ذلك الزمن، بل كانت مدرسة، ولم تصبح جامعة إلا بعد منتصف السبعينات من القرن العشرين.

ويبدو زمن الكتابة شديد التأثير على زمن الحكاية في قوله :"وجاء دور زياد ليندهش، كانت تلك أنعام، وقبل أن يصحو من الدهشة فتحت أنعام باب السيارة، فتدفق مطر وبرد داخلها، وراحت تشد بيد الولد، انزل يا ابني، ولكن الولد الذي لم يكن يعي معنى ما يجري ، لم يكن متحمسا للخروج من دفء السيارة إلى البرد والمطر"[3].

إن زمن الحكاية في المقطع، يعود إلى الفترة التي تلت حرب 1967، والولد الذي كان مع أنعام، هو ابن زياد، الذي حملت منه عندما دخل إلى مخدعها ليلا قبل العام 1948، أي أن هناك فرقا زمنيا، يقارب العشرين سنة، فكيف لهذا الشاب زمنيا أن يكون ولدا لا يعي ما يحدث بين أمه وبين هذا الرجل الذي وقف بسيارته لينقلهما؟!

وتكتمل صورة تأثير زمن الكتابة على زمن الحكاية، بشأن المقطع المتعلق بالولد، عندما نجد في المقطع التالي ما يعزز صحة زعمنا، حيث "ألقى نظرة على الولد. ذكره الولد

---

[1] المصدر السابق، ص 19.

[2] المصدر نفسه، ص 229.

[3] المصدر نفسه، ص 231.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصورة مألوفة، ذكره بصورة قديمة لفتى في مثل عمره أو اكبر قليلاً. كانت صورته هو، صورة زياد"[1].

وبهذا فإن الرواية كانت تسير في معظمها إلى المستقبل، قادمة من الماضي، عبر جسر الحاضر، إلا أن سرعة النص، لم تكن واحدة من بدايتها إلى نهايتها. فإذا قمنا بتقسيم صفحات الرواية على زمن أحداثها وهو 47 سنة، سنجد أن كل سنة تحتاج إلى أكثر من خمس صفحات كتابة، إلا أن هذا لم يتحقق، لأن السرعة المتغيرة تقلل أو تزيد من هذه الصفحات والسطور، ومن أمثلة ذلك، الصفحات 218 و 219، ففيهما زمن مدته خمس سنوات. كذلك فإن زمن الحكاية للفصول الممتدة من الأول إلى نهاية الثالث عشر، يعود إلى الفترة الممتدة بين 1937 إلى 1948، بينما زمن الحكاية في الفصلين الرابع عشر والخامس عشر فيمتد من 1948 إلى 1956. أما في الفصلين السادس عشر والسابع عشر فيمتد زمن الحكاية من 1956 إلى 1967، أما الفصل الثامن عشر فإن زمن الحكاية فيه، يمتد من 1967 إلى 1970. أما زمن الحكاية في الفصل التاسع عشر فيمتد من العام 1971 إلى 1982. أما الفصل الأخير فإن زمن الحكاية فيه، يمتد من 1982 إلى 1984. أي أن هناك زمن حكاية فيه استطراد في السرد والكتابة، وزمن حكاية آخر فيه اقتضاب للسرد.

الزمن في رواية "موسى الفلسطيني"

الأحداث والوقائع تتسابق، لتأخذ شهادة ميلادها، من "هذا الشبح الوهمي"[2] ، الذي يسمى الزمن، فبدونه لن تتمكن من الوجود، ولا من ترتيب هذا الوجود. وحتى تحفظ هذه الوثيقة الشخصية للأحداث، فلا بد من تسجليها وكتابتها. وهذه الكتابة " تفرض عند التعبير تتابعاً في الأفعال، فحادثان أو فعلان وقعا في وقت واحد، لا يمكن أن يعرضا إلا واحداً بعد الآخر، على أن يشار لتزامنهما في الوقوع، بعبارة متواضع عليها(في الوقت نفسه). أي أن التزامن في الأحداث، يجب أن يترجم إلى تتابع في النص"[3].

---

[1] المصدر نفسه، ص 232.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 199.

[3] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن زمن الحكاية أول مستوى زمني، يشد انتباه القارئ للعمل السردي، حيث لا بد من معرفة الزمن الذي تجري فيه الوقائع، وهو في "موسى الفلسطيني" زمن واضح وصريح، حيث "يزمنن الأحياء والأشياء"[1]. ولذلك فإن الرواية ومنذ بدايتها، تؤرخ الأحداث والوقائع، أي أن نقطة الارتكاز أو الانطلاق الأولى، التي اختارها الكاتب، محددة بشكل واضح، بحيث "لم تكن الشمس قد غابت في أصيل يوم قائظ من خريف عام1934، ولكن قرية تل همام، كانت تبترد في ظل جبل البلان"[2].

ولم يتوقف زمن الحكاية في الرواية عند نقطة الانطلاق، بل استمر هذا الزمن الحكائي عندما ورد الحديث عن " النبأ الرئيسي ليتحدث عن إضراب شامل غير محدود، دعت إليه الزعامة العربية، احتجاجاً على سياسة بريطانيا، التي تسهل هجرة اليهود وتملكهم للأراضي"[3]، فعلى الرغم من أن زمن الحكاية هنا ضمني وغير مصرح به، إلا أنه معروف من السياق، وهو الإضراب الشامل الذي قام به الشعب الفلسطيني في العام1936، احتجاجاً على سياسة بريطانيا.

كما ويأتي زمن الحكاية واضحاً في الرواية، عندما " تقرر تنفيذ حكم الإعدام يوم أول ثلاثاء من شهر أيلول 1938"[4]، كما ظهر زمن الوقائع صريحاً، حينما" انسحب ما سمي بجيش الإنقاذ من الجليل، قبل نهاية تشرين الأول من العام1948"[5].

وهكذا يستمر زمن الحكاية في الرواية، بين التلميح والتصريح حتى نهايتها في العام1993.أما زمن الكتابة في الرواية، فيعود إلى العام 1998، ولا يمكن لهذا الزمن أن يسير بشكل مثالي مع زمن الأحداث، من بداية الرواية إلى نهايتها، لأن " له مضاعفات سلبية على طبيعة الرواية المكتوبة، محولاً إياها لنص بلا ذاكرة"[6] .

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 201.

[2] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 5.

[3] المصدر السابق، ص 66.

[4] المصدر نفسه، ص 105.

[5] المصدر نفسه، ص 143.

[6] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا فإن الكاتب عندما انطلق من نقطة الارتكاز التي حددها بالعام1934، لـم يجعـل الأحداث تسيطر عليه وتفرض عليه السير إلى جانبها ومعها، بل خالف سيرها عندما قـرر أن يعود في روايته، إلى زمن سابق على زمن نقطة الانطلاق، فبدا الاسترجاع لأحـداث زمـن ماضية، ومن ذلك "وفي فترة الحرب العالمية الأولى، فرضت الحكومـة العثمانيـة ضريبـة حطب، على أهالي القرى، بعد أن نفذ مخزونها من الفحـم الحجـري، الـذي كـان وقـوداً للقطارات"[1].

ومن التحريفات الزمنية والمتمثلة بالاسترجاع في الرواية قوله:" تذكر أباه الذي شـنق في عكا أيام الثورة، تذكر دموعه التي كانت تسيل على وجنتيه بصمت، وملامحه التي يحـاول أن يبقيها جامدة، حتى لا يقال أنه يخاف من الموت"[2].

كما أن الرواية لا تخلو من التضمين الذي ينتقل فيه الكاتب من سرد أحـداث القصـة الرئيسة إلى سرد أحداث القصة الفرعية قوله:" في صبيحة اليوم التالي، دعي الأقارب لتنـاول ما يدعى لقمة السعادة، ولاحظ عوض، أن السعادة لم تكن تبدو على الوجوه. تساءل عمـا وراء هذه الوجوه المتجهمة، قيل إن الحكومة ستشق شارعا للسيارات، يقطع السهل من أولـه إلـى آخره"[3]، فالتضمين حصل بالانتقال من سرد القصة الأساسية، وهـي تقديـم التهنئـة لعـوض ويسرى بمناسبة زواجهما، إلى سرد القصة الفرعية وهي شق شارع في أرض القرية.

أما سرعة السرد في الرواية، فليست ثابتة من بدايتها إلى نهايتـها، فـهناك سـرعات مختلفة. والرواية التي امتد الزمن الحكائي فيها من عام 1914إلى العام 1993، تختلف سـرعة السرد فيها من فصل إلى آخر ومن صفحة إلى أخرى، ومن المعروف أنه" يمكـن أن تقـاس السرعة في الرواية، بالعلاقة بين المدة الزمنية في القصة، مقيسة بالثواني والدقائق والسـاعات والأيام والشهور والأعوام، وبين طول النص في الرواية، مقيسا بالأسطر والصفحات وعندئـذ ستكون رواية الدرجة صفر هي الرواية التي تقوم على سرعة ثابتة لا تتغير، لا إبطاء للإيقـاع فيها ولا إسراع"[4].

---

[1] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 5-6.

[2] المصدر السابق، ص 169.

[3] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 47.

[4] السيد إبراهيم، نظرية الرواية، ص 114.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذلك تكثر في رواية موسى الفلسطيني الحركات السردية ، ومنها الحذف الـــذي هـــو أسرع الحركات التي "يركبها السرد"[1]، في قوله: " فقد كان ينوي أن ينام إلـــى وقـــت متـــأخر معوضا ما فاته من نوم، في الموسم الذي انتهى للتو"[2]، فنحن لا نعرف ما هو الموســـم الـــذي انتهى، وماذا كان يعمل عوض في أثنائه.

ومن الحذف أيضا قوله: "أما زوجته علياء، فلم تكن تفوتها نشرة أخبـــار، ولا تتمـــالك وهي تبدي جزعها على مصير أهلها الذين تركتهم في حيفا"[3]، فنحن لا نعرف شيئا عن كيفيـــة وصول علياء، زوجة موسى إلى طرابلس، حيث تركها في القرية عند زوجـــة أبيـــه يســـرى، ليتمكن من تأمين مسكن له ولها في طرابلس، كما أنها كانت حاملا عندما انتقل إلى لبنان.

وتبدو الخلاصة واضحة في قوله: " لذلك كان زواجها من مـــاضي مخرجـــا مريحـــا للجميع. وما لبث أن أنهى دراسته الثانوية. وجد وظيفة في مشاغل شركة بترول العراق فـــي خليج حيفا. ساعده في ذلك أبو أحد زملائه في المدرسة، ذو علاقات وثيقة مع علية المجتمـــع، استأجر شقة متواضعة في المدينة ولم يعد يزور القرية إلا لماما فـــي الأعيـــاد والمناســـبات. وتعرف إلى فتاة التقى بها في إحدى الاحتفالات"[4]. لقد ظهرت في هذا المقطع أحداث كثـــيرة، من زواج يسرى بماضي السبع، وإنهاء موسى دراسته الثانوية، وعملـــه وســـكنه فـــي حيفـــا وتعرفه على فتاة من المدينة، لكننا لا نعرف تفاصيل هذه الأحداث ، حيث بدت الكتابـــة عنـــها قليلة ولا توازي الأحداث ذاتها.

أما الوقفة الوصفية في الرواية، فنجدها واضحة في الفصل الأول بصفحاتـــه مـــن 5-10، حيث يبدو وكأن لا سرد فيه، وهذا يظهر في قوله: "كانوا يستعملون الجذوع والأغصـــان ليسقفوا بها بيوتهم المبنية من الحجر، بقناطر يتناسب عددها طردا مع حالـــة صـــاحب البيـــت المادية، وتتراوح المسافة بين الواحدة والأخرى من ثلاثة أذرع إلى أربع ، مما يتناســـب مـــع طول الجذوع المقطوعة لهذا الغرض . وكانت الفجوات بين الجـــذوع تغطـــى بطبقـــة مـــن الأغصان الدقيقة، توضع فوقها طبقة من الطين، تغطى بالتراب، ثم توضع فوقه طبقة عليا مـــن

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن، فصول، ص 138.

[2] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 71-72.

[3] المصدر السابق، ص 141.

[4] المصدر السابق، ص 129.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطين، تتجدد كل عام لمنع الدلف وتسرب ماء المطر إلى أخشاب السقف"[1]، فالوقفة الوصفية تفيد في وقف السرد للأحداث، وتصوير المظهر الخارجي، وتقضي على الملل الذي قد يسببه السرد، كما أنها تبين مقدرة الكاتب على الوصف.

إن زمني الحكاية والكتابة لم يتوازيا في الرواية، حيث نجد فصولا تغطي مساحات زمنية قليلة، ومنها في الرواية: السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر، حيث أن زمن الحكاية فيها يعود إلى الفترة الممتدة بين العامين 1936-1938. ومن أحداث هذه الفترة: خروج محمود إسماعيل وخليل العازر من السجن وزيارة عوض ويسرى لهذين الشخصين في بيتيهما. كما يتم العثور على جثة أمين العلي في بئر مهجورة ، كما ويحضر شخص إلى القرية يدعي أنه مبعوث من الثورة ، ليجمع المال من أهل القرية لشراء السلاح، كما ويتم تأليف فصيل للثوار بقيادة عوض. كما يحدث موت سحاب زوجة سعيد الأجرد بلدغة أفعى، كما نجد أن فصيل تل همام ، يضع لغما يؤدي انفجاره إلى قتل عدد من الجنود البريطانيين، ويقوم الجنود بعد ذلك باعتقال عوض الموسى وغسان فرهود، ثم يقدمان إلى المحكمة العسكرية فتحكم عليهما بالإعدام شنقا.

إن هاتين السنتين مليئتان بالأحداث والوقائع ، التي يحتاج سردها إلى فصول وصفحات كثيرة.

إلا أن السرد يختلف في الفصل التاسع عشر الذي شمل فترات زمنية طويلة جدا، تمتد من انتقال موسى للعمل في مخازن وكالة الغوث في جنوب لبنان، ثم عمله معلما في مدارسها في عام 1949، ثم ما جرى في العام 1956 من عدوان ثلاثي على مصر. وتأسيس الفلسطينيين منظمة في العام 1965، وهزيمة العام 1967، ثم حرب أيلول في الأردن عام 1970 ، وحرب تشرين الأول عام 1973، ثم الحرب الأهلية في لبنان عام 1976، واستشهاد عوض بن موسى في مخيم تل الزعتر.

إن زمن الحكاية في الفصل التاسع يمتد سبعا وعشرين سنة، بينما لم يزد سرد أحداثه عن عشر صفحات .

---

[1] المصدر نفسه، ص 5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك فإن هناك قفزاً زمنياً في الفصل العشرين، فزمن الحكاية فيه يعود إلى العام 1982، حيث يصاب موسى وهو يدافع مع رفاقه عن بيروت ثم ينقل للعلاج في المستشفى، أما الفصل الذي يليه، فزمن الحكاية فيه هو العام1993 بعد توقيع اتفاق أوسلو وعودة بعض الفلسطينيين عن طريق جسر الأردن. فبين التاريخين 1982 و1993 حدثت وقائع كثيرة، لكن لم نجد لها موقعاً في الرواية.

لقد حدثت في الرواية بعض إسقاطات زمن الكتابة على زمن الحكاية، بتأثير الذاكرة الخداعة، ومنها: "وقال على مسمع عائلة المغدور، أنه ذهب إلى عز الدين القسّام، طالباً إليه التدخل أو تقديم المشورة، وكانت شاعت له سمعة حسنة"[1].

إن زمن الحكاية هنا يعود إلى ثورة العام 1936، لكن المعروف أن عز الدين القسّام قد استشهد في العام 1935، أي قبل إضراب الستة وثلاثين وثورتها، ومقتل أمين العلي كان بعد انتهاء ثورة 1936، فكيف يمكن لجاهة الصلح أن تذهب إلى القسّام، لتطلب رأيه في قضية حدثت بعد استشهاده بسنة؟!

ومن إسقاطات زمن الكتابة على زمن الحكاية، ما ورد من سرد عن أحداث العام1948، حيث يقول: "حصل هذا قبل الحرب.وكنت يومها اعتقد مثل الأخ المحترم، أن بإمكان الجيوش العربية، أن تقضي على إسرائيل بهجمة واحدة من كل الجهات. لكني لم أكن من دعاة الحرب، وفي الواقع، كنت أشفق على اليهود الذين لقوا على يد النازيين ما لقوا"[2]. فالمقصود بالحرب هنا، حرب العام 1948، ولم تكن إسرائيل قد أصبحت دولة، قبل هذا التاريخ.

الشخصية في رواية "أوجاع البلاد المقدسة"

تعد الشخصية عنصراً أساسياً في العمل السردي، وبدونها يتحول إلى قطعة من الحجر لا حياة فيها، فيتوقف الحدث عن النمو والتصاعد، وتصبح "اللغة خرساء"[3]، ويفقد الحيز

---

[1] المصدر نفسه، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص 182.

[3] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معالمه ويتحول إلى صحراء غير واضحة الاتجاهات، فيضيع فيها كل عابر، ويفقد بغيابها الزمن معناه، فلا نعرف الماضي من الحاضر من المستقبل.

إن شخصيات العمل الروائي كائنات ورقية غير تاريخية، إلا أن الكاتب الواقعي، يجدها في الحياة، فيسطرها صفحات إبداعية مشرقة، فتثير في نفوسنا الكثير من التأييد لبعضها، والرفض لبعضها الآخر، بحسب قربها من حياتنا أو بعدها عنها. فقد يحدث أن نتضامن مع شخصيات ورقية من فضاء النص، تعبر عن طموحاتنا وآمالنا، ونقف ضد شخصيات أخرى تعبر عن نقيض آمالنا. فنحن نحب الشخصية الديناميكية الحيوية في الحياة، والتي تكون مثلاً يحتذى عند الناس، فيقلدون حركاتها، وشكل ملابسها وألوانها، والأطعمة والأشربة التي تفضلها، وكلماتها التي تنطق بها. فهذه الشخصية تتأثر بما يحيط بها، فتتغير وتتطور، ولا تقف جامدة وهامدة "كجلمود صخر حطه السيل من عل"[1]، بل تنتظم بحركة مطلقة وتأبى الموت في حياة سريعة في إيقاعها، فهي "الشخصية المدورة، التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنها متغيرة الأحوال، ومتبدلة الأطوار، فهي في كل وقت على شأن"[2].

لكن شخصيات الرواية ليست من نوع واحد إيجابي يؤثر ويتأثر، بل توجد فيها شخصيات متقوقعة على ذاتها، متحجرة في مفاهيمها، تريد أن تلغي الواقع المتغير لتفرض بدلاً منه جمودها، فصفاتها معروفة، "ويعرفها القارئ بعاطفته لا بعينه، التي لا تلاحظ إلا ترديد الاسم فقط. وهي وإن كانت قليلة، إلا أنها تؤدي خدمات جليلة"[3].

إن الشخصية الرئيسة تتردد في العمل السردي كله، فلا يحدث لها غياب، وتبقى في حالة وجود مستمرة، فتتعلق بها بقية الشخصيات، وترفض أن تكون تابعة، بل متبوعة، وتأبى أن تسلم راية العمل السردي لغيرها، فهي قائدة ورائدة، والآخرون جنود يأتمرون بأمرها، ويخضعون لكل ما يصدر عنها.

أما الشخصية الثانوية، فهي تساعد الشخصية الرئيسة، وتقف إلى جانبها، وبدونها ستفقد الشخصية الرئيسة دورها القيادي في الرواية.

---

[1] الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات، ص 40.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 101.

[3] أ.م فورستر، أركان الرواية، ترجمة كمال عياد، الناصرة، دون تاريخ، ص 84-85.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أننا نجد في الرواية الشخصية المسطحة الثابتة، التي لا تتأثر بغيرها، وتبقى على حالها من بداية الرواية إلى نهايتها، فنعرفها منذ ظهورها على صورة واحدة، ونستطيع أن نلخصها في جملة واحدة. أما الشخصية النامية فهي التي تؤثر وتتأثر بغيرها، فلا تبقى على حال واحد، ولا يمكن تلخيصها بجملة واحدة.

إن التناقض الموضوعي للحياة يفرز شكلين مختلفين من الشخصيات، فنجد شخصيات تتفاعل مع الواقع الموضوعي، فتغير فيه بفضل قدرتها الذاتية، وتتغير به بحجم قوة إصرار الواقع على تحديها، فتستمر حياتها وعطاؤها، وشخصيات أخرى تغلق عيونها وتصم آذانها لأنها غير راضية عن الواقع الموضوعي، فلا تنفعل ولا تتغير، وتجد في ذاتها إجابات عاجزة عن قهر الواقع ووقف تطوره، فتبقى معروفة ومفهومة "ويمكن التعبير عنها بجملة واحدة"[1].

إن التعبير عن الواقع ومواجهته بشكل سافر، لن يكون سهلاً على كاتب غير واقعي، بينما الأديب الذي يؤمن بمنهج فكري، لن يخجل من الكشف والمصارحة، وهو لا يصنع شخصيات مثالية تخلو من الاعوجاج، وكأنها ملائكة تفعل ما تؤمر. وحنا إبراهيم في الرواية أظهر لنا شخصيات واقعية أرضية في سلوكها وأخلاقها. فزياد الغوري شخصية محورية في الرواية، تنفى من قريتها بير الخشب، بعد انكشاف علاقة غرامية مع امرأة من القرية، كانت متزوجة لأبي عوض الذي طلقها. وتقضي جاهة الصلح بنفي زياد من القرية مدة سنتين، ويسارع أبو مصطفى لإيجاد عمل لابنه زياد بعد نفيه، في مركز شرطة بيسان. وفي مكان عملها في بيسان تصطدم الشخصية بعنصرية الجنود البريطانيين، فتزداد أوجاعها، بعد وجع النفي والفضيحة بسبب العلاقة مع أنعام، المرأة المتزوجة. إن شخصية زياد صدامية لا تعرف التراجع، ولذلك تستمر عملية صدامها مع الواقع، فلا تخضع ولا تستكين، ولا يخيفها الإبعاد مرة ثانية من بيسان إلى بيت لحم. بل وتبني حياة اجتماعية في تلك المدينة البعيدة، فهناك أصدقاء في مركز الشرطة من أمثال: محمود وفؤاد، وياسمين الفتاة التي أحبها بعد ان أنقذها من الاغتصاب. وتعود هذه الشخصية إلى بير الخشب، عندما تنشب المشاكل والاضطرابات في فلسطين، بعد إصدار قرار التقسيم في العام 1947، والتي استمرت إلى منتصف أيار من العام 1948، فتجد ذاتها مرة أخرى في مركز شرطة قرب الحدود اللبنانية، لتبني هناك صداقة جديدة مع فؤاد الشاعر. وبسبب اشتداد الاحتكاك بين العرب واليهود، وخروج الكثير

[1] المرجع السابق، ص 83.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المهاجرين العرب إلى لبنان، تعمد هذه الشخصية مع وديع الغوري إلى إنشاء لجنة شعبية لتمنع الهجرة، وتدخل قوة من الجنود الإسرائيليين إلى القرية، فتقتل أربعة من شبابها أحدهم أكرم أخيه. وتعاني العائلة أشد معاناة، لما حصل، فالوالد أبو مصطفى يبكي، ويبدو عاري الرأس، وأم مصطفى تصرخ وتبكي، ومصطفى الذي خرج بقطيعه من القرية، يصاب برصاصة في كتفه، ولا يعلم بما حدث لأخيه أكرم. وأبو طارق رئيس لجنة بير الخشب المحلية، يمر بمصطفى وهو يئن من الجرح الذي أصابه، فيصل إلى قرية المزار الدرزية ليطلب من علي حمدان أن يساعد في إسعاف مصطفى. ثم يذهب أبو مصطفى وزياد إلى قرية المزار ليطمئنا على صحة مصطفى، ثم يقرران بيع القطيع، ويقدمان الكلب "بارود" هدية إلى علي حمدان تقديراً لإنقاذه مصطفى.

إن الواقع الاقتصادي يفرض على الناس تحديات كبيرة، فزياد الذي وجد نفسه دون عمل، يخرج ليتسكع في شوارع القرية، فيقوم بترميم بيت امرأة من القرية، وعندما انتهى من عمله أغراه جمال المرأة، التي كان زوجها في المعتقل، فحاول امتلاك جسدها، إلا أنها صدته خوفاً من افتضاح أمرها، وبذلك فإن زياداً يمثل "الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة، بكل الدلالات التي يوحي بها لفظ العقدة، والتي تكره وتحب، وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير كما تفعل الشر، تؤثر في سوائها تأثيراً واسعاً"[1].

ويخرج زياد إلى لبنان تسللاً، ليحصل على تعويضات مالية لخدمته في الشرطة أيام الانتداب، والتي سيتسلمها من السفارة البريطانية في بيروت. وبعد اجتيازه الحدود، يعتقل ويلتقي مجموعة من المعتقلين. وفي النهاية يطلق سراحه، ثم يصل إلى بيروت، فيقضي فيها أياماً جميلة مع أخيه عادل الذي يدرس الطب في الجامعة الأمريكية، ثم يسلمه مبلغاً من المال. وفي مكتبة الجامعة يلتقي بفتاة فلسطينية تدعى سعاداً وتدرس في الجامعة، إلا أن ظروفها الصعبة، دفعتها للتفكير بالعودة مع زياد ومجموعة من الفلسطينيين تسللاً.

وتستمر أوجاع زياد، عندما يعتقل في طريق العودة عند الحدود، مع المتسللين الآخرين، حيث التقوا بدورية إسرائيلية، ثم نقلوا إلى مركز ريفي، ليلتقي بنايف بن علي حمدان المحقق في المركز.

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن زياداً يمثل الشخصية المدورة النامية، التي لا تدوم على حال، وترفض التراجع في أي ظرف كان، بل تتحدى. ويعتقل زياد وزوجته سعاد، ويبعدان إلى جنين، لأن الزوجة لم يكن معها هوية.

إن هذه الشخصية الرئيسة وما أحاط بها من شخصيات ثانوية، لا يمكن أن نتعرف عليها في موقف واحد، بل لا بد من متابعة أوضاعها في الظروف المتغيرة، فهذه الشخصية متفاعلة مع محيطها، فتبدو "قادرة على إثارة الدهشة فينا بطريقة مقنعة"[1].

ولكي يكون حنا إبراهيم مقنعاً في تصوير الواقع، ولتكون شخصيات عمله الروائي قادرة على التخلص من خيال الرومانسيين الجامح، الذي يرسم الواقع برؤية ذاتية، فقد جعل وديع الغوري شخصية ثابتة لا تتغير مهما اختلفت الظروف، فهو الذي يؤمن بالحزب الشيوعي ودوره ومبادئه، فيبقي منحازاً لهذا الحزب، وأصبح نموذجاً للشخصية المسطحة الثابتة في الرواية التي "لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها"[2].

إن وديع الغوري شخصية جادة في مراحل حياتها كلها، فلم يطرأ على طريقة كلامها شيء يغير من معرفتنا بها، وقد "كان زياد يعرف أن تغيير أفكار وديع من المستحيلات، لذلك لم يكن يرغب في الدخول معه في حوار عقيم، وخاصة في جو عائلي"[3].

"الشخصيات والأمثال الشعبية"

يصنع الكاتب شخصيات عمله الروائي من البيئة المحيطة، حيث تبدو شخصياته في معظمها قروية، فتتكلم لغة أهل القرية، وتكثر من استخدام الأمثال الشعبية، وقد جاء استخدامها منسجماً مع الشخصيات التي تنطق بها، في مستواها الثقافي والزمني، فالشرطي الكبير في السن أبو رشيد، يتحدث عن واقعه السيئ –حيث يلعب الورق والقمار– بمثل شعبي معبر عن موقفه ونفسيته، فعندما نصحه زياد بالابتعاد عن القمار أجابه بالمثل: "مثل ذنب الكلب لا يستقيم حتى لو وضعوه في القالب عشرين سنة"[4]. كما أن الشرطي عبد اللطيف الذي حضر

---

[1] أ.م فورستر، أركان الرواية، ص 95.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 101.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 246.

[4] المصدر السابق، ص 9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقاش السياسي، في مركز شرطة بيسان، ورأى أن المشتركين في النقاش من رجال الشـــرطة العرب، لا يعرفون الظروف السياسة بصورة واضحة، جعله يعبر عن هذا الواقع بالمثل "مـــا يفكون شكال حماره"[1].

"الشخصية والأغنية الشعبية"

تعد شخصيات أوجاع البلاد المقدسة ريفية في استخدامها للتراث الشـــعبي، حيـث أن الأعراس في القرية الفلسطينية، تغنى فيها الأغاني التراثية الشعبية، فالمغني نواف العلي يغنـي أغنية شعبية، تعبر عن عدم رضا المرأة المتزوجة من زوجها، وتتمنى موته لتـــتزوج ممـن تحبه، فيقول:

"ملت الجرة وقالت حملني　　جوزي مش نافع الله يرملني
بدي حبيبي ييجي يخطفني　　ع مهر محجل أبيض اللونا"[2]

إن شخصية نايف العلي تدعو من خلال الأغنية الشعبية، إلى أن ترفض المرأة الريفيـة واقعها، فبدت شخصية تدعو إلى التغيير الاجتماعي وتطمح إلى تحقيقه، فظـــهرت شـخصية نامية متغيرة، ترفض الواقع السيئ.

الشخصية في رواية "موسى الفلسطيني"

إن الواقع الموضوعي بما فيه من موجودات، يفرض موضوعيته على الإنسان. فوعي الإنسان للواقع ليس اختيارياً، بل مسألة خارجة عن إرادته. فـــالكون بقوانينـــه الموضوعيـــة، تعجز الذات الإنسانية عن تغيير موضوعيتـــها، دون أن تُكـوّن إرادة ذاتيـــة، لتتحـــدى هـــذه الموضوعية.

إن الكاتب في الرواية، يكتب عن واقع موضوعي يعج بالمتغيرات، فيصور الحياة فـــي قرية فلسطينية بتناقضاتها المختلفة في مراحل زمنية طويلة. وقد تميزت كل مرحلة من هـــذه

---

[1] المصدر نفسه، ص 15.

[2] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراحل بتناقض رئيس، بدا مسيطراً على أحداثها، حيث قامت بالأحداث شخصيات انسجمت مع واقعها في تناقضاته وصراعاته.

فمنذ بداية الرواية إلى بداية ثورة عام 1936، تميزت الفترة بالخلافات الاجتماعية في قرية تل همام،حيث أن القرية مقسومة إلى عائلتين متناحرتين أبي عوض والسبع، وكانت الخلافات تنشأ عندما يقف أحد أفرادهما على رأس "صف السحجة"، كما أن وجود مختار للقرية من عائلة السبع- ويكون هذا معيناً من القائمقام – يثير حساسية عند أفراد العائلة الأخرى، عندما يقوم الحادي بمدح المختار، ويقف إلى جانبه أفراد عائلته، الذين يزيدون بأهازيجهم أفراد العائلة الأخرى حساسية.

وليس غريباً أن يحدث شجار في أحد الأعراس، يشترك فيه معظم الرجال من العائلتين، ثم تتدخل جاهات الصلح، وتنتهي المشاكل باعتقال الشرطة كل المشاركين في الشجار، ويقوم قاضي المحكمة، بإصدار حكم يقضي ببناء مدرسة يتعلم فيها أولاد القرية.

وقد كانت شخصية عوض الموسى محورية في هذه الفترة. فبعد أن توفيت زوجته، أم موسى بلدغة أفعى في الحقل عندما كانت في بيت أهلها، وتركت وراءها موسى وسميحة الصغيرين، عجزت أمه عن خدمتهما، مما جعلها تصر على زواجه. ولكن أهل يسرى رفضوا تزويج ابنتهم لعوض، بعد أن حكم القاضي على أفراد العائلتين المعتقلين ببناء مدرسة.

وقد ظهرت في الرواية في هذه الفترة، شخصيات ثانوية، ساعدت على تطوير الأحداث، منها: أبو غسان، سليم فرهود، الذي عاد من أمريكا، وفتح دكاناً في القرية، وكان يعمل على إصلاح ذات البين بين العائلتين الكبيرتين المتشاجرتين، لكونه من عائلة مسيحية لا تدخل في النزاعات القروية. كما ظهر من هذه الشخصيات ، يوسف المصري، الرجل الكبير في السن الذي رافق جد عوض في رحلات تجارية إلى حيفا وطبرية. كما وتظهر شخصية زيد ابن أخ المختار، الذي يستفز أفراد العائلة الأخرى بأغانيه في الأعراس. كما ويظهر أبو غازي، الرجل خفيف الظل، فيعمل على تهدئة الاحتكاكات بين زيد وعوض.

وقد كانت الشخصيات في الرواية في هذه الفترة، منحازة عائليا ، حيث كان الاستقطاب عائليا، ولم يكن يشغل بال الناس إلا أمورهم العائلية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما يتغير الواقع الذي يعيش الناس فيه ، فإن ذلك ينعكس على سلوك الناس في قرية تل همام، وهذا يبدو واضحا، عند قيام ثورة 1936، حيث يقوم ثلاثة من الملثمين، بسطو مسلح على بيت أبي غسان، سليم فرهود، فيسلبون حلي زوجته، فيذهب إلى بيت عوض مبكرا، ليعلمه بما حدث. ثم يقوم المختار باستدعاء عوض ورجال القرية إلى بيته، ليجدوا هناك شيخا ادعى أنه مبعوث من الثورة، ويطلب من أهل القرية مالا ليشتري به سلاحا ليدافعوا عن أنفسهم. إلا أن "عوض" الشخصية المحورية في هذه الفترة يرفض أن يلبي رغبة هذا الشيخ، مما جعله يخرج من بيت المختار مهزوما. ثم يقرر المجتمعون في بيت المختار شراء عشرة بنادق، ويتنازل المختار لعوض عن قيادة فصيل التل المسلح. ويقود عوض فصيله في مهمات قتالية ضد الجنود البريطانيين.

كما أن "عوض" أصبح مسؤولا عن حل الخلافات الاجتماعية في القرية، فيذهب سعيد الغضبان إلى عوض، ليطلب إليه أن يحقق في ظروف قتل أمين العلي الذي وجدت جثته المتعفنة في بئر مهجورة. ويتمكن عوض من معرفة القاتل، والذي كان له علاقة غرامية بسحاب زوجة سعيد الغضبان،ثم معرفته بسبب موت سحاب بلدغة أفعى في بيتها، حيث اصطادها لينتقم من خيانتها له مع أمين العلي.

كما أن عوض الموسى وغسان فرهود، يرفضان القيام بعمليات إزعاج للجنود البريطانيين، فيضعان لغما ينفجر بسيارة للجنود ، ويقتل عدد من جنودها، مما دفع الجنود لاعتقال عدد كبير من أهل القرية، ودفع سليم فرهود للهجرة إلى أمريكا مع أفراد عائلته.

وقد كان حنا إبراهيم موفقا في رسم شخصياته، حيث أن المختار رفض أن يتولى ابنه مسؤولية فصيل الثوار، وفضل أن يكون عوض مسؤولا عنه. كما أن "عوض" أصبح مسؤولا عن الوطن والدفاع عنه مع فصيله، وابتعدت جاهات الصلح العشائرية، بعد أن أصبح الثوار يحلون المشاكل الاجتماعية.

لقد كانت شخصية عوض محورية في هذه الفترة القاسية من حياة القرية، وأصبحت هذه الشخصية منحازة إلى القضية الوطنية.

أما الفترة التالية لثورة 1936، فإن موسى عوض أصبح الشخصية المركزية في الرواية، فهذا الولد كان يدرس في مدرسة داخلية في حيفا، يعود إلى القرية مريضا بالزكام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبرد، ليجد يسرى زوجة أبيه إلى جانبه في الفراش، فيمارسان الجنس، وتخاف يسرى عاقبة ذلك، فتذهب إلى ماضي السبع الذي كان يطمع بالزواج منها قبل عوض . والذي تعهد بدفع تكاليف تعليم موسى بعد إعدام عوض، وتفاتحه بالزواج، ويتم الزواج، وتنجو يسرى وموسى من الفضيحة. ثم يبقى موسى في حيفا بعد تخرجه من المدرسة، ليعمل في مصانع التكرير، ويتعرف في المدينة على علياء التي أصبحت زوجة له. وفي الفترة التي تلت قرار تقسيم فلسطين يبقى موسى شخصية مركزية تدور من حولها الشخصيات الأخرى. ففي مكان العمل يقيم موسى علاقة بين نقابتي العمال اليهودية والعربية، وذلك من خلال شخصية زميله (موشي مزراحي). ثم يشهد موسى الأحداث والاضطرابات الشديدة في مصانع التكرير، ويقوم بحماية زميله (موشي) من الموت، عندما هاجم العمال العرب مكتبه. ونتيجة لذلك يقرر موسى أن ينتقل إلى فرع الشركة في طرابلس بلبنان. وعند سقوط حيفا وبقية المدن والقرى بأيدي اليهود، يخرج موسى إلى جنوب لبنان، ليبحث عن أهله وأهل زوجته ليعرف مصيرهم، إلا أنه يفشل في ذلك ، فيقرر العودة إلى حيفا عن طريق قبرص بالسفينة، ويعتقل عند وصوله، وينقل إلى السجن، فيعمل على تنظيم أمور المعتقلين فيه، مما دفع سلطات السجن إلى نقله إلى سجن آخر، ثم يبعد بعد ذلك إلى جنين، ليعود عن طريق الأردن فسوريا فلبنان ثم إلى طرابلس،ليجد زوجته علياء في حالة سيئة، حيث كان صاحب الشقة يضايقها لتدفع أجرة الشقة، ثم يقوم باغتصابها بعد أن اقتحم شقتها وهي نائمة.

ولم تكن شخصية موسى وحيدة في هذه الحقبة الزمنية، بل نجد شخصيات أخرى ثانوية ، منها صاحب الشقة الذي اغتصب علياء ، وأم فؤاد اللبنانية جارة علياء، وأحمد جمال وسامي خوري ، زميلا موسى في مصانع التكرير، اللذان كانا أيضا في المعتقل. كما يلتقي موسى في جنين بالشاب خليل، ويعطيه مبلغا من المال، وينصحه بالعودة إلى الناصرة.

وفي لبنان يعمل موسى في وظيفته السابقة مدة عام، ثم يعمل في مخازن وكالة الغوث، ثم يعمل معلماً في إحدى مدارس الوكالة. وتستمر شخصية موسى في تغيراتها لتجد ذاتها تعمل في صفوف المنظمة الفلسطينية، كما التحق عوض بن موسى بالعمل العسكري ويموت شهيدا في تل الزعتر. ولا يتوقف نمو شخصية موسى وتضحيتها، فيصاب موسى بجراح في العام 1982 ،وهو يدافع عن بيروت، وينقل إلى المستشفى في تونس، وتظهر شخصية أبي عمار وتزوره في المستشفى، ثم يعود ويلتقي مع غسان فرهود ابن قريته والذي أعدم والده مع والد موسى في أعقاب ثورة 1936، وفي عمان تتدهور صحة موسى ويدخل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى المستشفى، ثم ينقل إلى مستشفى المقاصد في القدس، ليجد إلـــى جانبـــه زميلـــه (موشـــي مزراحي)، ثم يسلم روحه إلى ربه.

إن شخصيات الرواية في معظمها نامية ومتطورة، حيث إنها "تمثل اتساع الحياة داخـل صفحات الكتاب"[1] فشخصية عوض التي برزت في الفترة الممتدة بين بدايـــة الروايـــة وحتـــى نهاية ثورة 1936، كانت نامية، ولا تكاد صفحة من صفحات الرواية تغفلها. كما أن شـــخصية موسى في الفترة الممتدة بين نهاية ثورة 1936 حتى نهاية الرواية، كانت متغيرة ومتطـــورة، ولم تثبت على حال واحدة، ولا يمكننا تلخيصها بجملة واحدة، كما نعجز عن فهمـــها مـــن أول موقف تظهر فيه، بل إن ظروف الشخصية جعلتها متبدلة ومتغيرة. فهناك فترات كانت تؤمـــن فيها بالحل السياسي للقضية الفلسطينية، كما نجدها في فترات أخرى تتغير في نظرتها، فتصبـح مؤمنة بالحل العسكري ، وهذا يظهر عندما تنضم إلى صفوف فتح. كما ويبدو تغـــير موســـى عند قبوله بممارسة الجنس مع يسرى زوجة أبيه. إنها شخصية مغامرة تقبل بالعودة إلى حيفـــا بالسفينة بعد سقوطها بأيدي اليهود، وتعتقل وتبعد وتعود إلى طرابلس. أما علياء زوجة موســـى فتظهر بمظهر "البطل المقهور المغلوب على أمره"[2]، وقد بدا هـــذا الأمـــر واضحـــا، عندمـــا تعرضت لاغتصاب في شقتها في طرابلس من صاحب الشـــقة اللبنـــاني. أمـــا الشـــخصيات المسطحة في الرواية فهي قليلة، ومنها عبد الرحيم السيد الذي التقى بخليل عازر الـــذي كـــان يربي الخنازير، وانتقد عمل خليل، ولم يقتنع بحججه ، بأن هناك فرقا بيـــن تربيـــة الخـــنزير والأكل من لحمه، فخليل الذي يبيع الخنازير للإنجليز يعتقد بوجود فرق في مسألة التحريـم، إلا أن عبد الرحيم السيد لا يتغير موقفه في هذه المسألة، لأنه إنسان له موقـــف عقـــائدي دينـــي يصعب تغييره.

إن شخصيات موسى الفلسطيني ريفية في معظمها، عاشت في الريف وتـــأثرت بـــه، وظهر هذا التأثر باستخدامها للأمثال الشعبية، لتدعم موقفها وكلامها، وقد أحصيت في الروايـــة أربعة وستين مثلا شعبيا، نطقت بها هذه الشخصيات، ومن ذلك المثل المستخدم لعـــادة النـــوم على سطوح المنازل في الصيف، فيقولون: "صلب وفوت"[3]، بمعنى أنه لا يستحسن النوم علـــى السطح بعد عيد الصليب الذي يحل في الرابع عشر من أيلول حسب التقويم المعترف بـــه فـــي القرى.

---

[1] أ.م فورستر، أركان الرواية، ص 95.

[2] يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1977، ص 63.

[3] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن استخدام الأديب للأمثال الشعبية في روايته، لا يعد نقصا، بل إن "الرواية الجديدة والرواية المعاصرة بوجه عام، لا تلفي أي غضاضة في أن تغني نصها السردي بالمأثورات الشعبية"[1].

وحنا إبراهيم استطاع أن يحول المثل الشعبي، المنقول شفوياً، والأغنية الشعبية كذلك، إلى أدب مكتوب، ليزيد من رسوخهما في ذهن الإنسان الفلسطيني المتعلم الذي يتعامل مع الأدب المكتوب، أكثر من تعامله مع الأدب الشفوي، وقد كان استخدامه للتراث موفقاً، حيث أسهم بالحفاظ على الأمثال الشعبية، التي أتقنتها الأجيال السابقة، ولم تحافظ عليها الأجيال الحاضرة. ومما لا شك فيه أن "الأمثال الشعبية هي معايير، إيجابية كانت أم سلبية، لقياس أفكار الناس وأخلاقهم وعاداتهم وأنشطتهم، وهي معايير صادقة لأنها ليست في حاجة إلى الكذب والخداع، حتى في حالة تناقضها مع بعضها بعضاً، فهو تناقض النفس البشرية ذاتها بكل أفراحها وأتراحها"[2].

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 11.

[2] نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، ص 43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"المشترك بين الرواية والسيرة الذاتية"

حنا إبراهيم كاتب ملتزم بقضايا الجماهير، وعبر عن التزامه كتابة ونضالا، فلم يكن خياليا في تعامله مع قضايا شعبه، فهو كباقي الكتاب الواقعيين الاشتراكيين، الذين يعيشون بين الناس، ويعرفون همومهم وآمالهم، ولا يترددون عن المشاركة في شؤونهم.

وقد عاش حنا إبراهيم حياة أسهمت في كتابته لروايتين واقعيتين، وكانتا متفقتين في كثير من أحداثهما، مع أحداث السيرة ووقائعها. ومن المعلوم أن السيرة الذاتية قد ظهرت كتابا، قبل صدور الروايتين، فجاءت السيرة بأحداثها، مرجعا لكثير من أحداث الروايتين، حيث التداخل يميز العلاقة بين الجنسين الأدبيين.

ومن أمثلة المشترك بين الرواية والسيرة الذاتية، ما ورد من تأزم العلاقة بين العرب واليهود، فيقرر البريطانيون إنهاء انتدابهم على فلسطين، ليفسحوا المجال للحركة الصهيونية أن تقيم دولة إسرائيل، بعد أن قدموا السلاح والتدريب اللازمين، بينما لم ينل العرب شيئا، إلا ما تكرم به الضابط البريطاني المسؤول، الذي استدعى رجال الشرطة من العرب إلى مكتبه، في اللحظات الأخيرة من وجوده في المركز، "فمنح كل شرطي بندقية ومائتي خرطوشة"[1،2].

وتظهر الأحداث متشابهة بين الروايتين والسيرة، عندما يتحدث الكاتب عن المحامي الشيوعي، الذي يرفع قضية إلى محكمة العدل العليا، بشأن الأشخاص الذين تعدهم سلطات الاحتلال متسللين، حيث يبدو أن هذا المحامي لا يعمل لمصلحة خاصة[3]، بل من أجل مصلحة وطنية وإنسانية عامة، وهي إعادة المتسللين إلى بيوتهم وقراهم. فالمحامي الذي ساعد في قضية زياد وسعاد[4]، لا يأخذ إلا رسوم المحكمة، ولا يدخل جيبه قرش واحد، وهو يعمل ذلك لخدمة حزبه.

---

[1] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 72.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 68.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 115.

[4] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 180.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشترك الرواية عند حنا إبراهيم مع سيرته الذاتية، بالحديث عن قضية لم أسمع عنها من قبل، وهي قضية الهويات الحمراء[1،2]، التي أرادت سلطات الاحتلال فرضها على الناس، لإجبارهم على ترك بيوتهم وقراهم والرحيل إلى خارج الوطن.

واشتركت الرواية[3] والسيرة الذاتية[4] في الحديث عن دخول الجنود الإسرائيليين إلى القرية وقتلهم أربعة شباب فيها، وتهديد الضابط الناس بلهجة آمرة بالرحيل خلال نصف ساعة.

وتشابه الحديث في الرواية عن الثورة، التي قام بها الشعب الفلسطيني في العام 1936، مع ما ورد في السيرة، حيث كانت الذخيرة تشغل بال الثوار، على الرغم من صعوبة ظروفهم المعيشية[5]. وقد كان والد حنا إبراهيم أحد الثوار، وقد حدث أن اشترى بما لديه من مال بندقية[6]، مما جعل عائلته تعاني معيشياً.

كما أن الرواية[7] اشتركت مع السيرة الذاتية[8]، في الحديث عن الاضطرابات العمالية، التي وقعت في مصانع التكرير في حيفا بين العمال العرب واليهود، وما نتج عن تلك الأحداث من ضحايا.

---

[1] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 180.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 135.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 103.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 87.

[5] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 87.

[6] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 15.

[7] حنا إبراهيم، موسى الفلسطسني، ص 137.

[8] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 65.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

"صورة الآخـــر"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفت بعض الدارسين إلى قصص حنا إبراهيم التي أتى فيها على صورة الآخر وتناولوها بالدرس والتحليل، وبخاصة تلك القصص التي أظهرت الشخصية اليهودية، ومن الدارسين الذين توقفوا أمام ذلك شمعون بلاص حيث أعطى قصة "متسللون" شهادة كبيرة، وذلك بأن عدها أول إنتاج أدبي تناول الشخصية اليهودية بأبعادها الحقيقية[1].

وتناول عادل الأسطة في كتابه "اليهود في الأدب الفلسطيني" قصة "متسللون"، وقد رأى أنها تتحدث عن فترة كانت فيها مشاعر العرب مليئة بالكراهية والبغض لليهود[2].

ولكن الآخر في أدب حنا إبراهيم ليس اليهودي فحسب، فنحن نقرأ عن شخصيات إنجليزية وأخرى يهودية وثالثة عربية غير فلسطينية.

وسوف أتتبع في هذا الفصل صورة الآخر في أدب حنا بعامة، مبتدئاً بأول النصوص التي أنجزها وهي القصة ثم مروراً بالشعر فالسيرة فالرواية، لألاحظ إن كانت هذه الصورة خلال هذه الفترة التي كتب فيها الكاتب قد تغيرت.

تعددت صورة الآخر في أدب حنا إبراهيم بسبب الموقف الفكري والسياسي الذي تبناه الشاعر من ناحية، وبسبب واقع الصراع الذي حصل وما زال مستمراً بين الشعب الفلسطيني وبين الأعداء لهذا الشعب من إنجليز ويهود وأنظمة حكم عربية مرتبطة بالاستعمار من ناحية ثانية، ونلحظ أن " لهيب الحروب والمعارك والثورات متأجج في كل مكان، ويذهب الإنسان ضحية لهذه الصراعات التي تفتعلها الأنانيات والأطماع افتعالاً، لأنها تريد أن تفرض الرأي والتوجيه والإرادة"[3].

إن الواقع الموضوعي الذي عاشه الشعب الفلسطيني، على امتداد السنين الطويلة، له أثر كبير في تشكيل الوعي الجمعي، الذي تتوارثه الأجيال الفلسطينية المتعاقبة. فهذا الإرث الممتد طويلا يشكل خصوصية الفلسطيني، ويعطيه هويته الذاتية. فالشعب الفلسطيني عاش

---

[1] انظر الحوار مع شمعون بلاص في الجديد، العدد 5، أيار 1984، ص 12.

[2] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط 1، 1992،، ص 76.

[3] مفيد محمد قمحية، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1981، ص 38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنين كثيرة-وما يزال- تحت حكم الآخر. فالحكم العثماني التركي امتد في الوطن العربي ومنه فلسطين، إلى نهاية الحرب العالمية الأولى في العام 1917، ولم تسمح الظروف الموضوعية ولا الشروط الذاتية لشعب فلسطين، أن يتنفس نسمات الحرية، بل وجد نفسه تحت حكم غريب.

"صورة الإنجليز"

تناول الكتاب الفلسطينيون موضوع الإنجليز في أدبهم، وقد كانت صورة الإنجليز متعددة عند الأدباء، حيث " يستطيع المرء، وهو يقرأ نصوص الأدب الفلسطيني، أن يلحظ شكلين مختلفين للكتابة عن الإنجليز، الأول يتمثل في ذكرهم ذكراً إجمالياً، وهذا هو الغالب، والثاني يتمثل في تصوير شخصيات حية لها ملامحها الفردية الخاصة، وهذا هو النادر. ويتحقق الشكل الأول في الشعر، فيما ينجز الشكل الثاني في النصوص النثرية"[1].

برزت صورة الآخر البريطاني سلبية في قصص الكاتب، فكانت الشخصية الإنجليزية التي عرفها الفلسطيني من الجنود الذين احتلوا فلسطين وظهر هذا في قصة "البيت القديم"، فيطارد الإنجليز الثوار ويقتلونهم وينسفون بيوت الفلسطينيين ويحرقونها[2].

وقد كان القاص موضوعياً في نظرته إلى الآخر، فهو لم يغفل الحديث عن الإنجليزي الذي يظهر أحياناً بصورة إيجابية. فالجنديان الإنجليزيان في قصة "محكمة"، يقيمان علاقة اجتماعية حسنة مع أبي فايز، فيبعثان له هدايا متنوعة، رداً لما بدا من حسن استقباله لهما في موقف سابق. فظهرت من ضمن الهدايا، سجائر إنجليزية وحلوى ومعلبات متنوعة[3].

ولكن عند الانتقال إلى متابعة صورة الإنجليز في شعر حنا نجد أنها صورة سلبية، ولم تبرز لهم صورة إيجابية، وقد يعود هذا إلى أن قصيدة حنا مهرجانية وتخاطب جمهوراً وتحرضه على الأعداء، ولم يكن سهلاً على الشاعر أن يخاطب الجمهور بصورة غير سلبية للأعداء. ولذلك تظهر للإنجليز صورة سلبية في شعر حنا، فقد بدا الضابط الإنجليزي متبختراً أمام حشود المتظاهرين الأردنيين الذين كانوا يحتجون على الوجود البريطاني في الأردن، أمام السفارة البريطانية في عمان. وقد برز الضابط معتداً بما يملكه من قوة عسكرية قمعية،

---

[1] عادل الأسطة، الإنجليز في الأدب الفلسطيني، مجلة جامعة النجاح، المجلد 13، العدد 2، 1999، ص 751.

3 حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 39.

[3] المصدر السابق، ص 52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أنه لم يقدر قوة الجماهير المظلومة التي تريد الاستقلال لوطنها، مما جعله يسير متعجرفاً، وقد برز هذا في قصيدة "تحية يا أردن" حيث يقول :

لم يدر أن المستكين على الأذى — في أمس أصبح صارماً مصقولا
فانقضّ يقتحم الجموع(بجيبه) — يبدو بعينيه الكثير قليلا
نشوان يحسب أن تحت لوائه — الجيشين والبوليس والأسطولا[1]

لكن الجماهير التي تصنع التاريخ، لم تخضع لقمع الضابط الإنجليزي وجبروته، لأنها مؤمنة بأن المستقبل لها، وأن الاستعمار الإنجليزي سيعود إلى جزر الشمال مدحوراً. وقد برزت صورة ذلك الضابط ضعيفة فأصبح كصرصار تحت الأرجل، وهذا ظهر في قصيدة "تحية يا أردن" في قوله:

سحقته أقدام الجموع بسيرها — قدماً فخرّ ولا أقول قتيلا
داسته أقدام الجموع كدوسها — يوم الكريهة جدجداً مهزولا[2]

كما برزت صورة الإنجليز ضعيفة أمام الجماهير العربية الأردنية، حيث تمكنت الفتاة رجاء عماش من اعتلاء سور السفارة البريطانية في عمان، وأنزلت العلم البريطاني ومزقته الجماهير. وقد دفع إنزال العلم الجنود البريطانيين لإطلاق الرصاص على الفتاة لتموت شهيدة، فظهر الإنجليز بهذا العمل قتلة. وقد برز هذا في قصيدة "تحية يا أردن" فيقول:

وتقدمت بين الهتاف وأنزلت — علم الحليف ممزقاً مرذولا
وعلا الهتاف فضاع صوت رصاصة — أصمت فأسقطت الفتاة قتيلا[3]

وعند تتبع صورة الإنجليز في سيرة حنا نجد أنها تختلف عما ورد في شعره، حيث تظهر شخصيات إنجليزية سلبية وغالباً ما كانت من الجنود، ولكن في المقابل تظهر صورة أخرى إيجابية مغايرة لما عرف عن الإنجليز.

تبرز سيرة الكاتب صورة الإنسان الغربي، وتحديدا الإنجليزي الذي كان له حضور على الأرض الفلسطينية، وكانت قيادته سببا من أسباب مأساة فلسطين.

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 58.

[2] المصدر السابق، ص 58.

[3] المصدر السابق، ص 60.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأتي سيرة الكاتب على شخصيات إنجليزية تمارس القمع والقتل ضد الفلسطينيين، فتظهر صورة الإنجليزي العسكري قبيحة وسلبية، حيث يهاجم الأبرياء من الأطفال والنساء الذين كانوا يحتمون بإحدى الكنائس[1]، معتقدين أن الجنود الذين يدينون في معظمهم بالدين المسيحي، لن يعتدوا على بيت عبادة مسيحي.

وتبرز السيرة صورة البريطاني الذي يفهم العقلية العربية الإسلامية، حيث يعرف عن عقيدة المسلمين وسلوكهم في القضايا الإشكالية، فهو يطلب من مجموعة من الرجال الذين يعملون في المخابز البريطانية في حيفا، أن يحلفوا يمينا، ليثبتوا صدقهم في قضية تحطيم ملئدة الطعام، التي أعدها العمال ليأكلوا، إلا أنهم قاموا بسكب الطعام على الأرض، ليتهموا المسؤول البريطاني بذلك العمل، وقد حاول هذا المسؤول أن يدافع عن نفسه بأن طلب من أربعة عشر رجلا، عينهم بنفسه يمينا، يعزز شهادتهم ضده إن كانوا صادقين"[2].

وتظهر السيرة صورة حكومة الانتداب سلبية، عندما عطلت حرية التعبير، وذلك بأن أغلقت صحيفة الاتحاد التي تنطق بلسان الحزب الشيوعي، فتكشف عن المؤامرات السياسية ضد قضية فلسطين. ونتيجة لخطورة الدور الذي تقوم به الصحافة والإعلام، تقوم سلطات الانتداب "في شباط من العام 1948، لتسكت صوتا كان يفضح مؤامراتها الرهيبة"[3].

وتأتي السيرة على البريطاني الذي كان بشع المنظر وسيء الخلق، فيظهر بوجه أحمر[4]، وشفتين مرتعشتين، بسبب مرض الشلل،كما أنه يشرب الخمرة، ويغيب ذهنه بسببها، فلا يدري ما يفعل، حيث يضرب أي عامل يلقاه.وعلى الرغم من طبيعة الظروف القاسية،التي التقى فيها صاحب السيرة بالآخر البريطاني، فلم يجعل الإنجليز جميعا سلبيين، وهذه النظرة الموضوعية لصاحب السيرة، تعود إلى طبيعة تفكيره الفلسفي، الذي لا يعطي الأحكام المطلقة بحق الناس، بل يفرق بينهم، فيظهر السلبي بسلبياته، ويشهد للإيجابي بإيجابياته، ولا أختلف مع الدكتور عادل الأسطه بما توصل إليه بخصوص ظهور "صورة إيجابية أبرزها الأدباء الذين سافروا إلى إنجلترا وأقاموا فيها فترة من الوقت، حيث التقوا هناك بإنجليز لم يكونوا جنودا في الجيش البريطاني الذي استعمر فلسطين ما بين 1917-1948 ، وهكذا فإن اختلاف

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 30.

[2] المصدر السابق، ص 42.

[3] المصدر السابق، ص 70.

[4] المصدر السابق، ص 32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجربة انعكس بدوره على إبراز صورة الإنجليز،تماما كما أن الموقع الطبقي، لهذا الكـاتب أو ذاك، أثر بطريقة ما على تشكيل الصورة"[1].

إن الموقع الطبقي لكاتب السيرة جعله يظهر أحد الجنود البريطانيين، يشتم جنديا آخـر يكرهه، ولا يتورع عن شتم دولته بريطانيا[2]، التي تستغل الفقراء من البريطـانيين ، فترسـلهم إلى المعارك،ليحاربوا بعيدا عن وطنهم، فيما ينعم الأغنياء الإنجليز، بما يحققه أولئك الفقـراء. ولهذا ليس غريبا أن يظهر في السيرة الإنجليزي الإيجابي، فيقف إلى جانب العمـال العـرب وقضاياهم[3].

وعند الانتقال إلى صورة الإنجليز في الرواية عند حنا، نجد أنها كانت صورة سـلبية، ولم تظهر لهم صورة مغايرة.

لذلك خاض الشعب الفلسطيني صراعا حادا ضد الوجود البريطاني في فلسطين، وقـد تمثل هذا الصراع بالثورات المتتالية التي فجرها أبناء فلسطين، للدفاع عن حقوقـهم الوطنيـة والقومية. وقد كان الصراع مع الإنجليز منذ دخولهم إلى فلسطين حتى خروجـهم منـها فـي منتصف أيار في العام 1948. وقد أورد الأدباء الفلسطينيون في نصوصـهم، صـورا مـن المعاناة التي تسبب بها الإنجليز لشعبهم، وقد "أبرزت النصوص في معظمها، صـورة سـلبية للإنجليز، ويعود السبب في ذلك إلى سياسة الانتداب البريطاني، وما نجم عنها، حيـث تشـرد الشعب الفلسطيني عام 1948 عن ديارهم"[4].

وقد برزت في أوجاع البلاد المقدسة، صورة سلبية للإنجليز، فـهم محتلـون قسـاة، يعمدون إلى نسف البيوت الفلسطينية وحرقها[5]، بسبب مقاومة أصحابها للمحتليـن الإنجلـيز. وتظهر في الرواية صورة الإنجليزي الماجن والكاره للعـرب، والـذي يبـدو واضحـا فـي عنصريته، فرجال الشرطة البريطانية يشربون البيرة ويلعبون الورق، ويهينون رجال الشـرطة

---

[1] عادل الأسطة، الإنجليز في الأدب الفلسطيني،مجلة جامعة النجاح، ص 750.

[2] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 39.

[3] المصدر السابق، ص 39.

[4] عادل الأسطة، الإنجليز في الأدب الفلسطيني، ص 750.

[5] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 8.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العرب في المركز، وذلك بأن يخصصوا لأنفسهم قاعات طعام[1]، فلا يسمحون للعرب بتناول الطعام فيها.

وتبرز صورة الآخر الإنجليزي الذي أسهم في إفراغ حيفا من سكانها العرب، عندما سقطت بأيدي اليهود، حيث قام الإنجليز بتوفير وسائل النقل[2]، لتسهيل عملية خروج العرب وتهجيرهم.

كما أن الإنجليز يقدمون للعصابات الصهيونية الخبرة السياسية، لتتمكن من فرض سيطرتها على فلسطين، وذلك من خلال استخدام السياسة المشهورة "فرق تسد"[3] وعلى الرغم من السياسة الإنجليزية المنحازة لصالح اليهود، إلا أن حنا إبراهيم، الذي يكتب بواقعية ويصدر عن فكر جدلي، يرى الأمور كما هي، فلا يحرفها ولا يغيرها، لخدمة التعصب لشعبه، حيث أن هذا التعصب يجعل الإنسان يرى الأشياء من موقعه وموقفه الذاتيين، فليس الإنجليز جميعاً رديئين، بل هناك أفراد يشذون عن القاعدة الواسعة، فيبدو هؤلاء متعاطفين مع العرب، فالإنجليز سيدفعون رواتب الموظفين من العرب الذين خدموا في شرطة الانتداب إلى منتصف أيار[4]، كما أنهم سيدفعون تعويضات لمن خدم في أجهزة حكمهم، كما وظهر الإنجليزي- على غير عادته- كريماً، فقدم السلاح والذخيرة لأفراد الشرطة من العرب.

وظهر الإنجليز بصورة قبيحة، فهم الكفار والباغون والمفسدون في الأرض، كما أنهم يأكلون لحم الخنزير[5]، الذي حرمه الله في القرآن الكريم، ﴿حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[6]، كما انهم أعطوا اليهود وعداً بإقامة وطن قومي في فلسطين، ولا يهمهم إلا تطوير المستعمرات اليهودية[7].

---

[1] المرجع السابق، ص 12.

[2] المصدر السابق، ص 82.

[3] المصدر السابق، ص 108.

[4] المصدر السابق، ص 71-72.

[5] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 113.

[6] القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 3.

[7] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدو صورة الإنجليز قاسية، فيعمدون إلى نسف البيوت العربية[1]، ويعتقلون أبناء العرب الفلسطينيين، ويعذبونهم أشد العذاب، ويصدرون أحكاما ظالمة بالإعدام على الفلسطيني الذي يقاوم سياستهم العنصرية[2].

وتظهر صورة الإنجليزي مراوغا ومخادعا، وقد توضحت هذه الصورة السلبية من خلال المحقق الذي يبث الطائفية والعنصرية بين المعتقلين الفلسطينيين[3]، المسيحيين والمسلمين. وقد أوقف المحقق التعذيب ضد المعتقل الفلسطيني المسيحي، وطلب منه أن يشي برفيقه المسلم.

كما أن صورة الإنجليز السلبية تبرز من خلال حكمهم لثلثي العالم[4]، فاحتلالهم ليس محدودا، بل إن أطماعهم دفعتهم إلى التوسع واحتلال بلاد بعيدة.

"الآخر اليهودي"

إن ظروف الصراع بين الشعب الفلسطيني والحركة الصهيونية، أسهمت في تكوين صورة سلبية لليهود لدى الفلسطيني. ففي الحرب يلتقي الفلسطيني مع رجال الجيش والحكم العسكري ورجال الشرطة، ولذلك فقد برزت صورة اليهودي الذي يقتل الفلسطيني ويعتقله، ويهدم بيته ويشتت عائلته، ويمنعه من الخروج من مكان سكنه ولا يسمح له بذلك إلا بتصريح.

إن الشخصية اليهودية في قصص الأدباء الفلسطينيين في منطقة 1948، بدت قاسية وفظة، نتيجة للدور الذي تشغله، ولذلك فإن "من الطبيعي أن تتسم هذه الشخصيات اليهودية، التي التقاها العرب في المراحل الأولى بالفظاظة والسلبية المطلقة"[5].

---

[1] المصدر السابق، ص 100.

[2] المصدر نفسه، ص 105.

[3] المصدر نفسه، ص 101.

[4] المصدر نفسه، ص 114.

[5] محمود عباسي، تطور الرواية والقصة، ص 160.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعد أحداث العام 1948 بقليل، كانت سلطات الاحتلال تقوم بعمليات تمشيط عسكرية، للبحث عن متسللين عرب، كانوا يعودون إلى قراهم وبيوتهم، إلا أن الجنود يعتقلونهم ويبعدونهم إلى خارج الوطن، بحجة أن هؤلاء المتسللين، لا يملكون إثباتات شخصية من دائرة التسجيل والإحصاء. وكان المتسللون يعانون من ظروف بالغة القسوة عند إبعادهم، وكثيراً ما كانوا يموتون برصاص الجنود. فزوجة ممدوح الذيب في قصة "تصفية حساب" تموت برصاصة أصابتها في قلبها[1]، عندما أطلق أبو موسى الضابط في الجيش الرصاص على مجموعة من المبعدين.

كما تبرز صورة اليهودي سلبية، فيقتل الأفراد الذكور من عائلة عربية، كي لا يبقى لهم وجود وامتداد في الحياة، ولتجبر العائلات العربية الأخرى على ترك الوطن والهجرة إلى خارجه. ولذلك فإن اليهودي في قصة "حكايتان من السجن" برز قاتلاً وسفاحاً للدم، عندما قتل خمسة عشر رجلاً وفتى من عائلة عربية واحدة[2].

وقد كان للانتفاضة الفلسطينية في العام 1987، تأثير كبير في رسم صورة اليهودي لدى الكاتب، فظهر المستوطن يحمل سلاحاً ليقتل به الفلسطينيين، ليجبرهم على ترك وطنهم. وقد بدت أوصاف عميرام سكرتير المستوطنة في قصة "جمع الشمل" سيئة[3]، فهو بشع الخَلْق والخُلق. كما وتظهر في القصة عند حنا إبراهيم صورة صاحب العمل اليهودي، الذي يستغل العامل الفلسطيني ليقوم بإصلاح الرافعة التي تعطلت، مقابل مبلغ بسيط من المال في قصة "الثمن". ويخاطر الشاب بحياته ويموت أثناء إصلاح العطب، إلا أن صاحب العمل لم يقدم لوالد الشاب طلال إلا مبلغاً ضئيلاً من المال[4].

وتظهر صورة اليهودي الذي يستغل العمال العرب، فلا يعطيهم أجرهم كاملاً، بل يبتزهم بسبب المركز الذي شغله في الجيش سابقاً، فيخاف العمال منه، ويبنون له بيتاً ولا يتقاضون على ذلك إلا أجراً رمزياً. وقد توضحت صورة الآخر اليهودي، حينما يطلب في قصة "آباء وبنون" من أحد المقاولين العرب بناء بيت له فوق أرض آبائه وأجداده[5].

---

[1] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 266.

[2] المصدر السابق، ص 293.

[3] المصدر السابق، ص 318.

[4] المصدر السابق، ص 277.

[5] المصدر السابق، ص 363.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر صورة اليهودي الذي يحب المال، ويحرص على جمعه، وبهذا يكشف عن نفسية اليهودي التاريخية، التي تعمل بالذهب والمال والشؤون التجارية المختلفة. فاليهود أصحاب مهن لا يرتبطون بالأرض وفلاحتها، التي تحتاج إلى جهد ومشقة. فاليهودي في قصة "تحية العيد" يعمل في مهن سهلة وتدر عليه الأموال سريعاً. وقد ظهر هذا الجانب من صورة اليهودي في الحوار الذي جرى بين الأخوين الطفلين خالد ونجوى والمصور اليهودي في عكا. فالصغيران لا يملكان مالاً كثيراً يقدمانه ثمناً للصورة، والمصور جشع ولا يريد أن يتنازل[1].

كما أن صورة الآخر اليهودي تبدو سلبية وسيئة الأخلاق، فالشاب اليهودي في قصة "حديث ذو شجون" يتاجر بالمخدرات التي تدمر المجتمع، حباً بجمع المال سريعاً[2]. كما أن خلقه السيئ جعله يطلب من صديقته أن تمارس البغاء مع صديقه. فهو بذيء وشاذ وغير إنساني، فلا يهتم بالشرف الذي يضحي من أجله الناس.

إن الفكر المادي الذي حمله حنا إبراهيم، جعله ينظر إلى اليهودي نظرة واقعية، فهو ينظر إلى اليهود نظرة موضوعية، حيث إن التجربة أغنته في الحكم عليهم، فيذكر السلبيات ولا ينسى الإيجابيات الموجودة لدى بعضهم. وقد انسجم موقفه هذا مع موقف القصة المحلية ذات الهوية المميزة، حيث إن "بعضها مجّد هذه العلاقة وبعضها أظهر اليهودي بشكل آخر غير التمجيد"[3].

فصورة اليهودي ليست سلبية بصورة مطلقة، فلا تبرز صورة اليهودي في كتابات حنا إبراهيم دائماً سلبية، بل نجدها أحياناً تبدو إيجابية. وتختلف في سلوكها ونظرتها إلى العربي حيث "قاد الاهتمام بعنصر الشخصية النموذج حنا إبراهيم إلى تقديم نموذج واقعي لامرأة إسرائيلية في قصة "متسللون"، ويمكن القول عنها أنها شخصية نموذج، فهي تمثل الإنسان العادي من الجماهير الإسرائيلية الذي صورت له الدعاية الصهيونية العربي وحشاً يريد افتراسه، فلما اطلع على الحقيقة، أخذ يشك ويعيد التفكير في كل هذه الأوهام، التي خلقتها الصهيونية في رأسه"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 89.

[2] المصدر السابق، ص 399.

[3] محمود غنايم، دراسات في القصة المحلية، ص 20.

[4] أنطون شلحت، على فوهة البركان، مديرية الثقافة العامة في وزارة الفنون، طبعة أولى، 1996، ص 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واكتشف (أبراهام) زيف الأوهام الصهيونية، الضابط في الجيش الإسرائيلي، والذي يعمل في وحدة عسكرية في مدينة من مدن الضفة الغربية أثناء الانتفاضة، ويكره قتل الفلسطينيين، فهو من ناحية رسمية يمثل جيش القمع الصهيوني، ومن ناحية شخصية يعاني معاناة شديدة، عندما اكتشف أن الرجل العربي الكبير في السن الذي مات بين يديه، كان والده، فبدا "أنه ضحية القمع وهو يمارس القمع ضد ثورة الحجارة"[1].

وتبرز صورة اليهودي الذي يحزن لحزن العربي في قصة "الذكرى العاشرة"، فيشاركه الألم والحزن، ويعمل على مساعدته في دفن عظام أعزائه. ولم يلتفت (شلومو) إلى مناسبة إقامة دولة إسرائيل، وذهب مع العربي سعيد في دفن عظام أخوي هذا"[2].

وقد استمر حنا إبراهيم في الحديث عن اليهود في أشعاره الكثيرة المنشورة وغير المنشورة في ديوان، وقد بدت صورة هؤلاء سلبية، حيث إن سيطرة اليهود على أرض فلسطين وشعبها، جعلهم يطبقون عليها سياسة قاسية، وما كان ليتم ذلك لهم لولا القوة السياسية والعسكرية التي تميزوا بها. ولذلك فكثيرا ما كانت توضع " تحت يد الحاكم الذي تعينه حكومة إسرائيل جميع ممتلكات العرب في الدولة أو التي تحتلها قوات إسرائيل، وذلك بمجرد كتابة إقرار من الحاكم بأن هذه الممتلكات تخص غائبا"[3].

وقد عبر حنا إبراهيم عن ذلك القانون الجائر، حين سيطر اليهود على المقدسات الإسلامية، فهذه المقدسات لله، ولذلك فالحكومة الإسرائيلية تعدها من أملاك الغائب التي تسيطر عليها. وقد ظهر هذا في قصيدة "إلى المتاجرين بالوطنية"، ومنها قوله:

وبأن جل جلاله ونبيه عند الحكومة مثله غياب[4]

وفي ذروة الصراع بين الشعب الفلسطيني من ناحية واليهود من ناحية أخرى، كان قادة اليهود ينكرون وجود شيء اسمه شعب فلسطين. وهم مغرورون بقوتهم السياسية والعسكرية، فلا يقدرون قوانين الحياة الموضوعية التي تخضع لها الظواهر الطبيعية

---

[1] إبراهيم خليل، أنطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، ص 14.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 104.

[3] حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة، دون طبعة، ودون تاريخ، ص 131.

[4] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاجتماعية التي لا تتصف بالثبات والجمود، بل بالتغير والتبدل. فالشعوب أقوى من الأعداء، وهي الباقية. وقد برزت هذه المعاني في قصيدة "أيار الثلاثون" ومنها:

لسوف يأكل كفيه معاً ندماً من قال: ذا الشعب لم يولد ولم يلد
فالمنكر الشمس مثل المدعي سفهاً ليست فلسطين عند الله من أحد
ندري ويدرون أن لا حال دائمة إلا الشعوب ووجه الصانع الصمد[1]

وتستمر صورة اليهود سلبية في شعر حنا، فهم الذين هجروا الشعب الفلسطيني عن وطنه، ليصبح هذا الوطن أطلالاً تثير في النفس الإنسانية الأحزان. فاليهود هنا لا يحبون الحياة للشعب الفلسطيني، لذلك اقتلعوا الأشجار التي زرعتها الأجيال الفلسطينية المتعاقبة، التي تمثل ارتباط الإنسان الفلسطيني بالأرض. وقد ظهر هذا في قصيدة "أكتوبر أقوى من عنتر":

وغدت قريتنا أطلالاً
عاث المحتل بها شرا
ومضى فاجتث الزيتونات
ولم يترك منها جذرا
ألقاها في جنبات الدرب
كقتلى لم يجدوا قبرا[2]

كما تبرز صورة اليهود سلبية، حيث يبدون لصوصاً يسرقون الأرض الفلسطينية، فيحرمون صاحب الأرض الأصلي من الإفادة من خيراتها. كما أن اليهود يبدون أنجاساً يدنسون المقدسات الإسلامية في القدس. وهذه المعاني تظهر في قصيدة "ما جئت أكرز بل لأسمع":

عن ناهبي هذه الجبال
وسالبي تلك الحقول
عن ساجني رمز السلام
مدنسي الأقصى ومعراج الرسول[3]

لقد غلب على صورة اليهود في شعر حنا التصور السلبي، ولم تظهر لهم صورة أخرى.

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاطور، ص 10.

[2] المصدر السابق، ص 32.

[3] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 64.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين ننتقل إلى الكتابة عن صورة اليهود في سيرة حنا نتساءل: هل اختلف تصـــوره لهم في الثمانينات أم ظل على ما هو عليه؟ هنا لا بد من استعراض الصـــورة فـــي الســـيرة لملاحظة ذلك، تبرز السيرة اليهودي العسكري الذي يطارد العـــرب ويلاحقـــهم ويضطـــهدهم ويبعدهم عن أرضهم، وهذه الصورة تتكرر في السيرة ، وبخاصة حين يكتب صاحبـــها عـــن أحداث عام 1948.ومن صورة الآخر اليهودي السلبية في السيرة، العسكري الذي يحب قتـــل العربي الفلسطيني ، ويستمتع بعملية تعذيبه، فالجنود اليهود يقتلون عددا من العرب أمام حشـــد من أبناء قريتهم[1]، ليزيدوا من عذابهم، وليجبروهم على ترك القرية والرحيـــل إلـــى خـــارج الوطن.

وعلى الرغم من أن الصورة السلبية لليهود هي الأكثر حضوراً فـــي الســـيرة، إلا أن الكاتب يبرز لهم صورة إيجابية، ولا عجب في ذلك لحنا الكاتب الشيوعي الذي عرف اليـــهود وخبرهم، وكان لفكره تأثير بارز على نظرته إلى الآخرين، عدا أن تجربته معـــهم، بالإضافـــة إلى تجربة شعبه، دفعته إلى عدم التعميم وإلى التمييز بين يهودي متجبر عسكري وآخر يـــدرك أنه يظلم الشعب الفلسطيني، ولذلك "فإن من الكتاب –وحتى بعد تأسيس دولة إسرائيل وهزيمـــة العرب في حرب 1967– من ظل يميز بين اليهود والصهيونيين منهم، ولم تحولـــهم الكارثـــة التي ألمت بالشعب الفلسطيني على امتداد سبعين عاماً ويزيد إلى كتـــاب متعصبيـــن يضعـــون اليهود جميعاً –أينما كانوا– في سلة واحدة"[2]. ومع ذلك تبرز السيرة الصورة الأولى أكثر مـــن الثانية. وحين ندرك أن صاحبها عاش ما بين 1927 حتى اللحظة، وهي فترة لم تكن العلاقـــة بين العرب واليهود فيها جيدة، وإنما غلب عليها العداء، نعرف لماذا بدت هذه الصورة لليـــهود سلبية.

إن موقع الأديب يؤثر كثيراً على الموقف الذي يتخذه في قضية من القضايا،وبهذا فـــإن تغير الموقع، يؤدي إلى تغير نظرة الكاتب في مسألة معينة، وبذلك فإن "على المرء أن يمـــيز في تناول الأدب المكتوب بعد عام 1948، بين كتّاب المنفى والكتّاب المقيمين على أراضيـــهم، فالأخيرون غالباً ما وصفوا نماذج فردية"[3] .

---

[1] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 39.

[2] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني، ص 163.

[3] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني، ص 161.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحنا إبراهيم أديب ملتزم بقضية شعبه ويعيش في داخل فلسطين المحتلة عام 1948، ولذلك فإن موقعه وموقفه يتأثر كل منهما بالآخر فيصقله ويجدده، فالأحكام المسبقة السريعة على الآخرين، لا تكون جاهزة عنده، بل يرى أن كل شيء موجود بشكل جدلي، بحيث أن أي تغير في الواقع الموضوعي، يؤدي إلى تغير الموقف، فلا شيء ثابت، فالشرير لن يبقى شريراً، ولا المحسن يبقى محسناً. ومن هنا فإن نظرة حنا إبراهيم إلى اليهودي بقيت موضوعية، ولم تتحول إلى نظرة ذاتية تعصبية، فتتقلب وتتبدل كتقلب الريح وتبدل درجة الحرارة، بل تماسكت هذه النظرة، على الرغم من كل المنعطفات الحادة والقاتلة، التي مرت بها قضية الشعب الفلسطيني.

وإذا ما نظرنا في الأعمال الروائية التي صدرت في التسعينات وبحثنا فيها عن صورة اليهود، فإننا سنلحظ بأن الكاتب، وبسبب الصراع الطويل بين الشعب الفلسطيني وبين الحركة الصهيونية، قد رصد هذا الصراع في روايته "أوجاع البلاد المقدسة" منذ بدايتها حتى نهايتها. وقد ظهر اليهودي قاسياً وقاتلاً وغير إنساني، في أوقات الحروب والأزمات بين الطرفين. فعندما دخل جنود الاحتلال القرية في العام 1948، جمعوا الرجال، وقتلوا جميع الشباب، وقد كانت المأساة مخيفة في وقعها على رجل كبير، قتل الجنود أبناءه الخمسة، ثم قتلوا ابنه الصغير في حضنه[1]، حيث لم يبق له أي ولد. فاليهودي هنا، ضابط في الجيش، يعشق قتل العربي، ولا توجد في داخله مشاعر إنسانية، فبدا سادياً يحب رؤية العربي وهو يتعذب ويموت.

ولا تتوقف دموية اليهودي، الذي يتلذذ بقتل العربي، فيلجأ إلى ارتكاب المجازر، أسلوباً لطرد العرب من ديارهم وتفريغها منهم، لتبقى الأرض خالصة له، فلا يشاركه فيها أصحابها الأصليون. فعندما حدثت مجزرة كفر قاسم في العام 1956، كان زياد وزوجته سعاد عائدين في سيارتهما إلى القرية، وأثناء ذلك التقيا بجنود إسرائيليين، قتلوا برصاصهم مجموعة من العرب من كفر قاسم. وبينما كان زياد يحاول الابتعاد بالسيارة عن الجنود، انهمر رصاصهم على سيارته مما أدى إلى إصابته بجرح واستشهاد سعاد زوجته[2]. ويمضي حنا إبراهيم في توضيح صورة اليهودي غير الإنساني، فيقوم الضابط شموئيلي بمداهمة عرس زياد وسعاد، من أجل اعتقال سعاد التي كانت تعد متسللة في نظر سلطات الاحتلال. فالضابط

---

[1] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 115.

[2] المصدر السابق، ص 194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يريد اعتقالها وإبعادها قبل أن يتم الزواج، لأن في إتمام الزواج تعطيلاً لعملية الإبعاد، وقد بدا الضابط ابن حرام[1]، حيث داهم العرس في يوم عطلة بالنسبة له، هو يوم سبت.

إن ما توصل إليه عادل الأسطة في دراسته عن اليهود، يعود إلى أن دراسته انتهت إلى الأعمال الأدبية التي كتبت لغاية العام 1987. ولكن ما كتبه حنا هنا في روايته يعود إلى التسعينيات من القرن العشرين. لقد توصل عادل الأسطة في دراسته "اليهود في الأدب الفلسطيني"، إلى أنه "لا تتكرر في أدب الداخل (الأدب المكتوب تحت الحكم الإسرائيلي) تلك الموتيفات التي غلبت على الكتابات الأدبية قبل عام1948، ولا يعثر إطلاقاً على أوصاف وأفكار معينة مثل وصف اليهود بعبادة المال وتسخيرهم نساءهم للوصول إلى أهدافهم، واتهامهم بصلب المسيح، ونعتهم بصفتي الذل والكفر الدائمين"[2] ، إلا أنني وجدت هذا الموتيف الذي يتهم اليهود بقتل المسيح، ووصفهم بالذل في أوجاع البلاد المقدسة، وذلك في "فلسطين عربية. هكذا كانت وهكذا ستبقى. منها أسرى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وفيها ولد المسيح عليه السلام وصلبه اليهود"[3] . أما صورة اليهودي الذليل فتظهر في قوله: "لو كنتم عرباً لآمنتم بما قيل عن اليهود، من أنه ضربت عليهم المذلة والمسكنة إلى يوم القيامة"[4] ، وهذه الصورة قريبة من صورة اليهودي في القرآن الكريم، ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة وباءوا بغضب من الله﴾[5] .

إن الكاتب حنا إبراهيم غير متعصب لشعبه تعصباً أعمى، بل إن نظرته الموضوعية تبين أن كل شعب، فيه الجيد والسيئ، فليس اليهود جميعاً أشراراً، ومن ذلك الشرطي الذي ضبط زياداً مرتين يقود سيارته بسرعة فائقة، في يوم واحد، حيث قام بتمزيق المخالفة التي حررها في المرة الأولى[6]، عندما عرف ظروف زياد القاسية، بعد أن قتل الجنود زوجته.

---

[1] المصدر السابق، ص 162.

[2] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني، ص 69–70.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 143–144.

[4] المصدر السابق، ص 146.

[5] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 61.

[6] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 197.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبرزت لليهودي، في الرواية، صورة إيجابية، إذ يشير الراوي إلى ان هناك وفداً يهودياً من أربعين شاباً وفتاة جاءوا، ليساعدوا أهل القرية العربية بقطف ثمار الزيتون[1].

كما أن حالة العداء بين الشعب الفلسطيني واليهود، لم تمنع (موشي ليفي) من الحضور إلى بيت زياد معزياً بوفاة أخيه الدكتور عادل، الذي قتل في مجزرة صبرا وشاتيلا، وقد عانق (موشي) شريكه في العمل زياداً، وبكى الاثنان، وأبكيا الحاضرين[2].

وتستمر صورة اليهود سلبية حيث قامت الحركة الصهيونية بإغراق الأرض الفلسطينية ببحر من المهاجرين اليهود[3]، كما أنها خططت لطرد العرب من فلسطين.

وتبرز الرواية اليهودي الذي يجد بالدولة اليهودية في فلسطين، مشروعاً اقتصادياً مربحاً[4]، وهذه الصورة تميز اليهود الذين يحبون المال والتجارة. كما أن اليهود يدمرون القرى العربية ويزيلون معالمها، بعد أن قاموا باحتلالها، فهم دمروا المقبرة التي دفن فيها أموات العرب[5]، ليقيموا فوق قبورهم مستوطنة.

وبدا اليهودي شاذاً في عدم احترامه للأديان السماوية وكتبها[6]، حيث يعتدي على مشاعر المسيحيين الدينية وذلك بتحطيم صورة العذراء، كما أنه يعتدي على مشاعر المسلمين الدينية عندما يمزق القرآن الكريم. كما برز اليهود في الرواية كفاراً تجب محاربتهم[7].

وفي مقابل هذه الصورة السلبية، تظهر بعض الومضات في الرواية، التي تبين بعض المظاهر الإيجابية في الشخصية اليهودية، التي تأتي لزيارة عربي في المستشفى، ويبكي اليهودي (موشي مزراحي) عندما يرى صديقه العربي القديم موسى عوض بحال لا تسر[8].

---

[1] المصدر السابق، ص 208.

[2] المصدر السابق، ص 267.

[3] حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، ص 142.

[4] المصدر السابق، ص 132.

[5] المصدر السابق، ص 205.

[6] المصدر السابق، ص 155.

[7] المصدر السابق، ص 138.

[8] المصدر السابق، ص 208.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتعزز هذه الصورة الإيجابية في مقاطع أخرى من الرواية، منها ما يتمثل في إحضار (موشي مزراحي) هدية إلى زميله العربي موسى[1]، عندما كان معتقلاً، ويقوم ضابط المعتقل بالمحافظة على الهدية والرسالة التي بعثها إلى موسى العربي.

وبهذا فإن الكاتب حنا إبراهيم، لم يكن أحادي النظرة اتجاه الواقع الذي يستقي منه أحداث روايته وشخصياتها، ولم تحوله قضية شعبه الذي يعاني إلى متعصب وعنصري.

"الآخر الروسي"

تظهر صورة الروسي في قصص حنا إبراهيم مشرقة وإيجابية. فالإنسان الروسي يحب وطنه حباً شديداً، ويقدم مصلحة الوطن على مصلحته الشخصية. فالروسي الشيوعي، يدافع عن وطنه، عندما يحاول الغزاة النيل منه ومن سيادته، كما ان المرأة الروسية، تقف إلى جانب زوجها في محنته ومرضه، فالروسي يذهب إلى الجبهة لمقاتلة النازيين بعد أيام قليلة من زفافه، ويعود بأوسمة وعاهة تمنعه من العمل، إلا أن زوجته تعود إلى بيتها مسرعة لتعتني بزوجها، كما أنها لا تسمح لنفسها بالرقص والفرح بسبب حالة زوجها[2].

إن موقف الكاتب الشيوعي جعله منحازاً في تصوير شخصية الشيوعي. فالفتاة الروسية لا تعطي جسدها إلا لزوجها، فهي وفية ولا تخونه. فهي نموذج للوفاء والخلق الرفيع الذي تتميز به عن غيرها من النساء في المجتمعات الرأسمالية، حيث إن الأفكار الرأسمالية التي تدعو إلى التحرر الفردي، تكبل الإنسان وتصادر ما يملكه من أخلاق، وكان حنا إبراهيم يريد أن يبلغنا أن المرأة الروسية والشيوعية، نموذج للمرأة. فنتاشا رفضت أن يقبلها الشاب العربي إبراهيم[3].

---

[1] المصدر السابق، ص 166.

[2] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 114.

[3] المصدر السابق، ص 152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر صورة المرأة الروسية إيجابية، حيث تقوم الطبيبة إيفانوفا بمعالجة ثلاثة من الشيوعيين الأردنيين[1] الذين تعرضوا للتعذيب الجسدي الشديد في سجون النظام. وبذلك تبرز شخصية الشيوعي الأممية، فتتضامن مع الشيوعيين في العالم، وتحاول أن تقدم المساعدة لهم.

تبرز في شعر حنا إبراهيم صورة الشيوعيين إيجابية، فالشيوعي سواء كان عربياً أم روسياً أم فيتنامياً- إيجابي. وقد كان لانتماء حنا إبراهيم للمبادئ الشيوعية أثر في إبرازه للشيوعيين بهذه الصورة.

فالشيوعيون الروس تغلبوا على قوانين الطبيعة، فالجاذبية الأرضية لم تمنعهم من الوصول إلى الفضاء البعيد. وبهذا برز الشيوعي غير عاجز عن اقتحام الصعاب وفي ريادة تحقيق المنجزات العلمية الكبيرة. وهذا يظهر في:

وإذا الفضاء الرحب تحت نعالهم ينبيك بالعجب العجاب عن الغد
ولرب لو نلنا التحرر قبلهم لغدا لنا غغارين باسم محمد[2]

كما أن الشيوعيين الفيتناميين ظهرت صورتهم إيجابية، حيث تمكنوا من دحر الأعداء الأمريكيين والانتصار عليهم، فرفعوا راية الاشتراكية الحمراء عالية. وقد ظهر هذا في:

وكتائب الثوار ترفع راية حمراء تخفق في الوهاد وفي الذرا
وصحائف الدنس المهرا تنطوي وعصائب الأوباش تجري القهقرى[3]

إن حنا إبراهيم مؤمن بأن المستقبل للعمال الشيوعيين، فهو " ينظر إلى المستقبل نظرة مليئة بالثقة والتفاؤل، شأنه في ذلك شأن جميع الشعراء الواقعيين الاشتراكيين، الذين يؤمنون بحتمية انتصار قوى الخير والسلام، على قوى الشر والعدوان"[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 148.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 73.

[3] المصدر السابق، ص 92.

[4] مفيد محمد قمحية، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1981، ص 465.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد برزت صورة أولئك العمال الشيوعيين الذين يبنون الكون، وهو مؤمن بـــأن هـــذا الكون سيكون لهم، بعد أن ينتصروا على الرأسماليين الذين سرقوا عرق العمـــــال وجـــهدهم. وهذا ظهر في:

* إن الألى شيدت كونا سواعدهم لا بد أن يرثوا الكون الذي سلبوا[1]

كما تبرز في شعر حنا صورة الشيوعي إيجابية، فهو لا يخاف الإعدام ولا الســـجون، كما أنه يتحمل العذاب الذي يمارسه الحكام ضده، فالشيوعي اللبناني فرج الله الحلو، لا يخـــاف السجن ولا حكم الإعدام الذي فرض عليه، بل تحدى الحكام وبصق في وجوههم وهذا برز فـي قوله:

أيطـــول عجبـــك لاغتيـــال مقيد وأخوه ما بين الكواكب يغتدي
أم أن مـــا يلقـــاه جلـــد معـــذب يلقي ظلال الشك في أمر الغد
فيفوته معنـــى صمـــود مرشـــح للشنق يبصق في جبين السيد
وإذا السجون استنطقت لروت لنا قبل المشانق وقفة المتمـــرد[2]

أما صورة الروسي التي تظهرها السيرة فتبدو إيجابية، فيبدو الروسي شـــخصا يحـــب تقديم المساعدة للآخرين، وإن كلفه ذلك تعبا شخصيا. فعلى الرغم من أن يوم الأحـــد عطلـــة رسمية[3]، وكان على الروسي أن يقضي تلك العطلة مع خطيبته، إلا أنه قضى ذلك اليـــوم مـــع الرفاق الشيوعيين، ليثبت صدق انتمائه للمبادئ.

كما تبرز سيرة الكاتب صورة الروسي الشيوعي إيجابية، فيظـــهر بمظـــهر الإنســـان الاجتماعي الذي يقدم الهدايا، التي تكون رمزا للصداقة بين الشيوعيين، ولتبقى ذكرى عزيـــزة لدى الكاتب، بعد أن تسلم معطفا من الرفيق (سليبوف)[4]، فتبعث ذكرياته التي عاشها فـــي بلـــد الشيوعية الأول.

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاطور، ص 68.

[2] المصدر السابق، ص 69.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 299.

[4] المصدر السابق، ص 298.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونتيجة لتعمق الخلافات بين الحزب الشيوعي وقادته من ناحية، وصاحب السيرة من ناحية أخرى، فقد تغيرت صورة الذات الشيوعية وتحولت إلى آخر، بعد أن كان الكاتب يدافع عن هذه الشخصية، التي تقع على عاتقها سعادة البشر في كل مكان، فهؤلاء الذين يدافعون عن الشيوعية، ويطمحون لبناء الاشتراكية، أصبحوا يعملون ضد مبادئهم فهم الذين "أوقفوا عجلة الفكر التي انطلقت بهم، أو انطلقوا بها، وفعلوا بعكس التعاليم الماركسية، التي زعموا أنهم يسيرون على ضوئها"[1].

وينتقد الكاتب في سيرته، الحزب الشيوعي، الذي لا يزال يعيش بعقلية العهد السوي[2]، بينما يفتخر بنضاله العلني في الوقت نفسه. كما أن قاعدة الحزب غائبة عن اتخاذ القرارات المصيرية، في شؤونه المختلفة، وذلك لاستيلاء القادة على القرار.

برزت صورة الشيوعي منسجمة مع توجه حنا إبراهيم الفكري والسياسي، فهو الذي آمن بالحزب الشيوعي ومبادئه ردحاً من الزمن. وقد كان لذلك تأثير على تصويره للشيوعي الروسي، الذي يستقبل الضيوف من أقطار العالم المختلفة[3]، فيغدق الأموال عليهم، بينما يحرم ذاته، فيبدو الشعب الروسي يعيش في فقر وعوز. وهذا يظهر انحياز الكاتب للحزب الشيوعي، حيث يبدو غيوراً على الشعب الروسي أكثر من غيرة الشعب نفسه على مصلحته.

"الآخر العميل"

يقوم الاحتلال ببناء علاقات وثيقة مع بعض العرب، الذين يهتمون بمصالحهم الخاصة، ويصبحون ذيلاً للاحتلال. والاحتلال يقوم بإنشاء هذه العلاقات الخاصة، لضرب وحدة الشعب الفلسطيني. ويسهل العملاء على الاحتلال ملاحقة المتسللين والمناضلين من أبناء الشعب الفلسطيني. وقد برزت شخصية المختار متعاونة مع الاحتلال، فالمختار يرفع علم إسرائيل فوق منزله بمناسبة عيد الاستقلال، وهو يقوم بهذا العمل ليثبت ولاءه للاحتلال[4].

---

[1] المصدر السابق، ص 196.

[2] المصدر السابق، ص 246.

[3] حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، ص 234.

[4] حنا إبراهيم، المجموعة القصصية الكاملة، ص 250.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتمادى العملاء في خدمة أسيادهم الحكام العسكريين، فالعميل يحمل عصا ويهاجم اجتماعاً يعقده الشيوعيون، ليرضى عنه أسياده. كما أنه يستفز الشيوعيين بكلامه، فيشتم الاتحاد السوفييتي، فجابر صويلح ذنب حديث النعمة ورأسماله العصا التي يؤجرها.[1]

برزت صورة العميل للأعداء اليهود سلبية، حيث بدا في شعر حنا في صورة الكلب الذي يركع عند قدمي صاحبه، ليقوم بتقديم بقايا الطعام له، كما أنه مطيع لأسياده، فيعوي كلما طلب منه ذلك. كما أن هذا الخائن يبرر خيانته بمنطق عجيب. كما أنه لا يهتم بنظافة المصدر الذي يحصل منه على المال. وقد ظهر هذا في:

أو راكع يلعق الأقدام منتظراً ... سقط الفتات ويعوي كلما طلبوا
تدجيل مرتزق من وحي مغتصب ... وللخيانة أيضاً منطق عجب
لا يقرف السمسار من ذهب ... لو من بنان مجوسي أتى الذهب[2]

وتظهر صورة العميل الذي لا يتأثر لقتل أبناء الشعب الفلسطيني، بل ويقدم الشكر للأعداء اليهود من حزبي التجمع وهو حزب العمل، والليكود وهو حزب اليمين، وهو بهذا يمنح صكوك غفران لقتلة أبناء فلسطين. وهذا يظهر في:

ستلعن كل ذي قربى دمانا ... يبارك للتجمع واليمين
فيمنح صك غفران لجان ... ويمسح من ذنوب قليل دين[3]

تبرز السيرة صورة العميل الذي يتهم الشيوعيين بالعمالة والخيانة[4]، مما يجعل بعض الناس ينخدع بقوله. ويعد دور العملاء تخريبياً في المجتمع الذي يعيشون فيه، ولذلك فإن الاحتلال يستغلهم لتنفيذ مؤامراته، فهم الذين يعرفون أفراد المجتمع العربي وظروفهم، أكثر من جنود الاحتلال وموظفيه، وبذلك يزرعون الشقاق بين العرب، ويحيدون قسماً من الشعب العربي عن النضال. وغالباً ما يقوم الاحتلال بالطلب إلى العميل، القيام بواجبات تتمثل في

---

[1] المصدر السابق، ص 248.

[2] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 64.

[3] المصدر السابق، ص 17.

[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 206.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"تقديم تقرير إلى سلطات الحكم العسكري عن أملاك الغائبين في القرية -بيوتاً كانت أم أراضي- من اجل تمكين الإدارة العسكرية، من اتخاذ الإجراءات القانونية لنزع ملكيتها".[1]

"صورة الآخر العربي"

جيش الإنقاذ

تظهر السيرة صورة سلبية لجيش الإنقاذ وهيئاته، فهذا الجيش الذي "تواجدت فيها قطعاته، في فلسطين وفي جنوب لبنان خاصة"[2]، لم تكن علاقته مع السكان المحليين إيجابية، حيث يقوم جنود الإنقاذ باعتقال الشيوعيين، ومنهم صاحب السيرة، وكاد يحكم عليه بالإعدام[3]، لولا تدخل وجهاء من القرية، إلا أن الحكم خفف بفرض الإقامة الجبرية وعدم مغادرة القرية، وإثبات وجوده يومياً في مركز شرطة مجد الكروم.

وعلى الرغم من الأسباب التي أسهمت في وصول جيش الإنقاذ إلى فلسطين، إلا أنه جيش لا يقدر المسؤولية الواقعة عليه، فيترك القرية ليلاً، ولم يحارب اليهود الصهاينة، بل وفّر ذخيرته ولم يطلق منها رصاصة واحدة[4].

"صورة الحكام العرب"

على الرغم من أن الشاعر حنا إبراهيم قسم زعماء العرب إلى قسمين، إلا أن صورة القسمين بدت سلبية فهم أصحاب مال وأصحاب أسمال مهترئة. كما انهم في غفلة عما يدور في فلسطين من تقتيل لشعبها وتدمير لبيوتها، فالذي يجري من أحداث كبيرة وخطيرة، لا يدفعهم إلى اجتماع بسيط لتدارس تلك الأحداث. فهؤلاء الزعماء لا يملكون شيئاً يقدمونه لشعب فلسطين في محنته المتعاقبة سوى عملة الكلام المزيفة والتي لا يوجد لها رصيد في واقع الحياة. وهذا يظهر في قصيدة "دمي المسفوك في لبنان":

فالعرب مهما جعجعت أبواقهم عربان: ذو مال وذو أسمال

---

[1] المصدر السابق، ص 206.

[2] هاني الهندي، جيش الإنقاذ، ص 94.

[3] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 84.

[4] المصدر السابق، ص 95.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويل أمهم يغتال فرد واحـــد ... فـــي قريـــة فيثور ألف سؤال
ويباد شعب لا يساوي عندهم ... نصف اجتماع أو سطور مقال
ويل أمهم حتـــام تنساب الدما ... وعلى دسوت الحكم شبه رجال
لا يتقنون سوى التبجح والذي ... ورثوه من زيـــف الكلام البال[1]

كما تظهر صورة الزعماء العرب الذين ينفقون ثمن النفط على الغانيـــات، " فـــهؤلاء الأصنام يتحكمون بمقدرات الأمة وفق أهوائهم وأمزجتهم"[2]، مما دفع الشـــاعر أن يتمنـــى أن تعود الصحراء إلى مراعٍ، ويعود الحكام إلى رعي الحيوانات، كما كان حال العـــرب ســـابقاً. وقد ظهر هذا في قصيدة "تشيد للشباب":

حباك الله صحراء استحالت ... رمال قفارها تبراً مذابا
ليجري بين أثداء الغواني ... ويترك أرضنا قفراً يبابا
فليت ربوعها ظلت مراعي ... وليت رمالها بقيت سرابا[3]

وتأتي السيرة على صورة النظام الأردني السيئة، حيث يقوم هذا النظام بضـــم القســـم المتبقي من فلسطين إلى أرضه[4].

---

[1] حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، ص 41-42.
[2] مفيد محمد قمحية، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 164.
[3] حنا إبراهيم، نشيد للناس، ص 32.
[4] حنا إبراهيم، شجرة المعرفة، ص 73.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخـــاتمة

على الرغم من الظروف القاسية التي عانى منها الأدباء الفلســـطينيون فـــي فلســـطين المحتلة 1948، إلا أن تلك الظروف أسهمت في إبراز عدد من الشعراء، فكتبوا عـــدداً كبـــيراً من القصائد التي تتحدث عن ظروف القمع التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضدهم. فكـــان أن برز محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين.وقد تعرض هؤلاء الشـــعراء لمضايقات السلطات، فاعتقل كل منهم أكثر من مرة أو فرضت عليه الإقامة الجبرية. وقد نـــال هؤلاء الشعراء حظاً كبيراً من الاهتمام والدراسة، مما أسهم في أن ذاع صيتهم.

إلا أن حنا إبراهيم الذي أسهم مع غيره ممن بقي من الأدباء في ريـــادة فـــن القصـــة القصيرة بعد نكبة عام 1948. حيث خرج معظم كتاب القصة إلى الخارج لاجئين، ولم تتح لـــه فرصة الوصول إلى الصف الأول من الأدباء.

ولعل السبب يعود إلى أن النقاد ما زالوا يجدون في الشعر مجالاً واسعاً ومهماً لقيـــاس إبداع الأدباء. فالعرب قديماً برزوا شعراء ولم يبرزا في فن نثري يوازي الشعر، فـــهذا الإرث العربي، بقي مسيطراً على النقاد في الحكم على عملية الإبداع. ولذلك فـــإن الأديـــب الشـــهيد غسان كنفاني في كتابه "الدراسات الأدبية" بدا مهتماً بالشعر الذي ظهر في الأرض المحتلـــة، ولم يظهر أهمية كبيرة للفنون النثرية، بل جاء بنماذج بسيطة منها، ولعل هذا يعود إلـــى عـــدم توفر النثر بين يديه، وقد أوضح هذا في كتابه "أدب المقاومة في فلســـطين المحتلـــة 1948-1966"، و "الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1966"، ويظهر هذا فـــي قـــول غسان أن "الظروف التي يعرفها الجميع تحول دون تعقب دقيق لحركة الإنتاج هذه على جميـــع المستويات، فإن ما يتوفر بين أيدينا الآن يكفي كنموذج"[1]. ولعل غسان كنفاني كان محقـــاً فـــي اهتمامه بالشعر أكثر من اهتمامه بالنثر، حيث إن الواقع الحياتي فـــي الأرض المحتلـــة كـــان يناسبه الشعر الذي يلقى على جمهور، سواء كان هذا الجمهور متعلماً أم غـــير متعلـــم، بينمـــا النثر لا يستطيع غير المتعلم قراءته أو فهم مضمونه. لم يقم غسان بإدراج الأديب حنا إبراهيـــم في كتابه "الدراسات الأدبية" بسبب اهتمام غسان بالشعر خاصة.

وقد يكون السبب في تأخر حنا إبراهيم إلى الصف الثاني من الأدباء عائداً إلى إبداعـــه في أكثر من نوع أدبي، حيث إن تقسيم الطاقة الإبداعية التي يختزنها حنا، على أكثر من جنس

[1] غسان كنفاني، الآثار الكاملة الدراسات الأدبية، ص 297.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدبي، يضعف الطاقة التي لو ركزت على إبداع محدد، فإنها ستؤدي إلى تغيير في موقف النقاد من الأديب. وقد يقول قائل" إن هناك أدباء في الأرض المحتلة اشتهروا ناثرين ولم يشتهروا شعراء، إلا أنهم درسوا وأخذوا حظاً من الشهرة، ومن هؤلاء إميل حبيبي الذي أعطى جهده الإبداعي للقصة والرواية. إن تركيز الأديب على جنس أدبي يجعله يبرز، بينما توزيع طاقة الأديب على أجناس مختلفة تضعف هذه الطاقة.

وعلى الرغم من أن الأديب حنا إبراهيم لم يتصدر الصفوف الأولى لأدباء الأرض المحتلة، إلا أنه يبقى أديباً ذا دور في حركة الأدب الفلسطيني، فرفد هذا الأدب بأكثر من نوع أدبي، وهذا يدل على امتلاكه طاقات كبيرة، استطاع أن يفيد منها، فكتب في القصة والشعر والسيرة الذاتية والرواية.

وستترك الدراسة إبداع حنا القادم، للأجيال القادمة، من أجل دراسته والحكم له أو عليه، فالكاتب لم يكسر قلمه، ولم يمزق أوراقه، بل إن دماء شعبه تدفعه إلى السير قدماً مع هذه التضحيات، فيكتبها قصصاً وقصائد وروايات سترى النور في حال تحين الفرصة المناسبة لها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــص

Abstract

Despite of a suffering circumistances that Palestinian writers in Palestine occupied land 1948, but these circumistances took part exposing a number of poets, wrote a big number from poems those speak on ways of terrorism that Israeli authorities practiced against them. One of the most famous of them was Mahmood Darweesh, Sameeh Al-Qasem, Tawfeeq Zayyad, Rashed Husain. All these are exposed to authorities insulating and suffering.

Each one of them was captured more than one time or a compulsory residence was applied on him.

All these got a big lucky from interest and study that took part in their fame.

But Hanna Ibrahim that took part with other writers in increasing the art of a short story. After 1948 disaster because most of the story writers got out a board as refugees, did not take a chance of a rriving to the first class of writers.

May be the reason returns back to the critical men those are still find in poetry a huge scale and important to measure the brilliancy of writers.

Arabs in the past appeared poets and not appear in writing prose that is balancing the poetry.

٥٤٩٠٦٥

This Arabic inheritance was still mastering on the critical men in ruling on brilliancy process.

Therefore the famous writer Ghassan Kanafani in his book "Literary Studies" started interested by poetry that is appeared in occupied land, and he did not appear a big interest for writing prose, but came by simple types or models. Maybe Kanafani was right in his interest in poetry more than his interest by prose writing. That is the life reality in occupied lands was suitable to it. The poetry that is directing on a crowed even this crowed was learned or not. While the prose non excepted learners could read or understand its content.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

1. حنا إبراهيم، أخل بالأمن، الجديد، العدد 3، شباط 1955.
2. حنا إبراهيم، المتمردة، الجديد، العدد 3، شباط 1956.
3. حنا إبراهيم، أزهار برية، مطبعة الاتحاد التعاونية، حيفا، 1972.
4. حنا إبراهيم، ريحة الوطن، منشورات الأسوار، عكا، 1979.
5. حنا إبراهيم، الغربة، الأسوار، عكا، 1980.
6. حنا إبراهيم، صوت من الشاغور، الأسوار، عكا، ط 1، 1981.
7. حنا إبراهيم، هواجس يومية، دار المشرق، شفا عمرو، 1989.
8. حنا إبراهيم، نشيد للناس، دار المشرق، شفا عمرو، 1992.
9. حنا إبراهيم، ذكريات شاب لم يتغرب، شجرة المعرفة، الأسوار، عكا، ط 2، 1996.
10. حنا إبراهيم، أوجاع البلاد المقدسة، الأسوار، عكا، 1997.
11. حنا إبراهيم، موسى الفلسطيني، دار المشرق، شفا عمرو، 1998.
12. حنا إبراهيم، الأعمال القصصية الكاملة، دار النشر العربي، بيت بيرل، ط 2، 2000.
13. حنا إبراهيم، مخطوطة شعرية، غير منشورة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابراهيم خليل، أنطولوجيا القصة القصيرة الفلسطينية، دار الكرمل، عمان، ط 1، 1990.
3. ابراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1993.
4. احسان عباس، الشعر الفلسطيني حتى العام 1967، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، مجلد 4، بيروت، ط 1، 1990.
5. احسان عباس، فن السيرة، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، ط 1، 1996.
6. احسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، ودار الشروق، عمان، ط 1، 1996.
7. احمد أمين، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 5، 1983.
8. احمد بن الحسين المتنبي، الديوان، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.
9. احمد شوقي، الشوقيات، المكتبة التجارية الكبرى، ج 1، دون طبعة، ودون تاريخ.
10. ا.م. فورستر، أركان الرواية، ترجمة كمال عياد، الناصرة، دون طبعة، ودون تاريخ.
11. انطوان شلحت، على فوهة البركان، مديرية الثقافة العامة في وزارة الفنون، ط 1، 1996.
12. اوستن وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والآداب، 1972.
13. تماضر بنت عمرو بن الشريد، الخنساء، الديوان، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون ط، دون ت.
14. توفيق زياد، أشد على أيديكم، مطبعة أبو رحمون، ط 2، 1994.
15. جبريل محمد وزميلاه، فلسطينيو 48 نضال مستمر 1948-1988، ط 1، 1990.
16. جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ترجمة فؤاد مرعي، دار الفارابي، بيروت، 1978.
17. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1960.
18. جورج طومسون وفلاديمير دنيبروف، دراسات ماركسية في الشعر والرواية، ترجمة ميشال سليمان، دار القلم، بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

19. حامد إسماعيل سيد أحمد، المعذبون في الأرض المقدسة، دون مكان للنشر، ودون طبعة، ودون تاريخ.
20. حبيب بن أوس، أبو تمام، الديوان، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، بيروت، دون ط، ودون ت.
21. حسن أمون وأوري ديفيس، ونصر دخل الله، العرب الفلسطينيون في إسرائيل، منشورات شمس، باقة الغربية، ط 2، 1993.
22. الحسن بن هانئ، أبو نواس، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1962.
23. الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، ط 3، 1979.
24. الحطيئة، الديوان، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.
25. رابح دوب، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997.
26. راشد حسين، الأعمال الشعرية، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، ط 1، 1990.
27. رجاء النقاش، أدباء ومواقف، منشورات المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.
28. رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1959.
29. رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 1998.
30. سلمى الخضراء الجيوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، مجلد 1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1997.
31. سميح القاسم، الديوان، دار العودة، بيروت، 1987.
32. السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، 1998.
33. شعيب حليفي، النص الموازي للرواية استراتيجية العنوان، الكرمل، العدد 46، السنة 1992.
34. شمعون بلاص، حوار مع شمعون بلاص، الجديد، العدد 5، أيار، 1984.
35. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1960.
36. صالح أبو اصبع، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948 حتى 1975، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1979.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

37. صدوق نور الدين، سير المفكرين الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000.

38. عادل الأسطة، الإنجليز في الأدب الفلسطيني، مجلة جامعة النجاح، مجلد 13، العدد 2، 1999.

39. عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين 1913-1987، اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، ط 1، 1992.

40. عادل الأسطة، سؤال الهوية فلسطينية الأدب والأديب، دار الشروق، عمان، ط 1، 2000.

41. عامر جنداوي، القصة القصيرة عند حنا إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة سانت بطرسبورغ، 1997.

42. عبد الرشيد عبد العزيز سالم، شعر الرثاء العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1982.

43. عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، فصول، المجلد 12، صيف 1993.

44. عبد العالي بو طيب، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، فصول، ج 1، العدد 4، شتاء 1993.

45. عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة ومعاييرها، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1975.

46. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

47. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 10، 1990.

48. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط 2، 1958.

49. علي بن الحسين الاصفهاني، الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1992.

50. علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسة نقدية، دار الشروق، عمان، ط 1، 1997.

51. عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، دار الكتب الشعبية، بيروت، ط 3، 1977.

52. غسان كنفاني، الآثار الكاملة للدراسات الأدبية، المجلد الرابع، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، مؤسسة غسان كنفاني ودار الطليعة، 1998.

53. فتوح أحمد، لغة الحوار الروائي، فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، كانون-آذار 1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

54. فتوح أحمد، لغة الحوار الروائي، فصول، المجلد الثاني، العدد الثـــاني، كـــانون-آذار 1982.
55. فيصل دراج، دلالات العلاقة الروائية، دار كنعان للدراسات والنشـــر، دمشـــق، ط 1، 1993.
56. كامل محمود خله، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، المنشأة العامة للنشـــر والتوزيع والإعلان، طرابلس-ليبيا، ط 2، 1982.
57. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 5، تحقيق مصطفى البغا، دار ابـــن كثير، اليمامة، بيروت، ط 3، 1987.
58. محمد جابر عبد العال الحيني، الخنساء شاعرة بني سليم، المؤسسة المصرية العامـــة، القاهرة، 1963.
59. محمد عبد الله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 1، 1998.
60. محمد مندور، الأدب ومذاهبه، دار نهضة مصر، دون طبعة، ودون تاريخ.
61. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، ط 1، 1996.
62. محمود درويش، الديوان، دار الأسوار، عكا، 1988.
63. محمود عباسي، تطور الرواية والقصة القصيرة فـــي الأدب العربـــي فـــي إســـرائيل 1948-1976، دار المشرق، شفا عمرو، 1998.
64. محمود غنايم، المدار الصعب رحلة القصة الفلســـطينية فـــي إســـرائيل، منشـــورات الكرمل، حيفا، 1995.
65. محمود غنايم، دراسات في القصة القصيرة المحلية، الشرق، العدد 4، السنة التاســـعة، تشرين أول-كانون أول، 1979.
66. محمود غنايم، مرايا في النقد دراسات في الأدب الفلسطيني، مركـــز دراســـات الأدب العربي، بيت بيرل، ودار الهدى، كفر قرع، ط 1، 2000.
67. مرشد خلايلة، الأقصوصة المحلية واقعها وآفاقها، الجديد، العدد 9، السنة 19، أيلـــول، 1972.
68. معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الأسوار، عكا، ط 2، 1988.
69. مفيد محمد قمحية، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديـــدة، بيروت، ط 1، 1981.
70. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9، 1996.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

71. نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
72. نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ج 3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 5، 1993.
73. نزار قباني، قصيدة أنا يا صديقة متعب بعروبتي، الحصاد، العدد 29، 1980.
74. نصر محمد إبراهيم عباس، الفن القصصي في فلسطين، دار العلوم، الرياض، 1982.
75. هاني الهندي، جيش الإنقاذ، منشورات شمس،باقة الغربية، ط 2، 1992.
76. واصف أبو الشباب، القصة والرواية والمسرحية في فلسطين 1900-1948، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، مجلد 4، بيروت، ط 1، 1990.
77. واصف أبو الشباب، شخصية الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار العودة، بيروت، ط 1، 1981.
78. الوليد بن عبيد البحتري، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1967.
79. يحي بن علي التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، عالم الكتب، بيروت، دون طبعة، ودون تاريخ.
80. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي، دار الفارابي، بيروت، ط 2، 1999.
81. يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1997.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit